كتاب

كليلة ودمنة

لبيدبا الفيلسوف الهندي

عرّبه عن البهلوية المنشىء البليغ اللغوي المشهور
عبد الله بن المقفع

نقحه وضبطه وعلق حواشيه المرحوم الشيخ خليل اليازجي

عُني بطبعه

خليل الخوري

صاحب المكتبة الجامعة بسوق الحميدية نمرو ١٢ ويباع فيها

طبع برخصة مجلس معارف ولاية سوريا الجليلة

طبع رابعة في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٩٠٢

كلامٌ للطابع على نفقتهِ

لما كان كتاب كليلة ودمنة للفيلسوف الهندي والمعرَّب بقلم المنشىء البليغ المشهور عبدالله بن المقفع هو من اجزل الكتب المدرسية فائدةً وافصحها لغةً وكان افضل طبعة ظهرت منه الى الان هي التي نقحها وضبطها وعلق حواشيها فقيدنا وفقيد العلم والوطن العالم المدقق والشاعر المطبوع المأسوف عليه المرحوم الشيخ خليل اليازجي سليل بيت العلم والفضل

ولما كانت هذه الطبعة قد نفدت منذ مدة واصبح وجودها كالعنقاء. وكان الطلب عليها اكثر من الكثير نظرًا لاضطرار المدارس اليها ؛ احدتنا الغيرة على تجديد طبعها بعد الاستئذان من شقيق الفقيد الغني بشهرته عن ذكر اسمه كي لا تحرم المدارس الفائدة منها وحرصًا على ذكر منقحها المرحوم وقد افرغنا جل العناية بتصحيح طبعها وتطبيقها على الاصل والله المسؤول ان ينفع بها مطالعيها ويجزل ثواب معربها ومنقحها بفضله تعالى وكرمه

خليل الخوري

صاحب المكتبة الجامعة

بسم الله العليم الحكيم

وبعدُ فيقول الفقير اليهِ تعالى خليل بن ناصيف اليازجي اللبناني لا يخفى شدَّة افتقار المدارس في هذه الايام الى كتاب فصيح العبارة يليق ان يحتذاهُ التلامذة في النثر المُرسَل مشتمل على كثيرٍ من الالفاظ اللغوية الفصيحة المتداوَلة بين الكتاب لتجري على اقلامهم ويقتبسوا سرَّ وضعها في مواضعها ذاهبين المذاهب المختلفة في ضروب الكتابة من حقيقةٍ ومجاز واطنابٍ وايجاز الى غير ذلك مما يتدرَّبون بهِ على الخوض في اساليب الكلام . ويكون مع ذلك لطيف الموضوع مناسبًا لاذواق التلامذة على اختلاف درجاتهم في السنِّ والمعرفة منطويًا من المعاني على المفيد لعقولهم المهذِّب لنفوسهم المدرِّب لهم في سيرتهم وتصرُّفهم بين الناس حتى لا تكون فوائدهُ مقصورةً على اللفظ فقط

وقد وجدت كتاب كليلة ودمنة المشهور الواضع له بيدبا[1] الفيلسوف الهنديّ والمعرَّب بقلم المنشىء البليغ عبدالله بن المقفع[2] اليق كتابٍ لهذه

---

(١) نشأ في اثناء القرن الرابع قبل المسيح

(٢) هو عبدالله بن المقفع الكاتب المشهور بالبلاغة صاحب الرسائل البديعة واسم ابيهِ داذَوَيه من اهل فارس والمقفع لقب غلب عليه لان الحجاج بن يوسف الثقفي عذَّبهُ لخيانة ارتكبها فتقفعت يده اي تقبضت فقيل له المقفع وقيل بل الذي عذبه ابو الحجاج المذكور

كانت اقامة عبدالله المذكور بالبصرة وكان كاتبًا فيها لعيسى بن عليّ عمّ المنصور الخليفة العباسيّ وبها توفي . وكانت وفاته قتلاً قتله سفيان بن معاوية امير البصرة بامر المنصور في حديث طويل ليس هنا موضعه *

الغايات جميعها فانه جامع لهذه المقاصد بامرها متكفل بالاتيان عليها كلها لما هو معروف به من فصاحة العبارة ورشاقة اللفظ وعلو الطبقة في اساليب الانشاء بحيث يصح ان يكون دستورًا للكتابة ينسج على منواله ويجرى على مثاله . متضمن من فكاهة ظاهره ونفاسة باطنه شيئًا كثيرًا في كونه مخرجًا مخرج قصص لطيفة جارية على افواه البهائم والسنة الطير يتبطنها من الآداب والنصائح والمواعظ والامثال والحكمة والفلسفة والتهذيب والتدريب في الدنيا والدين معًا الى غير ذلك ما يصح ان يسمى به مرآة الزمان على ما هو غني عن البيان . فهو للصغير كتاب تهذيب وتخريج وللمتعلم سفر بلاغة وانشاء . وللمتناهي مجموع قصص ونوادر وللمتبصر مجلة حكمة وفلسفة فيصح ان يصحب التلميذ في جميع اطوار دروسه فلا يعدم من فوائده في كل حالة نصيبًا

وكان معاصرًا للخليل بن احمد صاحب العروض ولعبد الحميد الكاتب المشهور . ومن حديثه مع الخليل انه اجتمع به مرة فلما افترقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفع فقال علمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل فقال عقله اكثر من علمه . وكان بينه وبين عبد الحميد صداقة شديدة حتى ان السفاح لما طلب عبد الحميد ليقتله استخفى منه في احد البيوت ومعه ابن المقفع ففاجأهما الطلب وهما في البيت فقال الذين دخلوا عليهما ايكما عبد الحميد فقال كل منهما انا خوفًا على صاحبه وخاف عبد الحميد ان يسرعوا الى ابن المقفع فقال ترفقوا بنا فان كلًا منا له علامات فوكلوا بنا بعضكم ويمضي البعض الآخر ويذكر تلك العلامات لمن وجهكم ففعلوا واخذوا عبد الحميد . وهي من المرويات النادرة

وصنف ابن المقفع المصنفات الحسان . قيل له مرة من ادبك فقال نفسي اذا رأيت من غيري حسنًا اتيته وان رايت قبيحًا ابيته * ومن كلامه في النثر قوله شربت الخطب ريًا ولم اضبط لها رويًا فغاضت ثم فاضت فلاهي

وقد وفقت الى الظفر بنسخة من هذا الكتاب قد خطت منذ نحو ثلاثمئة سنة فوجدت بينها وبين النسخة المطبوعة في مصر فروقًا كثيرة منها بالزيادة ومنها بالنقص ومنها بالاختلاف * اما الزيادة فاهمها ما صدر به باب بعثة برزويه في هذه النسخة الى قوله اما بعد * واما النقص فقد خلت النسخة المذكورة من مقدمة الكتاب وباب السائح والصائغ وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين ومن ذكر باب عرض الكتاب تحت هذا العنوان وانما ذكر فيها في اثناء بعثة برزويه ممتزجًا بباقي الكلام مستفادًا بالضمن من بعض الكلام المجاور له انه لعبدالله بن المقفع وقد اشير الى ذلك في فهرسها . ومن الغريب ان في فهرسها المشار اليه ذكر رسالة لبزرجمهر بن البختكان في مدح كسرى وذكر باب السائح والصائغ وهما غير موجودين فيها . وهذا دليل على ما في النسخة المذكورة من الخلل والتشويش والفساد فان ذلك فاش فيها ذاهب كل مذهب ولاسيما في النسخ فانه قلما خط كتاب ووقع فيه من الخطإ ما وقع فيها او حدث من التحريف والتصحيف بين نسختين من كتاب ما حدث بين هاتين النسختين حتى لا يكاد يظن ان النسختين لكتاب واحد * واما الاختلافات فكثيرة فاشية بينهما من اول الكتاب

نظامًا وليس غيرها كلامًا . وله شعر جيد ذكر في ديوان الحماسة منه ثلاثة ابيات في رثاء يحيى بن زياد وقيل عبدالكريم بن ابي العوجاء وهي:

رزئنا ابا عمرو ولا حي مثله فلله ريب الحادثات بمن وقع
فان تك قد فارقتنا وتركتنا ذوي خلة ما في انسداد لها طمع
فقد جر نفعًا فقدنا لك اننا امنا على كل الرزايا من الجزع

وكانت ولادته بين السنة السادسة والتاسعة بعد المئة للهجرة ووفاته بين السنة الثانية والاربعين والخامسة والاربعين وكانت حياته ستًا وثلاثين سنة رحمه الله تعالى

الى آخره لا يكاد يخلو سطر من شيء منها بين لفظي ومعنوي مما لا يقع تحت الحصر ولا فائدة من ذكره وانما اشرنا اليه على وجه الاجمال دلالةً على ما احتملت هذه النسخة من التمحيص والبحث والعناية * ثم وجدت بين نسخة مصر المشار اليها والنسخة المطبوعة في باريس باعتناء البارون سلبستري دساسي فروقًا ايضًا في بعض الاماكن اخصها خلو نسخة باريس المذكورة من باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين واختلافٌ في ديباجة باب السائح والصائغ · وقد تدبرت الديباجتين فلم اجد احدهما يصح ان تنطبق تمامًا على المثل المضروب له الباب فجمعت بينهما وزدت عليهما زيادات اقتضاها سياق المثل

وقد جمعت بين النسخ الثلاث وطبَّقت بينها بان اخترت من كلٍّ منها احسنها مع نقل المزيد في نسخة الخط المشار اليها واصلاح ما في النسخ الثلاث من اغلاط النسّاخ وغيرها وزيادات أُخر زدتها مما عنّ للخاطر الضعيف للربط بين مواصل الكلام او لاستدعاء المقام لها او لاستحسان موقعها او استطرادًا جرّ اليه سياق الكلام مما يظنّ ان النسخة الاصلية لم تخلُ عن شيء بمعناه وغير ذلك مما جرأني عليه الرغبة في رد هذا الكتاب الجليل ما امكن الى رونقه القديم وان كان يقصر عن ذلك ذَرْعي ويضيق وُسعي ولكني فعلت رجاء ان استعين به عليه واتطرّق منه اليه فتيسّر لي ان اجمع من النسخ الثلاث نسخةً وافيةً جديرةً بان تنزّل منزلة النسخة الاصلية · وقد علقت عليها تفسيرًا لما فيها من غريب اللفظ وضبطتُ الفاظها بالشكل الكامل (1) لتجري الفاظ اللغة على السنة التلامذة مفسرةً مضبوطةً تعميمًا للفائدة

(1) قد اعتمدت في ضبط الاسماء الاعجمية فيها على ما تداولته الالسنة من ضبطها لغموض حقيقتها وخفائها الا ما امكن الوصول الى حقيقته منها

وبقي ان هذا الكتاب قد اشتمل في اثناء قصصه وامثاله وسياق كلامه على بعض الفاظٍ وعباراتٍ وقصصٍ وامثالٍ لا تصبو اليها آداب هذا العصر ولا يصلح اقراؤها في المدارس وتداولها بين العموم · فعُنيت بتلافي ذلك بابدال الالفاظ والعبارات بغيرها مما يحلّ محلها ويخلو من المحذور · واما القصص والامثال فمنها ما امكن تبديل بعض كلماته بدون مسّ سائره وهو مثل القرد والنجّار ومثل الحرّاث وامرأتيه ومثل البازيار وزوجة المرزبان ومثل ابن آوى والاسد والحمار * ومنها ما لزم تبديل جانبٍ منه وهو قصة المرأة والرجل وقصة امرأة الاسكاف وامرأة الحجّام وواقعة ايلاذ مع ايراخت وحورقناه من باب ايلاذ وبلاذ وايراخت وواقعة ابن الشريف مع المصوّر من باب ابن الملك واصحابه * ومنها ما لزم تبديل موضوعه بآخر مع المحافظة على مغزاه وهو مثل الخادم والرّجل ومثل الخازن والمصوّر * ومنها ما لم يكن بدٌّ من اسقاطه برمّته ووضع سواه مع المحافظة المذكورة وهو مثل الرجل واللصوص ولم يرد غيره * ولا يخفى ما في كل ذلك من خشونة المركب ووعورة المسلك للدخول فيه بين مثل واضع الكتاب ومعرّبه · وعساني ان اكون فيه على هدايةٍ وسدادٍ والله الهادي الى سبيل الرشاد والسلام

نبذة

في تاريخ هذا الكتاب وحيثيتهِ ملخصة بتصرُّف يسير من فصلٍ مطوَّل في مجلة الطبيب لسنتهِ الثانية

سنة ١٨٨٤

اجمع المحققون ان هذا الكتاب من اوضاع الهند واختُلِف في واضعهِ وزمن وضعهِ فقيل هو بيدبا لعهد الاسكندر على ما في مقدمة الكتاب وقيل غيرهُ قبل الميلاد بالفي سنة وقيل بمئتي سنة وقيل غير ذلك والله اعلم

ولم يتقلب على كتاب ما تقلب على هذا الكتاب من الاطوار ولا بلغ كتاب ما بلغ اليه من ترامي الذكر وبُعد الشهرة وكثرة تداوُل الايدي لهُ واشتغال الناس بهِ على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم واجماعهم على ايثارهِ وتفضيلهِ على ما سواهُ من الكتب الموضوعة والاقاصيص المصنوعة وذلك لما اشتمل عليهِ من الاغراض الادبية والسياسية وما استبطنهُ من فنون العلم والحكمة تحت ثوب الفكاهة واللهو بحيث اخذ من كل فؤادٍ موضعاً وكان فيهِ لكل ناظرٍ اربٌ ولكل مطالعٍ لذة

وقد انفرد عن سائر ما كُتب في هذا النوع بمزيتين هما حدُّ الإعجاز. أُولاهما كثرة ما فيهِ من الحكايات المتواصلة والامثال المتداخلة بحيث يجد فيهِ المتفكه فنوناً من الحديث ذاهبةً كلَّ مذهب على ارتباط بعضها ببعض وايراد كلٍ عن سبب. والثانية انهُ لم يخط فيه حرفٌ الاَّ قُصد بهِ شيءٌ من الحكمة العائدة الى توفير مادة العقل وتهذيب السيرة والسريرة والدربة في الاحوال المعاشية والمعادية فهو من الوجهين غايةٌ في بابهِ لا تجد لهُ مثيلاً في جميع ما اشبههُ من التصانيف حتى انهُ معدودٌ من كنوز الحكمة المشرقية بل الحكمة الآدمية التي لم يجتمع منها في كتابٍ ما اجتمع فيهِ على

صغر حجمه وقلة جرمه. ولذلك عُنيت كلُّ امةٍ من امم الحضارة مذ عهد الفرس والعرب من بعدهم الى عهدنا هذا بنقله الى لسانها فقد نُقل الى الفارسية والعربية واليونانية واللاتينية والعبرانية والسريانية والطليانية والاسبانيولية والفرنسوية والالمانية والتركية والملقية والهندية الحديثة وغيرها وذلك قلما وقع لكتابٍ غيرهِ. وكل هذه النسخ ما خلا النسخة الفارسية مأخوذ عن نسخة ابن المقفع هذه. وما زال مطمحاً لنظر الملوك ومحلاً لارتياحها وايثارها وشغلاً شاغلاً لاهل العلم حتى استخدم كثيراً من اكابرهم وخاصتهم بنقلهِ وتهذيبه ومعارضته ونظمه شعراً وتحويل ما لا يوافق رأيها منه الى ما يوافقهُ. وحسبك انهُ على كثرة نسخهِ الى كل لسان لا تكاد تجد واحدة منها تطابق الاخرى بل كثيراً ما ترى في اللسان الواحد منه عدة نسخ كل واحدة منها صورة مستقلة وهو منتهى العجب

وكل الكتاب معرَّبٌ الاَّ باب عرض الكتاب فانهُ عربي الوضع لعبد الله بن المقفع زاده عند تعريبهِ لهذا الكتاب شرح فيه بيان ما تضمنه والغاية التي جرى اليها واضعهُ والثمرة التي ينبغي للحكيم ان يلتمسها فيه. وقد عارض في هذا الباب سائر ابواب الكتاب بما اودعه من الحكمة وضرب الامثال مما دلَّ على ما أُوتيه من قوة الذهن ونُبل النفس وسعة الخاطر فضلاً عما اودع الكتاب برمته من الفصاحة والسبك وحسن اختيار الالفاظ والاساليب حتى لا يتبيَّن فيه اثر للتعريب فهو آيةٌ في الفصاحة وغايةٌ في الرشاقة

باب

مُقَدِّمَةِ ٱلْكِتَابِ

قَدَّمَهَا بَهْنُودُ بْنُ سَحْوَانَ وَيُعْرَفُ بِعَلِيِّ بْنِ ٱلشَّاهِ ٱلْفَارِسِيِّ. ذَكَرَ فِيهَا ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِهِ عَمِلَ بَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفُ ٱلْهِنْدِيُّ رَأْسُ ٱلْبَرَاهِمَةِ[1] لِدَبْشَلِيمَ مَلِكِ ٱلْهِنْدِ كِتَابَهُ ٱلَّذِي سَمَّاهُ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ وَجَعَلَهُ عَلَى أَلْسُنِ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلطَّيْرِ صِيَانَةً لِغَرَضِهِ فِيهِ مِنَ ٱلْعَوَامِّ. وَضِنًّا[2] بِمَا ضَمَّنَهُ عَنِ ٱلطَّغَامِ[3]. وَتَنْزِيهًا لِلْحِكْمَةِ وَفُنُونِهَا وَمَحَاسِنِهَا وَعُيُونِهَا[4]. إِذْ هِيَ لِلْفَيْلَسُوفِ مَنْدُوحَةٌ[5]. وَلِلْخَاطِرِ مَفْتُوحَةٌ. وَلِمُحِبِّيهَا تَثْقِيفٌ[6]. وَلِطَالِبِيهَا تَشْرِيفٌ. وَذَكَرَ ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَنْفَذَ[7] كِسْرَى أَنُوشِرْوَانُ بْنُ قُبَاذَ بْنِ فَيْرُوزَ مَلِكُ ٱلْفُرْسِ بَرْزَوَيْهِ رَأْسَ أَطِبَّاءِ فَارِسَ إِلَى بِلَادِ ٱلْهِنْدِ لِأَجْلِ كِتَابِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ. وَمَا كَانَ مِنْ تَلَطُّفِ بَرْزَوَيْهِ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى ٱلْهِنْدِ حَتَّى حَضَرَ إِلَيْهِ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي ٱسْتَنْسَخَهُ لَهُ سِرًّا مِنْ خِزَانَةِ ٱلْمَلِكِ لَيْلًا مَعَ مَا وَجَدَ مِنْ كُتُبِ عُلَمَاءِ ٱلْهِنْدِ. وَقَدْ ذَكَرَ

١ عباد الهنود ٢ بخلا ٣ الارذال الادنياء ٤ خيارها ٥ متسعة ٦ تقويم ٧ ارسل

ٱلَّذِي كَانَ مِنْ بَعْثَةِ بَرْزَوَيْهِ إِلَى مَمْلَكَةِ ٱلْهِنْدِ لِأَجْلِ نَقْلِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ. وَذَكَرَ فِيهَا مَا يَلْزَمُ مُطَالِعَهُ مِنْ إِتْقَانِ قِرَاءَتِهِ وَٱلْقِيَامِ بِدِرَاسَتِهِ وَٱلنَّظَرِ إِلَى بَاطِنِ كَلَامِهِ. وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ كَذٰلِكَ لَمْ يَحْصُلْ عَلَى ٱلْغَايَةِ مِنْهُ. وَذَكَرَ فِيهَا حُضُورَ بَرْزَوَيْهِ وَقِرَاءَةَ ٱلْكِتَابِ جَهْرًا وَقَدْ ذَكَرَ ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ بُزُرْجُمْهُرُ بَابًا مُفْرَدًا يُسَمَّى بَابَ بَرْزَوَيْهِ ٱلطَّبِيبِ وَذَكَرَ فِيهِ شَأْنَ بَرْزَوَيْهِ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ وَآنِ مَوْلِدِهِ إِلَى أَنْ بَلَغَ ٱلتَّأْدِيبَ وَأَحَبَّ ٱلْحِكْمَةَ وَٱعْتَبَرَ[1] فِي أَقْسَامِهَا. وَجَعَلَهُ قَبْلَ بَابِ ٱلْأَسَدِ وَٱلثَّوْرِ ٱلَّذِي هُوَ أَوَّلُ ٱلْكِتَابِ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ ٱلشَّاهِ ٱلْفَارِسِيُّ. كَانَ ٱلسَّبَبُ ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ بَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفُ لِدَبْشَلِيمَ مَلِكِ ٱلْهِنْدِ كِتَابَ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ أَنَّ ٱلْإِسْكَنْدَرَ ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ ٱلرُّومِيَّ لَمَّا فَرَغَ مِنْ أَمْرِ ٱلْمُلُوكِ ٱلَّذِينَ كَانُوا بِنَاحِيَةِ ٱلْمَغْرِبِ سَارَ يُرِيدُ مُلُوكَ ٱلْمَشْرِقِ مِنَ ٱلْفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ. فَلَمْ يَزَلْ يُحَارِبُ مَنْ نَازَعَهُ. وَيُوَاقِعُ[2] مَنْ وَاقَعَهُ. وَيُسَالِمُ مَنْ وَادَعَهُ[3] مِنْ مُلُوكِ ٱلْفُرْسِ وَهُمُ ٱلطَّبَقَةُ ٱلْأُولَى حَتَّى ظَهَرَ عَلَيْهِمْ[4] وَقَهَرَ مَنْ نَاوَاهُ[5] وَتَغَلَّبَ عَلَى مَنْ حَارَبَهُ فَتَفَرَّقُوا طَرَائِقَ[6]. وَتَمَزَّقُوا حَزَائِقَ[7]. فَتَوَجَّهَ بِٱلْجُنُودِ نَحْوَ بِلَادِ ٱلصِّينِ فَبَدَأَ فِي

١ اي نظر وبحث ٢ يحارب ٣ سالمه ٤ غلبهم ٥ عاداه ٦ اي فرقا ٧ قطعا

طريقه بملك الهند ليدعوه إلى طاعته والدخول في ملته وولايته [1] . وكان على الهند في ذلك الزمان ملك ذو سطوة وبأس . وقوة ومراس [2] . يقال له فور . فلما بلغه إقبال ذي القرنين نحوه تأهب [3] لمحاربته . واستعد لمجاذبته [4] وضم إليه أطرافه [5] وجد في التألب [6] عليه وجمع له العدة [7] . في أسرع مدة . من الفيلة [8] المعدة [9] للحروب . والسباع [10] المضراة بالوثوب [11] . مع الخيول المسرجة والسيوف القواطع والحراب اللوامع .

فلما قرب ذو القرنين من فور الهندي وبلغه ما قد أعد له من الخيل . التي كأنها قطع الليل . مما لم يلقه بمثله أحد من الملوك الذين كانوا في الأقاليم . تخوف ذو القرنين من تقصير يقع به إن عجل المبارزة . وكان ذو القرنين رجلاً ذا حيل ومكايد مع حسن تدبير وتجربة . فرأى [12] إعمال الحيلة والتمهل واحتفر خندقاً [13] على عسكره وأقام بمكانه لاستنباط الحيلة والتدبير

١ سلطانه ٢ شدة ٣ تهيأ ٤ منازعته ٥ اي جمع ما تفرق من قواه ٦ التجمع ٧ ما يعد من مال وسلاح ونحوهما ٨ جمع فيل ٩ المهيأة ١٠ الحيوانات المفترسة ١١ المعودة عليه ١٢ من الراي ١٣ حفير يحفر حول اسوار المدن

لأمره وكيف ينبغي له أن يقدم على الإيقاع [1] به فاستدعى بالمنجمين وأمرهم بالاختيار ليوم موافق تكون له فيه سعادة لمحاربة ملك الهند والنصرة عليه . فاشتغلوا بذلك * وكان ذو القرنين لا يمر بمدينة إلا أخذ الصناع المشهورين من صناعها بالحذق من كل صنف . فتنجت له همته ودلته فطنته أن يتقدم إلى الصناع [2] الذين معه أن يصنعوا خيلاً من نحاس مجوفة عليها تماثيل من الرجال على بكر تجري اذا دفعت مرت سراعاً . وأمر إذا فرغوا منها أن تحشى أجوافها بالنفط والكبريت وتلبس وتقدم أمام الصف في القلب . ووقت ما يلتقي الجمعان تضرم فيها النيران فإن الفيلة إذا لفت خراطيمها على الفرسان وهي حامية ولت هاربة . وأوعز إلى الصناع [3] بالتشمير [4] والانكماش [5] والفراغ منها . فجدوا في ذلك وعجلوا وقرب أيضاً وقت اختيار المنجمين فأعاد ذو القرنين رسله إلى فور بما يدعوه إليه من طاعته والإذعان [6] لدولته . فأجاب جواب مصر على مخالفته مقيم على محاربته

١ البطش ٢ يأمرهم ويوصيهم ٣ اشار اليهم ٤ الجد ٥ الاسراع ٦ لانقياد

فلما رأى ذو القرنين عزيمته سار إليه بأهبته[١] وقدم
فور الفيلة أمامه ودفعت الرجال تلك الخيل وتماثيل الفرسان
فأقبلت الفيلة نحوها ولفت خراطيمها عليها . فلما أحست بالحرارة
ألقت من كان عليها وداستهم تحت أرجلها ومضت مهزومة
هاربة لا تلوي على شيء[٢] ولا تمر بأحد إلا وطئته[٣] . وتقطع[٤]
فور وجمعه وتبعهم أصحاب الإسكندر وأثخنوا فيهم الجراح[٥] .
وصاح الإسكندر يا ملك الهند ابرز إلينا وابق على عدتك
وعيالك ولا تحملهم إلى الفناء . فإنه ليس من المروءة أن يرمي
الملك بعدته في المهالك المتلفة والمواضع المجحفة[٦] بل
يقيهم بماله ويدفع عنهم بنفسه . فابرز إلي ودع الجند فأينا قهر
صاحبه فهو الأسعد فلما سمع فور من ذي القرنين ذلك الكلام
دعته نفسه إلى ملاقاته طمعاً فيه وظن ذلك فرصة . فبرز إليه
الإسكندر فتجاولا على ظهري فرسيهما ساعات من النهار ليس
يلقى أحدهما من صاحبه فرصة ولم يزالا يتعاركان . فلما أعيا[٧]
الإسكندر أمره ولم يجد فرصة ولا حيلة أوقع ذو القرنين في

١ عدته ٢ أي لا تقف ٣ داسته ٤ تشتت ٥ أي بالغوا في جراحهم ٦ المهلكة ٧ أعجز

عسكره صيحة عظيمة ارتجت لها الأرض والعساكر . فالتفت فور
عندما سمع الزعقة وظنها مكيدة في عسكره . فعاجله ذو القرنين
بضربة أمالته عن سرجه أتبعها بأخرى فوقع إلى الأرض . فلما
رأت الهنود ما نزل بهم وما صار إليه ملكهم حملوا على الإسكندر
فقاتلوه قتالاً أحبوا معه الموت . فوعدهم من نفسه الإحسان
ومنحه الله أكتافهم[١] فاستولى على بلادهم وملك عليهم
رجلاً من ثقاته[٢] . وأقام بالهند حتى استوسق[٣] له ما أراد من
أمرهم واتفاق كلمتهم . ثم انصرف عن الهند وخلف ذلك
الرجل عليهم ومضى متوجهاً نحو ما قصد له

فلما بعد ذو القرنين عن الهند بجيوشه تغيرت الهنود عما
كانوا عليه من طاعة الرجل الذي خلفه عليهم وقالوا ليس
يصلح للسياسة ولا ترضى الخاصة والعامة أن يملكوا عليهم
رجلاً ليس هو منهم ولا من أهل بيوتهم فإنه لا يزال يستذلهم
ويستقلهم . واجتمعوا يملكون عليهم رجلاً من أولاد ملوكهم .
فملكوا عليهم ملكاً يقال له دبشليم وخلعوا الرجل الذي

١ أي مكنه منهم ٢ أي ممن يثق بهم ٣ اجتمع

كَانَ خَلَفَهُ عَلَيْهِمِ ٱلْإِسْكَنْدَرُ. فَلَمَّا ٱسْتَوْسَقَ لَهُ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَقَرَّ لَهُ ٱلْمُلْكُ طَغَى وَبَغَى وَتَجَبَّرَ وَتَكَبَّرَ وَجَعَلَ يَغْزُو مَنْ حَوْلَهُ مِنَ ٱلْمُلُوكِ وَكَانَ مَعَ ذٰلِكَ مُؤَيَّدًا مُظَفَّرًا مَنْصُورًا فَهَابَتْهُ ٱلرَّعِيَّةُ. فَلَمَّا رَأَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمُلْكِ وَٱلسَّطْوَةِ عَبِثَ بِٱلرَّعِيَّةِ[1] وَٱسْتَصْغَرَ أَمْرَهُمْ وَأَسَاءَ ٱلسِّيرَةَ فِيهِمْ وَكَانَ لَا يَرْتَقِي حَالُهُ إِلَّا ٱزْدَادَ عُتُوًّا[2]. فَمَكَثَ[3] عَلَى ذٰلِكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ

وَكَانَ فِي زَمَانِهِ رَجُلٌ فَيْلَسُوفٌ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةِ فَاضِلٌ حَكِيمٌ يُعْرَفُ بِفَضْلِهِ وَيُرْجَعُ فِي ٱلْأُمُورِ إِلَى قَوْلِهِ يُقَالُ لَهُ بَيْدَبَا. فَلَمَّا رَأَى ٱلْمَلِكَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلظُّلْمِ لِلرَّعِيَّةِ فَكَّرَ فِي وَجْهِ ٱلْحِيلَةِ فِي صَرْفِهِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ وَرَدِّهِ إِلَى ٱلْعَدْلِ وَٱلْإِنْصَافِ. فَجَمَعَ لِذٰلِكَ تَلَامِذَتَهُ وَقَالَ أَتَعْلَمُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أُشَاوِرَكُمْ فِيهِ. ٱعْلَمُوا أَنِّي أَطَلْتُ ٱلْفِكْرَةَ فِي دَبْشَلِيمَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْخُرُوجِ عَنِ ٱلْعَدْلِ وَلُزُومِ ٱلشَّرِّ وَرَدَاءَةِ ٱلسِّيرَةِ وَسُوءِ ٱلْعِشْرَةِ مَعَ ٱلرَّعِيَّةِ. وَنَحْنُ مَا نَرُوضُ أَنْفُسَنَا[4] لِمِثْلِ هٰذِهِ ٱلْأُمُورِ إِذَا ظَهَرَتْ مِنَ ٱلْمُلُوكِ إِلَّا لِنَرُدَّهُمْ إِلَى فِعْلِ ٱلْخَيْرِ وَلُزُومِ ٱلْعَدْلِ. وَمَتَى أَغْفَلْنَا[5]

---

١ اي اساء معاملتهم ٢ تجبرًا ٣ اقام ٤ من رياضة الدابة اي نوطن انفسنا ونهذها ٥ تركنا

ذٰلِكَ وَأَهْمَلْنَاهُ لَزِمَنَا مِنْ وُقُوعِ ٱلْمَكْرُوهِ بِنَا وَبُلُوغِ ٱلْمَحْذُورَاتِ إِلَيْنَا أَنْ كُنَّا فِي أَنْفُسِ ٱلْجُهَّالِ أَجْهَلَ مِنْهُمْ وَفِي ٱلْعُيُونِ عِنْدَهُمْ أَقَلَّ مِنْهُمْ. وَلَيْسَ ٱلرَّأْيُ عِنْدِي ٱلْجَلَاءَ[1] عَنِ ٱلْوَطَنِ وَلَا يَسَعُنَا فِي حِكْمَتِنَا إِبْقَاؤُهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ ٱلسِّيرَةِ وَقُبْحِ ٱلطَّرِيقَةِ وَلَا يُمْكِنُنَا مُجَاهَدَتُهُ[2] بِغَيْرِ أَلْسِنَتِنَا وَلَوْ ذَهَبْنَا إِلَى أَنْ نَسْتَعِينَ بِغَيْرِنَا لَمْ تَتَهَيَّأْ لَنَا مُعَانَدَتُهُ. وَإِنْ أَحَسَّ مِنَّا بِمُخَالَفَتِهِ وَإِنْكَارِنَا سُوءَ سِيرَتِهِ كَانَ فِي ذٰلِكَ بَوَارُنَا[3]. وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مُجَاوَرَةَ ٱلسَّبُعِ وَٱلْكَلْبِ وَٱلْحَيَّةِ وَٱلثَّوْرِ عَلَى طِيبِ ٱلْوَطَنِ وَنَضَارَةِ ٱلْعَيْشِ[4] غَدْرٌ بِٱلنَّفْسِ. وَإِنَّ ٱلْفَيْلَسُوفَ لَحَقِيقٌ[5] أَنْ تَكُونَ هِمَّتُهُ مَصْرُوفَةً إِلَى مَا يُحَصِّنُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ نَوَازِلِ ٱلْمَكْرُوهِ وَلَوَاحِقِ ٱلْمَحْذُورِ وَيَدْفَعُ ٱلْمَخُوفَ لِٱسْتِجْلَابِ ٱلْمَحْبُوبِ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّ فَيْلَسُوفًا كَتَبَ إِلَى تِلْمِيذِهِ يَقُولُ إِنَّ مُجَاوَرَةَ رِجَالِ ٱلسُّوءِ وَٱلْمُصَاحَبَةَ لَهُمْ كَرَاكِبِ ٱلْبَحْرِ إِنْ هُوَ سَلِمَ مِنَ ٱلْغَرَقِ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ ٱلْمَخَاوِفِ. فَإِذَا هُوَ أَوْرَدَ نَفْسَهُ مَوَارِدَ ٱلْهَلَكَاتِ وَمَصَادِرَ ٱلْمَخُوفَاتِ عُدَّ مِنَ ٱلْحَمِيرِ ٱلَّتِي لَا نَفْسَ لَهَا. لِأَنَّ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْبَهِيمِيَّةَ

---

١ الانتزاح ٢ مقاتلته ٣ هلاكنا ٤ اي طيبه ٥ اهلٌ

قد خصت في طباعها بمعرفة ما تكتسب به النفع وتتوقى المكروه. وذلك أنا لم نرها تورد أنفسها موردا فيه هلكتها. وأنها متى أشرفت على مورد مهلك لها مالت بطباعها التي ركبت فيها شحا بأنفسها وصيانة لها إلى النفور والتباعد عنه. وقد جمعتكم لهذا الأمر لأنكم أسرتي[2] ومكان سري وموضع معرفتي وبكم أعتضد[3] وعليكم أعتمد. فإن الوحيد في نفسه والمنفرد برأيه حيث كان فهو ضائع ولا ناصر له. على أن العاقل قد يبلغ بحيلته ما لا يبلغ بالخيل والجنود

والمثل في ذلك أن قنبرة اتخذت أدحية[4] وباضت فيها على طريق الفيل. وكان للفيل مشرب يتردد إليه. فمر ذات يوم على عادته ليرد مورده فوطئ عش القنبرة وهشم بيضها وقتل فراخها. فلما نظرت ما ساءها علمت أن الذي نالها[5] من الفيل لا من غيره. فطارت فوقعت على رأسه باكية ثم قالت أيها الملك لم هشمت بيضي وقتلت فراخي وأنا في جوارك. أفعلت هذا استصغارا منك لأمري واحتقارا لشأني. قال

١ بجلاء ٢ قومي وعشيرتي ٣ استعين ٤ وكرا ٥ اصابها

هو الذي حملني على ذلك. فتركته وانصرفت إلى جماعة الطير فشكت إليها ما نالها من الفيل. فقلن لها وما عسى أن نبلغ منه ونحن طيور. فقالت للعقاعق والغربان أحب منكن أن تصرن معي إليه فتفقأن عينيه فإني أحتال له بعد ذلك بحيلة أخرى. فأجبنها إلى ذلك وذهبن إلى الفيل فلم يزلن ينقرن عينيه حتى ذهبن بهما وبقي لا يهتدي إلى طريق مطعمه ومشربه إلا ما يقمه[1] من موضعه. فلما علمت ذلك منه جاءت إلى غدير[2] فيه ضفادع كثيرة فشكت إليها ما نالها من الفيل. قالت الضفادع ما حيلتنا نحن في عظم الفيل وأين نبلغ منه. قالت أحب منكن أن تصرن معي إلى وهدة[3] قريبة منه فتنققن[4] فيها وتضججن. فإنه إذا سمع أصواتكن لم يشك في الماء فيهوي فيها. فأجبنها إلى ذلك واجتمعن في الهاوية. فسمع الفيل نقيق الضفادع وقد جهده العطش فأقبل حتى وقع في الوهدة فاغتطم[5] فيها. وجاءت القنبرة ترفرف على رأسه وقالت أيها الطاغي المغتر بقوته المحتقر لأمري. كيف رأيت عظم حيلتي مع صغر جثتي

١ يتناوله عن وجه الارض ٢ مستنقع ٣ هوة ٤ من النقيق وهو صوت الضفادع ٥ هلك

عند عظم جنتك وصغر همتك

فليشر كل واحد منكم بما ينتج له من الرأي. قالوا بأجمعهم: أيها الفيلسوف الفاضل والحكيم العادل. أنت المقدم فينا والفاضل علينا. وما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك وفهمنا عند فهمك. غير أنا نعلم أن السباحة في الماء مع التمساح تغرير[2] والذنب فيه لمن دخل عليه في موضعه. والذي يستخرج السم من ناب الحية فيبتلعه ليجربه على نفسه فليس الذنب للحية. ومن دخل على الأسد في غابته[3] لم يأمن وثبته[4]. وهذا الملك لم تفزعه النوائب ولم تؤدبه التجارب. ولسنا نأمن عليك من سطوته ومبادرته[5] بسوء إذا لقيته بغير ما يحب. فقال الحكيم بيدبا: لعمري لقد قلتم فأحسنتم. لكن ذا الرأي الحازم لا يدع أن يشاور من هو دونه أو فوقه في المنزلة. والرأي الفرد لا يكتفى به في الخاصة ولا ينتفع به في العامة. وقد صحت عزيمتي[6] على لقاء دبشليم. وقد سمعت مقالتكم وتبين لي نصيحتكم والإشفاق علي وعليكم. غير أني قد

١ يخرج ٢ تعريض النفس للهلكة ٣ [illegible] ٤ حدته
٥ سطوته ٦ أي [illegible]

رأيت رأيا وعزمت عزما وستعرفون حديثي عند الملك ومجاوبتي إياه. فإذا اتصل بكم خروجي من عنده فاجتمعوا إلي. وصرفهم وهم يدعون له بالسلامة.

ثم إن بيدبا اختار يوما للدخول على الملك. حتى إذا كان ذلك الوقت ألقى عليه مسوحه[1] وهي لباس البراهمة وقصد باب الملك وسأل عن صاحب إذنه[2] وأرشد إليه وسلم عليه وأعلمه وقال له: إني رجل قصدت الملك في نصيحة. فدخل الآذن[3] على الملك في وقته وقال: بالباب رجل من البراهمة يقال له بيدبا ذكر أن معه للملك نصيحة. فأذن له فدخل ووقف بين يديه وكفر[4] وسجد له واستوى[5] قائما وسكت. وفكر دبشليم في سكوته وقال: إن هذا لم يقصدنا إلا لأمرين. إما لالتماس منا شيئا يصلح به حاله. وإما لأمر لحقه فلم يكن له به طاقة. ثم قال: إن كان للملوك فضل في مملكتها فإن للحكماء فضلا في حكمتها أعظم. لأن الحكماء أغنياء عن الملوك بالعلم. وليس الملوك بأغنياء عن الحكماء بالمال. وقد وجدت العلم

١ جمع مسح وهو ثوب من شعر ٢ حاجبه ٣ صاحب الاذن ٤ اي خضع وتطامن ٥ اي نهض

والحياء اثنين متآلفين لا يفترقان متى فقد أحدهما لم يوجد الآخر. كالمتصافيين[1] إن عدم منهما أحد لم يطب صاحبه نفسا بالبقاء بعده تأسفا عليه. ومن لم يستحي من الحكماء ويكرمهم ويعرف فضلهم على غيرهم ويصنهم عن المواقف الواهنة[2] وينزههم عن المواطن الرذلة[3] كان ممن حرم عقله وخسر دنياه وظلم الحكماء حقوقهم وعد من الجهال

ثم رفع رأسه إلى بيدبا وقال له نظرت إليك يا بيدبا ساكتا لا تعرض حاجتك ولا تذكر بغيتك[4] فقلت إن الذي أسكته هيبة ساورته[5] أو حيرة أدركته. وتأملت عند ذلك في طول وقوفك وقلت لم يكن لبيدبا أن يطرقنا[6] على غير عادة إلا لأمر حركه إلى ذلك. فإنه من أفضل أهل زمانه فهلا نسأله عن سبب دخوله. فإن يكن من ضيم ناله كنت أولى من أخذ بيده وسارع في تشريفه وتقدم في البلوغ إلى مراده وإعزازه. وإن كانت بغيته غرضا من أغراض الدنيا أمرت بإرضائه من ذلك فيما أحب. وإن يكن من أمر الملك ومما لا ينبغي للملوك أن يبذلوه من

١ المتوادين ٢ الضعيفة ٣ الرديئة ٤ طلبتك ٥ غالبته ٦ يأتينا

أنفسهم ولا ينقادوا إليه نظرت في قدر عقوبته. على أن مثله لم يكن ليجترئ على إدخال نفسه في باب مسألة الملوك. وإن كان شيئا من أمور الرعية يقصد فيه أن أصرف عنايتي إليهم نظرت ما هو. فإن الحكماء لا يشيرون إلا بالخير والجهال يشيرون بضده. وأنا قد فسحت[1] لك في الكلام. فلما سمع بيدبا ذلك من الملك أفرخ[2] عنه روعه[3] وسري[4] ما كان وقع في نفسه من خوفه وكفر له وسجد ثم قام بين يديه وقال

أول ما أقول أني أسأل الله تعالى بقاء الملك على الأبد. ودوام ملكه على الأمد[5]. لأنه قد منحني الملك في مقامي هذا محلا جعله شرفا لي على جميع من بعدي من العلماء. وذكرا باقيا على الدهر عند الحكماء. ثم أقبل على الملك بوجهه مستبشرا به فرحا بما بدا له منه وقال قد عطف علي الملك بكرمه وإحسانه. والأمر الذي دعاني إلى الدخول على الملك وحملني على المخاطرة في كلامه والإقدام عليه نصيحة اختصصته بها دون غيره. وسيعلم من يتصل به ذلك أني لم

١ اي اذنت ٢ انكشف وسكن ٣ فزعه ٤ اي زال ٥ المدى

أقصر عن غاية في يجب للمولى على الحكماء فإن فسح في
كلامي ووعاه[1] عني فهو حقيق بذلك وإن هو ألغاه فقد
بلغت ما يلزمني وخرجت من لوم يلحقني. قال الملك يا بيدبا
تكلم مهما شئت فإنني مصغ إليك ومقبل عليك وسامع
منك حتى أستفرغ ما عندك إلى آخره وأجزيك على ذلك
بما أنت أهله

قال بيدبا إني وجدت الأمور التي اختص بها الإنسان
من بين سائر الحيوان أربعة أشياء وهي جماع[2] ما في العالم.
وهي الحكمة والعفة والعقل والعدل. والعلم والأدب والروية[3]
داخلة في باب الحكمة والحلم والصبر والوقار داخلة في باب
العقل. والحياء والكرم والصيانة والأنفة[4] داخلة في باب العفة.
والصدق والإحسان والمراقبة[5] وحسن الخلق داخلة في باب
العدل * وهذه هي المحاسن وأضدادها هي المساوئ. فمتى
كملت هذه في واحد لم تخرجه النقص في نعمته إلى سوء
الحظ من دنياه ولا إلى نقص من عقباه[6] ولم يتأسف على ما

١ حفظه ٢ اي جميع ٣ اعمال الفكر ٤ الترفع عن الدنايا ٥ التقوى
٦ آخرته

لم يعن التوفيق ببقائه ولم يحزنه ما تجري به المقادير[1] في
ملكه ولم يدهش[2] عند مكروه. فالحكمة كنز لا يفنى على
الإنفاق. وذخيرة لا يضرب لها بالإملاق[3] وحلة لا تخلق[4]
جدتها. ولذة لا تصرم[5] مدتها * ولئن كنت عند مقامي بين يدي
الملك أمسكت[6] عن ابتدائه بالكلام فإن ذلك لم يكن
مني إلا لهيبته والإجلال له. ولعمري إن الملوك لأهل أن
يهابوا ولا سيما من هو في المنزلة التي جل فيها الملك عن
منازل الملوك قبله. وقد قالت العلماء الزم السكوت فإن
فيه السلامة. وتجنب الكلام الفارغ فإن عاقبته الندامة *
وحكي أن أربعة من العلماء ضمهم مجلس ملك فقال لهم
ليتكلم كل منكم بكلام يكون أصلاً للأدب * فقال أحدهم
أفضل خلة[7] العلماء السكوت. وقال الثاني إن من أنفع
الأشياء للإنسان أن يعرف قدر منزلته من عقله. وقال
الثالث أنفع الأشياء للإنسان أن لا يتكلم بما لا يعنيه. وقال
الرابع أروح[8] الأمور للإنسان التسليم للمقادير * واجتمع

١ احكام الزمان ٢ يتحير ٣ الفقر اي لا يفتقر صاحبها ٤ تبلى ٥ تنقطع
٦ امتنعت ٧ خصلة ٨ تفضيل من الراحة

في بعض الزمان ملوك الأقاليم من الصين والهند وفارس والروم وقالوا ينبغي أن يتكلم كل منا بكلمة تدوّن عنه على غابر[١] الدهر. فقال ملك الصين أنا على ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت. قال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة فإن كانت له لم تنفعه وإن كانت عليه أوبقته[٢]. قال ملك فارس أنا إذا تكلمت بالكلمة ملكتني وإذا لم أتكلم بها ملكتها. قال ملك الروم ما ندمت على ما لم أتكلم به قط ولقد ندمت على ما تكلمت به كثيرًا. والسكوت عند الملوك أحسن من الهذر[٣] الذي لا يرجع منه إلى نفع. وأعضل[٤] ما استضل[٥] به الإنسان لسانه. غير أن الملك أطال الله مدته لما فسح لي في الكلام وأوسع لي فيه كان أولى ما أبدأ به من الأمور التي هي غرضي أن تكون ثمرة ذلك له دوني وأن أختصه بالفائدة قبلي. على أن العقبى[٦] هي ما أقصد في كلامي له. وإنما نفعه وشرفه راجع إليه وأكون قد قضيت فرضًا وجب علي فأقول

---

١ باقي ٢ اهلكته ٣ ما لا ينبغي من الكلام ٤ من قولهم داء عضال اي يعجز الاطباء ٥ حمل على الضلال ٦ العاقبة

أيها الملك إنك في منازل آبائك وأجدادك من الجبابرة الذين أسسوا الملك قبلك وشيدوه دونك وبنوا القلاع والحصون ومهدوا البلاد وقادوا الجيوش واستجاشوا[١] العدة. وطالت لهم المدة. واستكثروا من السلاح والكراع[٢] وعاشوا الدهور في الغبطة[٣] والسرور. فلم يمنعهم ذلك من اكتساب جميل الذكر. ولا قطعهم عن اغتنام الشكر. واستعمال الإحسان إلى من خولوه[٤]. والرفق[٥] بمن ولوه[٦]. وحسن السيرة فيما تقلدوه. مع عظم ما كانوا فيه من غرة[٧] الملك وسكرة الاقتدار. وإنك أيها الملك السعيد جده الطالع كوكب سعده قد ورثت أرضهم وديارهم وأموالهم ومنازلهم التي كانت عدتهم فأقمت فيما خولت من الملك وورثت من الأموال والجنود ولم تقم في ذلك بحق ما يجب عليك بل طغيت وبغيت وعتوت وعلوت على الرعية وأسأت السيرة وعظمت منك البلية. وكان الأولى والأشبه[٨] بك أن تسلك سبيل أسلافك وتتبع آثار الملوك قبلك وتقفو[٩] محاسن ما أبقوه لك وتقلع[١٠] عما عاره

---

١ جمعوا ٢ الدواب ٣ حسن الحال ٤ ملكوه ٥ اللين واللطف ٦ تولوا عليه ٧ الاسم من الاغترار بمناه ٨ اى الاليق ٩ تتبع ١٠ تكف

لازمت سنته وشيمته[1] وارفع بك وحسن النظر برعيتك وتسن لهم سنن الخير الذي يبقى بعدك ذكره . ويعقبك[2] الجميل فخره ويكون ذلك أبقى على السلامة . وأدوم على الاستقامة . فإن الجاهل المغتر من استعمل في أموره البطر والأمنية[3] . والحازم اللبيب من ساس الملك بالمداراة والرفق * فانظر أيها الملك فيما ألقيت إليك . ولا يثقلن ذلك عليك . فلم أتكلم بهذا ابتغاء عرض تجزيني به ولا التماس معروف تسوقه إلي . ولكني أتيتك ناصحا مشفقا عليك

فلما فرغ بيدبا من مقالته وقضى مناصحته أوغر قلب الملك[4] فأغلظ له في الجواب استصغارا لأمره وقال لقد تكلمت بكلام ما كنت أظن أن أحدا من أهل مملكتي يستقبلني بمثله ولا يقدم على ما أقدمت عليه . فكيف أنت مع صغر شأنك وضعف منتك[5] وعجز قوتك . ولقد أكثرت إعجابي[6] من إقدامك علي وتسلطك بلسانك فيما جاوزت فيه حدك وما أجد شيئا في تأديب غيرك أبلغ من التنكيل بك[7]

١ مدارس ٢ اي يورثك ٣ اي التعلل بالآمال ٤ ملأه غيظا
٥ قوتك ٦ حملني على العجب ٧ معاقبتك بما يجعلك عبرة لغيرك

فذلك عبرة وموعظة لمن عساه أن يبلغ ويروم ما رمت أنت من الملوك إذا أوسعوا لهم في مجالسهم . ثم أمر به أن يقتل ويصلب . فلما مضوا به فيما أمر فكر فيما أمر به فأحجم[1] عنه ثم أمر بحبسه وتقييده . فلما حبس أنفذ الملك في طلب تلامذته ومن كان يجتمع إليه فهربوا في البلاد واعتصموا[2] بجزائر البحار . فمكث بيدبا في محبسه أياما لا يسأل الملك عنه ولا يلتفت إليه ولا يجسر أحد أن يذكره عنده حتى إذا كان ليلة من الليالي سهد[3] الملك سهدا شديدا وطال سهده فمد إلى الفلك بصره وتفكر في تفلك[4] الفلك وحركات الكواكب فأغرق[5] الفكر فيه فسلك به إلى استنباط شيء عرض له من أمور الفلك والمسألة عنه . فذكر عند ذلك بيدبا وتفكر فيما كلمه فيه فارعوى[6] لذلك وقال في نفسه لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف وضيعت واجب حقه وحملني على ذلك سرعة الغضب . وقد قالت العلماء أربعة لا ينبغي أن تكون في الملوك . الغضب فإنه أجدر الأشياء مقتا[7] . والبخل فإن

١ تأخر ورجع ٢ امتنعوا ٣ طار نومه ٤ استدارة ٥ بالغ وتعمق
٦ رجع عن رأيه ٧ بغضا

صاحبه ليس بمعذور مع ذات يده[١] والكذب فإنه ليس لأحد
أن يجوزه. والعنف[٢] في المحاورة فإن السفه ليس من شأنها
وإني أتى إلي رجل نصح لي ولم يكن مبلغاً[٣] فعاملته بضد ما
يستحق وكافأته بخلاف ما يستوجب. وما كان هذا جزاؤه مني
بل كان الواجب أن أسمع كلامه وأنقاد لما يشير به. ثم
أنفذ في ساعته من يأتيه به

فلما مثل[٤] بين يديه قال له يا بيدبا ألست الذي قصدت
إلى تقصير همتي وعجزت رأيي[٥] في سيرتي بما تكلمت به آنفاً.
قال له بيدبا أيها الملك الناصح الشفيق الصادق الرفيق[٦]. إنما
نبأتك[٧] بما فيه صلاح لك ولرعيتك ودوام ملكك لك. قال
له الملك يا بيدبا أعد علي كلامك كله ولا تدع منه حرفاً إلا
جئت به. فجعل بيدبا ينثر كلامه والملك مصغ إليه وجعل
دبشليم كلما سمع منه شيئاً ينكت الأرض[٨] بشيء كان في يده
ثم رفع طرفه[٩] إلى بيدبا وأمره بالجلوس. وقال له يا بيدبا إني

١ ميسرته ٢ القسوة والخشونة ٣ اي مبلغاً من طريق المدينة
٤ انتصب ٥ نسبته الى العجز ٦ من الرفق ٧ اخبرتك ٨ يضربها
بقضيب ونحوه وهو مما يفعله المتفكر ٩ نظره

قد استعذبت كلامك وحسن موقعه في قلبي وأنا ناظر في الذي
أشرت به وعامل بما أمرت. ثم أمر بقيوده فحلت وألقى عليه
من لباسه وتلقاه بالقبول. فقال بيدبا أيها الملك إن في دون ما
كلمتك به نهية[١] لمثلك. قال صدقت أيها الحكيم الفاضل
وقد وليتك[٢] من مجلسي هذا إلى جميع أقاصي مملكتي. فقال
له أيها الملك أعفني من هذا الأمر فإني غير مضطلع[٣] بتقويمه
إلا بك فأعفاه من ذلك. فلما انصرف علم أن الذي فعله ليس
برأي. فبعث فرده وقال إني فكرت في إعفائك مما عرضته
عليك فوجدته لا يقوم إلا بك ولا ينهض به غيرك ولا يضطلع
به سواك فلا تخالفني فيه فأجابه بيدبا إلى ذلك

وكان عادة ذلك الزمان إذا استوزروا وزيراً أن يعقدوا
على رأسه تاجاً ويركب في أهل المملكة ويطاف به في المدينة.
فأمر الملك أن يفعل ببيدبا ذلك. فوضع التاج على رأسه وركب
في المدينة ورجع فجلس بمجلس العدل والإنصاف يأخذ للدنيء
من الشريف. ويساوي بين القوي والضعيف. ورد المظالم

١ الاسم من النهي بمعناه ٢ قلدتك الولاية ٣ اي غير قادر عليه

ووضع سنن العدل. وأكثر من العطاء والبذل. واتصل الخبر بتلامذته فجاؤوا من كل مكان فرحين بما جدد الله له من جديد رأي الملك فيه وشكروا الله تعالى على توفيق بيدبا في إزالة دبشليم عما كان عليه من سوء السيرة. واتخذوا ذلك اليوم عيدا يعيدون فيه فهو إلى اليوم عيد يعيدونه في بلاد الهند

ثم إن بيدبا لما أخلى فكره من اشتغاله بدبشليم تفرغ لوضع كتب السياسة ونشط[1] لها فعمل كتبا كثيرة فيها دقائق الحيل. ومضى الملك على ما رسم له بيدبا من حسن السيرة والعدل في الرعية فرغبت[2] إليه الملوك الذين كانوا في نواحيه وانقادت له الأمور على استوائها وفرحت به رعيته وأهل مملكته * ثم إن بيدبا جمع تلامذته فأحسن صلتهم ووعدهم وعدا جميلا وقال لهم لست أشك أنه وقع في نفوسكم وقت دخولي على الملك أن قلتم إن بيدبا قد ضاعت حكمته وبطلت فكرته إذ عزم على الدخول على هذا الجبار الطاغي. فقد علمتم نتيجة رأيي وصحة فكري وإني لم آته جهلا به لأني كنت أسمع من

١ خف وأسرع ٢ اي مالت برغبتها

الحكماء قبلي تقول إن الملوك لها سكرة كسكرة الشراب. فالملوك لا تفيق من السكرة إلا بمواعظ العلماء وأدب الحكماء. والواجب على الملوك أن يتعظوا بمواعظ العلماء والواجب على العلماء تقويم الملوك بألسنتها وتأديبها بحكمتها وإظهار الحجة البينة اللازمة لهم ليرتدعوا عما هم عليه من الاعوجاج والخروج عن العدل * فوجدت ما قالت العلماء فرضا واجبا على الحكماء لملوكهم ليوقظوهم من سنة[1] سكرتهم. كالطبيب الذي يجب عليه في صناعته حفظ الأجساد على صحتها أو ردها إلى الصحة. فكرهت أن يموت أو أن أموت وما يبقى على الأرض إلا من يقول إنه كان بيدبا الفيلسوف في زمان دبشليم الطاغي فلم يرده عما كان عليه. فإن قال قائل إنه لم يمكنه كلامه خوفا على نفسه قلنا كان الهرب منه ومن جواره أولى به. والانزعاج[2] عن الوطن شديد. فرأيت أن أجود بحياتي فأكون قد أتيت فيما بيني وبين الحكماء بعدي عذرا. فحملتها على التغرير أو الظفر بما أريده وكان من ذلك ما أنتم معاينوه. فإنه يقال في بعض

١ نوم ٢ التحوّل والانتقال

الأمثال إنه لم يبلغ أحد مرتبة إلا بإحدى ثلاث. إما بمشقة تناله في نفسه وإما بوضيعة[1] في ماله أو وكس[2] في دينه. ومن لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب[3]. وإن الملك دبشليم قد بسط[4] لساني في أن أضع كتابا فيه ضروب[5] الحكمة. فليضع كل واحد منكم شيئا في أي فن شاء. وليعرضه علي لأنظر مقدار عقله وأين بلغ من الحكمة فهمه. فقالوا أيها الحكيم الفاضل. واللبيب العاقل. والذي[6] وهب لك ما منحك من الحكمة والعقل والأدب والفضيلة ما خطر هذا بقلوبنا ساعة قط. وأنت رئيسنا وفاضلنا وبك شرفنا وعلى يدك انتعاشنا[7]. ولكن سنجهد أنفسنا فيما أمرت. ومكث الملك على ذلك من حسن السيرة زمانا يتولى له ذلك بيدبا ويقوم به

ثم إن الملك دبشليم لما استقر له الملك وسقط عنه النظر في أمور الأعداء بما قد كفاه[8] ذلك بيدبا. صرف همته إلى النظر في الكتب التي وضعتها فلاسفة الهند لآبائه وأجداده. فوقع في نفسه[9] أن يكون له أيضا كتاب مشروح ينسب إليه

١ خسارة ٢ نقصان ٣ ما يرغب فيه ٤ اي اطلق ٥ اصناف ٦ الواو للقسم
٧ يقال انتعش العاثر اي نهض من عثرته ٨ اغناه عنه ٩ اي خطر بباله

ويذكر فيه أيامه كما ذكر آباؤه وأجداده من قبله. فلما عزم على ذلك علم أنه لا يقوم إلا ببيدبا. فدعاه وخلا به وقال له يا بيدبا إنك حكيم الهند وفيلسوفها. وإني فكرت ونظرت في خزائن الحكمة التي كانت للملوك قبلي فلم أر فيهم أحدا إلا وقد وضع كتابا يذكر فيه أيامه وسيرته وينبئ عن أدبه وأهل مملكته. فمنه ما وضعته الملوك لأنفسها وذلك لفضل حكمة فيها. ومنه ما وضعته حكماؤها. وأخاف أن يلحقني ما لحق أولئك مما لا حيلة لي فيه ولا يوجد في خزائني كتاب أذكر به بعدي وأنسب إليه كما ذكر من كان قبلي بكتبهم. وقد أحببت أن تضع لي كتابا بليغا تستفرغ فيه عقلك يكون ظاهره سياسة العامة وتأديبها على طاعة الملك وباطنه أخلاق الملوك وسياستها للرعية فيسقط بذلك عني وعنهم كثير مما نحتاج إليه في معاناة[1] الملك. وأريد أن يبقى لي هذا الكتاب بعدي ذكرا على غابر الدهور. فلما سمع بيدبا كلامه خر له ساجدا ورفع رأسه وقال أيها الملك السعيد جده. علا نجمك وغاب نحسك ودامت

١ معالجة

أيا ملك إن الذي قد طبع عليه الملك من جودة القريحة ووفور
العقل حركه إلى عالي الأمور وسمت به نفسه وهمته إلى أشرف
المراتب منزلة وأبعدها غاية. وأدام الله سعادة الملك وأعانه
على ما عزم من ذلك وأعانني على بلوغ مراده. فليأمر الملك
بما شاء من ذلك فإني صائر[1] إلى غرضه مجتهد فيه برأيي *
قال له الملك يا بيدبا لم تزل موصوفاً بحسن الرأي وطاعة الملوك
في أمورهم. وقد اختبرت منك ذلك. واخترت أن تضع هذا
الكتاب وتعمل فيه فكرك وتجهد فيه نفسك بغاية ما تجد إليه
السبيل. وليكن مشتملاً على الجد والهزل واللهو والحكمة
والفلسفة. فكفر له بيدبا وسجد وقال قد أجبت الملك أدام الله
أيامه إلى ما أمرني به وجعلت بيني وبينه أجلاً[2]. قال وكم
الأجل قال سنة. قال قد أجلتك وأمر له بجائزة سنية[3] تعينه
على عمل الكتاب * فبقي بيدبا مفكراً في الأخذ فيه وفي أي
صورة يبتدئ بها فيه وفي وضعه

ثم إن بيدبا جمع تلامذته وقال لهم إن الملك قد ندبني[4]

١ منتهٍ وواصل ٢ موعداً ٣ رفيعة ٤ دعاني

إلى أمر فيه فخري وفخركم وفخر بلادكم وقد جمعتكم لهذا الأمر.
ثم وصف لهم ما سأل الملك من أمر الكتاب والغرض الذي قصد
فيه فلم يقع لهم الفكر فيه * فلما لم يجد عندهم ما يريده فكر
بفضل حكمته أن ذلك أمر إنما يتم باستفراغ العقل وإعمال
الفكر. وقال أرى السفينة لا تجري في البحر إلا بالملاحين[1]
لأنهم يعدلونها. وإنما تسلك اللجة[2] بمدبرها الذي تفرد
بإمرتها[3]. ومتى شحنت بالركاب الكثيرين وكثر ملاحوها
لم يؤمن عليها من الغرق * ولم يزل يفكر فيما يعمله في باب
الكتاب حتى وضعه على الانفراد بنفسه مع رجل من تلاميذه
كان يثق به. فخلا به منفرداً معه بعد أن أعد[4] من الورق
الذي كانت تكتب فيه الهند شيئاً ومن القوت ما يقوم به وبتلميذه
تلك المدة وجلسا في مقصورة[5] وردا عليهما الباب. ثم بدأ
في نظم الكتاب وتصنيفه ولم يزل هو يملي وتلميذه يكتب
ويرجع هو فيه حتى استقر الكتاب على غاية الإتقان
والإحكام. ورتب فيه خمسة عشر باباً كل باب منها قائم

١ النواتي ٢ معظم الماء ٣ ولايتها ٤ هيأ ٥ حجرة

بنفسه وفي كل باب مسئلة والجواب عنها ليكون لمن نظر فيه حظ[1] من التبصرة والهداية. وضمّن تلك الأبواب كتابا واحدا وسمّاه كتاب كليلة ودمنة. ثم جعل كلامه على ألسن البهائم والسباع والطير ليكون ظاهره لهوا للخواص والعوامّ وباطنه رياضة[2] لعقول الخاصة. وضمّنه أيضا ما يحتاج إليه الإنسان من سياسة نفسه وأهله وخاصته وجميع ما يحتاج إليه من أمر دينه ودنياه وآخرته وأولاه[3] ويحضّه[4] على حسن طاعته الملوك ويجنّبه ما تكون مجانبته خيرا له * ثم جعله باطنا وظاهرا كرسم سائر الكتب التي برسم الحكمة فصار الحيوان لهوا وما ينطق به حكما وأدبا * فلما ابتدأ بيدبا بذلك جعل أوّل الكتاب وصف الصديق كيف يكون صديقان وكيف تقطع المودّة الثابتة بينهما بحيلة ذي النميمة[5]. وأمر تلميذه أن يكتب على لسان بيدبا مثل ما كان الملك شرطه[6] في أن يجعله لهوا وحكمة. فذكر بيدبا أن الحكمة متى دخلها كلام النقلة أفسدها واستجهل حكمتها

---

١ نصيب ٢ اي تمرينا ٣ اي حياته ٤ يحثه ويدعوه ٥ نقل الاحاديث بقصد الافساد ٦ اشترطه

فلم يزل هو وتلميذه يعملان الفكر فيما سأله الملك حتى فتق[1] لهما العقل أن يكون كلامهما على لسان بهيمتين. فوقع لهما موضع اللهو والهزل بكلام البهائم وكانت الحكمة ما نطقا به. فأصغت الحكماء إلى حكمه وتركوا البهائم واللهو وعلموا أنها السبب في الذي وضع لهم ومالت إليه الجهّال عجبا من محاورة بهيمتين ولم يشكّوا في ذلك واتخذوه لهوا وتركوا معنى الكلام أن يفهموه ولم يعلموا الغرض الذي وضع له. لأن الفيلسوف إنما كان غرضه في الباب الأوّل أن يخبر عن تواصل الإخوان كيف تتأكّد المودّة بينهم على التحفّظ من أهل السعاية[2] والتحرّز ممّن يوقع العداوة بين المتحابّين ليجرّ بذلك نفعا إلى نفسه * فلم يزل بيدبا وتلميذه في المقصورة حتى استتمّ عمل الكتاب في مدّة سنة

فلما تمّ الحول[3] أنفذ إليه الملك أن قد جاء الوعد فماذا صنعت. فأنفذ إليه بيدبا إني على ما وعدت الملك فليأمرني بحمله بعد أن يجمع أهل المملكة لتكون قراءتي هذا الكتاب

---

١ اي كشف ٢ النميمة ٣ السنة

بحضرته (١) فرجع الرسول إلى الملك مسروراً بذلك ووعده يوماً يجمع فيه أهل المملكة ونادى في أقاصي بلاد الهند ليحضروا قراءة الكتاب. فلما كان ذلك اليوم أمر الملك أن ينصب لبيدبا سرير مثل سريره وكراسي لأبناء الملوك والعلماء وأنفذ وأحضره. فلما جاءه الرسول قام فلبس الثياب التي كان يلبسها إذا دخل على الملوك وهي المسوح السود وحمل الكتاب تلميذه. فلما دخل على الملك وثب الخلائق بأجمعهم وقام الملك شاكراً فلما قرب من الملك كفّر له وسجد ولم يرفع رأسه. فقال له الملك يا بيدبا ارفع رأسك فإن هذا يوم هناء وفرح وسرور وأمره الملك أن يجلس. فحين جلس لقراءة الكتاب سأله الملك عن معنى كل باب من أبواب الكتاب وإلى أي شيء قصد فيه فأخبره بغرضه فيه وفي كل باب فازداد الملك منه تعجباً وسروراً فقال له يا بيدبا ما عدوت (٢) الذي في نفسي وهذا الذي كنت أطلب فاطلب ما شئت وتحكم. فدعا له بيدبا بالسعادة وطول الجد (٣) وقال أيها الملك أما المال فلا

١ حضورهِ ٢ جاوزت ٣ يعني السعادة

حاجة لي فيه وأما الكسوة فلا أختار على لباسي هذا شيئاً ولست أخلي الملك (١) من حاجة. قال الملك يا بيدبا ما حاجتك فكل حاجة لك قبلنا (٢) مقضية. قال يأمر الملك أن يدون كتابي هذا كما دون آباؤه وأجداده كتبهم. ويأمر بالمحافظة عليه فإني أخاف أن يخرج من بلاد الهند فيتناوله أهل فارس إذا علموا به. فالملك يأمر أن لا يخرج من بيت الحكمة. ثم دعا الملك بتلاميذه وأحسن لهم الجوائز

ثم إنه لما ملك كسرى أنوشروان وكان مستأثراً (٣) بالكتب والعلم والأدب والنظر في أخبار الأوائل وقع إليه (٤) خبر الكتاب فلم يقر قراره حتى بعث برزويه الطبيب وتلطف حتى أخرجه من بلاد الهند فأقره في خزائن فارس

١ اي اعفيه ٢ اي عندنا ٣ منفرداً ٤ اي بلغه ٥ ابثه

باب

بعثة الملك كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز برزويه بن أزهر الطبيب إلى الهند في تحصيل هذا الكتاب

الحمد لله الذي بيده مفاتيح غيبه وإليه منتهى كل علم وغاية. الدال على الخير المسبب كل فضيلة. الملهم عباده كل ما يقربهم إليه من نوافل[1] الخيرات ونوامي البركات. لما أمر الله تعالى عبده من العلم والحكمة إذ أمرهم بالشكر له ليستوجبوا بذلك المزيد منه ويسارعوا فيما يرضيه عنهم تبارك الله رب العالمين

وقد جعل الله لكل مسبب علة ولكل علة مجرى يجريها الله تعالى به على يد عبد من عبيده ويقدرها له على أيام دولته وأيام عمره. وذلك أن ما كان من علم انتساخ هذا الكتاب ونقله من أرض الهند إلى مملكة فارس إلهام ألهمه الله تعالى

١ جمع نافلة وهي ما يستحسن عمله ولا يجب

كسرى أنوشروان للبعث في عمله ونسخه. لأنه كان أكبر ملوك الفرس. وأكثرهم حكمة وأسدهم رأيا وأرشدهم تدبيرا. وأحبهم للعلوم وأبحثهم عن مكامن[1] العلم والأدب. وأحرصهم على الخير وتقربه إلى الله تعالى وإلى اقتناء ما يزينه بزينة الحكمة من طالبي الأدب والعلم في معرفة الخير والشر والنفع والضر والصديق والعدو. ولم يكن يعرف ذلك إلا بنور الله تعالى في سياسته عبيده وبلاده لإقامة رعيته وأموره* وهو الملك المعظم في قومه. كسرى المتزين بزينة البهاء. الفاضل الماجد الرشيد السعيد. الذي لم يعدله أحد ممن مضى قبله من ملوك الفرس. الناقد[2] البصير الكامل الأدب المعينة له نفسه على التماس فروع الحكم. المستعين بنور العقل وجودة الفكر. الذي اختصه الله تعالى بهذه الخصال المحمودة. وزينه بزينة الكرامة وتوجه بهذه النعمة السابغة[3]. حتى أذعنت له الرعية. وطاعت لسلطانه البرية. وصفت له الدنيا ودانت[4] له البلاد وانقادت له الملوك وركنت إلى طاعته

١ مخابي. ٢ المميز ٣ اي الشاملة ٤ خضعت

وخدمته ومنصحته. وذلك منحة(1) من الخالق جل وعلا قسمها له في دولته وجملة بها في أقطار مملكته

فبينما هو ذات يوم في عنفوان(2) دولته وشمخها(3) وعزة مملكته وقعسها(4) إذ أخبره بعض جلسائه أن عند بعض ملوك الهند في خزائنه كتاباً من تأليف الحكماء وتصانيف العلماء واستنباط الفضلاء. وقد فصلت له غرائب من عجائبه الموضوعة على أفواه البهائم والطير والوحش والهوام(5) وخشاش(6) الأرض مما تحتاج إليه فضلاء الملوك لسياسة رعيتها ونظام أمور ممالكها وتدبيرها * فدعته الحاجة إلى اقتناء هذا الكتاب لكمال ملكه. وأنه بعدمه ناقص وبتحصيله كامل. وباتباعه يحصل على رضى الخالق جل وعلا. وانقياد المخلوق له وزجره(7) عن المعاصي التي يتبعها شرار(8) الخلق. ويتجنبها أصفاهم جوهراً وأجودهم طبعاً وأنبههم(9) حسباً(10) * وإنه لما عزم على ما أراد من أمره وهم باقتنائه ونسخه قال في نفسه من لهذا الأمر العظيم والخطب(11)

١ عطية ٢ معظم ٣ عظمتها ٤ منعتها وعزها ٥ ما يقتل من الحشرات ٦ الحشرات مطلقاً ٧ نهيه ٨ اشرار ٩ اظهرهم ١٠ الحسب ما يعتده الرجل لنفسه من المفاخر ١١ بمعنى الامر

الجسيم(1) والأدب النفيس الذي به تكمل الفضائل. ولم تتزين به ملوك الهند دون ملوك فارس. وقد هممت أن لا أدع مشقة ولا صعوبة ولا مخاطرة حتى أبذلها في طلب هذا الكتاب. حتى أصل إلى نسخه واقتنائه على ترتيب منافعه وعجائبه من أقوال الحكماء ووضع العلماء. ليقع(2) لك استنباطه(3) دون سائر الملوك من أحاديث معجبة وفضائل محكمة(4) يكاد العقل يمد يداً إلى اجتناء ثمرها ويقتنع فما للذيذ مذاقها ويتعلق بوثيق(5) حبالها. إذ يروض(6) النفس بالعدول عن مساويها ويعدل بها عن تتبع أهوائها

فلما فحص كسرى رأيه السديد(7) وعزمه الرشيد فيما صمم عليه وهم به قال. الأمر في ذلك جليل والخطب عظيم والشقة(8) بعيدة والمسافة طويلة شاقة(9). ولا بد من أن ننتخل(10) من أهل الكتابة أصلبهم عوداً(11) وأجودهم عزماً وحزماً(12). وهذا يوجد إما في كتاب الديوان وإما في طب

١ بمعنى العظيم ٢ يثبت ٣ استخراجه ٤ متقنة ٥ محكم متين ٦ اي يثقف ويهذب ٧ المصيب ٨ السفر ٩ صعبة ١٠ اي نختار ١١ اي احذقهم طبعاً ١٢ ضبطاً لامره

الخاص . لأن الخاص والعام تجمع مسالكهما جميع الفضائل والأدب وفنون العلم ومحض[1] الحكم في أناة[2] وتؤدة[3] . وبلوغ الأغراض لملوكها بحسن الحيل وجودة الذهن وكمال المروءة وكتمان السر وإظهار أضدادها

فلما تم عزمه وانتظم سأل وزراءه أن يتقدموا ويجتهدوا في تطلب رجل كامل عالم أديب . قد جمع الفضائل بحذافيرها[4] ونسب إلى الكمال من أهل الصنفين المذكورين . إماماً كاتباً نحريراً أو طبيباً فيلسوفاً ماهراً قد أدبته التجارب . عارفاً بلسان الفارسية خبيراً باللغة الهندية بكتبهما[5] جميعاً حريصاً على العلم مجتهداً في الأدب مواظباً على الطب أو الفلسفة فيأتوه به * فخرج أهل مشورته ووزراؤه مسرعين فبحثوا عمن هذه صفته فوجدوه وظفروا به . فإذا هو شاب جميل الوجه كامل العقل والأدب ذو حسب وصنعة شريفة يعرف بها وهي الطب . وكان ماهراً في الفارسية والهندية وهو برزويه بن أزهر الفيلسوف وكان من فضلاء أطباء فارس . فأحضر بين يدي

١ خالص ٢ حلم ٣ تأنٍ ٤ بأسرها ٥ عالماً متقناً

الملك كسرى فخر ساجداً وعفر[1] وجهه طاعة للملك

فشرح له الأمر بمحضر من وزرائه وخواصه وأهل مملكته . وقال له أيها الحكيم الفاضل إني تقدمت إلى وزراء دولتي وأهل نصيحتي أن ينظروا لي رجلاً كامل الفضل قد جهد نفسه في طلب العلوم واقتناء الفضائل . كاتماً لأسرار الملوك أطلعه على ما انطوى عليه ضميري وأوصله إلى مكنون[2] سري . فيأخذ ذلك بقبول وإقبال وسياسة وإذعان . ويظهر الخدمة ويمحض[3] المهنة[4] ويبذل الاجتهاد في بلوغ الملك منه وأمله . ويميزه على سائر ملوك الدول ليصل إلى مطلوبه ويكافأ على ذلك بما يبقى في عقبه[5] باذلاً نفسه فيما لسلطانه * وقد ذكر عنك فضائل كثيرة وحكم شريفة أنت بفراستك[6] أهل لها وينبوع تصدر عنك . فكن عند رجاء الوزراء والأصفياء فيك[7] . وأنزل نفسك هذه المنزلة التي تخيرت[8] لها وأنفق من سعة[9] وتسبب بأسباب[10] من صفا جوهره وطاب

١ مرّغ ٢ مستور ٣ يخلص ٤ بمعنى الخدمة ٥ ولده من بعده ٦ يصدق نظرك ٧ اي حقق املهم فيك ٨ اصطفيت ٩ اي توسع في انفاق المال ١٠ توصل بوسائل

عنصره[1] وارتفع بعلمه وحلمه وضعة بارئه بطاعة سلطانه التي أمر باتباعها ونهى وزجر عن الخروج عنها. فإني قد اخترتك لما بلغني من فضلك وعلمك وعقلك وحرصك على طلب العلم حيث كان * وقد بلغني عن كتاب بالهند مخزون في خزائنهم وقص عليه قصته وما بلغه عنه. وقال له تجهز فإني مرحلك إلى أرض الهند. فتلطف في ذلك بعقلك وحسن أدبك ونافذ رأيك لاستخراج هذا الكتاب من خزائنهم ومن قبل[2] علمائهم وحكمائهم تاما كاملا مكتوبا بالفارسية فتستفيده أنت وتفيدنا إياه. وما قدرت عليه من كتب الهند مما ليس في خزائننا منه شيء فاحمله معك وقد أمرنا أن يطلق لك من أموالنا ما تختار وتحتاج إليه. فإذا نفد[3] ما تستصحبه فاكتب إلينا نمدك[4] بالمال وإن كثرت فيه النفقة فإن جميع ما في خزائننا مبذول لك في طلب العلوم وهذا الكتاب. فطب نفسا وقر[5] عينا واعمل في ذلك ولا تقصر في طلب العلوم واعمل على ميسرك[6] إن شاء الله تعالى

١ اصله ٢ جهة ٣ فرغ ٤ نساعدك ٥ ابرد يكنى بقرة العين عن السرور والغبطة ٦ اى على ما يتيسر لك

قال برزويه أيها الملك عشت دهرا طويلا سعيدا وملكت الأقاليم السبعة في خفض[1] ودعة[2] مؤيدا منصورا. إنما أنا عبد من عبيدك وسهم من سهامك فليرم بي الملك حيث شاء من الأرض. من بعد أن يأذن الملك أدام الله أيامه في غبطة وسرور أن يعقد لي مجلسا قبل سفري بحضرة الخواص ليعلم أهل الطاعة والمملكة ما اختصني به الملك ورآني أهلا له ونوه[3] باسمي فليفعل ذلك منعما على العبد الخاضع * فقال الملك يا برزويه قد رأيتك لذلك أهلا وأجبتك إلى ما طلبت وأذنت لك فيما سألت فافعل من ذلك حسب ما تراه موافقا لك منوها باسمك. ثم خرج برزويه من بين يدي الملك فرحا مسرورا وأعد له الملك يوما أمر أن يجمع له فيه أهل مملكته وخواص أمراء دولته. ثم أمر أن ينصب له منبر فنصب ورقي عليه برزويه ثم قال

أما بعد فإن الله تبارك وتعالى خلق خلقه برحمته

١ سعة عيش ٢ سكينة ٣ رفعه

ومنّ على عباده بفضله وكرمه. ورزقهم من العقل ما يقدرون به على إصلاح معايشهم[1] في الدنيا ويدركون به استنقاذ[2] أرواحهم من العذاب في الآخرة. وأفضل ما رزقهم الله تعالى ومنّ به عليهم العقل الذي هو الدعامة لجميع الأشياء. والذي لا يقدر أحد في الدنيا على إصلاح معيشته ولا إحراز[3] نفع ولا دفع ضرر إلا بفضله من الخالق المبدع الواحد الأحد. وكذلك طالب الآخرة الزاهد المجتهد في العمل المنجي به نفسه من غواية[4] الضلال. لا يقدر على إتمام عمله وإكماله ولا يتم له ذلك إلا بالعقل الذي هو السبب الموصل إلى كل خير والمفتاح لكل سعادة والمبلغ إلى دار الخلود. فليس لأحد عنه غنى ولا بغيره اكتفاء. والعقل غريزي[5] مطبوع ويتزايد بالتجارب والآداب وغريزته مكنونة في الإنسان كامنة فيه كمون النار في الحجر. فإن النار طبيعتها فيه كامنة لا تظهر ولا يرى ضوءها حتى يظهرها قادح من غيرها. فإذا قدحها ظهرت طبيعتها بضوئها وحريقها. وكذلك

١ جمع معيشة ٢ إنجاء ٣ امتلاك ٤ ضد الهداية ٥ طبيعي

العقل كامن في الإنسان لا يظهر حتى يظهره الأدب وتعضده[1] التجارب. فإذا استحكم[2] كان أولى بالتجارب لأنه هو المقوي لكل فضيلة والمعين على دفع كل رذيلة[3]. فلا شيء أفضل من العقل إذا منّ الله تعالى على عبده به وأعانه على نفسه بالمواظبة على طرق الأدب والعلم والحرص على ذلك. ومن رزق العقل ومنّ به عليه وأعين على صدق قريحته بالأدب حرص على طلب سعد جده[4] وأدرك في الدنيا أمله وحاز[5] في الآخرة ثواب[6] الصالحين. فالعقل هو المقوي للملك على ملكه فإن السوقة[7] والعوام لا يصلحون إلا بإفاضة ينبوع العدل الفائض عن العقل لأنه سياج الدولة.

وقد رزق الله ملكنا السعيد كسرى أنوشروان من العقل أفضل الحظ وأجزله. ومن العلم أجمله وأكمله. ومن المعرفة بالأمور أصوبها. وسدده[8] من الأفعال إلى أسدها ومن البحث عن الأصول والفروع إلى أنفعه. وبلغه من

١ تعينه ٢ تمكّن ٣ ضد الفضيلة ٤ توفيقه وإقباله ٥ نال ٦ أجر ٧ الرعية ٨ أرشده

فنون اختلاف العلم وبلوغ منزلة الفلسفة ما لم يبلغه ملك قط من الملوك قبله. وكان هو القابل لذلك بجودة المادة القابلة لانطباع الصور. فبلغ بذلك الرتبة القصوى[1] في الفضل على من مضى من الملوك قبله. حتى كان فيما طلب وبحث عنه وسمت إليه نفسه من العلم. أن بلغه عن كتاب بالهند من كتب فلاسفتها وعلمائها مخزون عند ملوكهم. علم أنه أصل كل أدب ورأس كل علم والدليل على كل منفعة. ومفتاح عمل الآخرة وعلمها ومعرفة النجاة من أهوالها. والمقوي على جميع الأمور والمعين على ما يحتاج إليه الملوك في تدبيرهم لأمور ممالكهم وآداب السوقة[2] فيما يرضون به ملوكهم ويصلحون به معيشتهم وهو كتاب كليلة ودمنة * فلما تيقن ما بلغه عن ذلك الكتاب وكشف عما فيه من المنافع من تقوية العقل والأدب رآني أهلاً لذلك وندبني إلى استخراجه والله الموفق والسلام.

فعند ذلك ظهر للملك علمه ونجابته وشهامته[3] فسر

١ مؤنث الأقصى بمعنى الأبعد ٢ الرعية ٣ ذكاء فؤاده

بذلك سروراً شديداً. ثم أمر الملك عند ذلك بإحضار المنجمين وأن يتخيروا له يوماً سعيداً وطالعاً[1] صالحاً وساعة مباركة ليتوجه فيها فاختاروا له يوماً يسير فيه وساعة صالحة يخرج فيها * فسار برزويه بطالع سعد وحمل معه من المال عشرين جراباً كل جراب فيه عشرة آلاف دينار وتوجه جاداً في طلب حاجته نهاراً وليلاً حتى قدم بلاد الهند. فجعل يطوف[2] بباب الملك ومجالس السوقة. ومجالس الحكماء. ويسأل عن خواص الملك والأشراف من جلسائه والعلماء والفلاسفة. وجعل يغشاهم[3] في مجالسهم ويتلقاهم بالتحية والسلام. ويخبرهم أنه رجل غريب قدم بلادهم لطلب العلم والأدب والبحث عنه ورياضته[4] به. وأنه محتاج إلى معونتهم فيما يطلب من ذلك ويسألهم بذل الدعاء له ببلوغ آماله مع شدة كتمانه لما قدم بسببه ودفنه لسره. فلم يزل كذلك زماناً طويلاً يتأدب على علماء الهند بما هو عالم بجميعه وكأنه لا يعلم منه شيئاً. وهو فيما بين ذلك يستر بغيته[5] وحاجته وفي أثناء ذلك يبحث في مطلوبه بحنكة[6] وسياسة

١ من اصطلاحات المنجمين والمراد وقتاً ٢ يجول ٣ يأتيهم
٤ تهذيب اخلاقه ٥ مطلوبه ٦ حسن تصرف

وعفة وزهد[1]. واتخذ في تلك الحال لطول مقامه أصدقاء أصفياء[2] كثيرين كلهم من أهل الهند من الأشراف والعلماء والفلاسفة والسوقة ومن أهل كل طبقة وصناعة.

وكان قد اتخذ من بين أصدقائه وأصفيائه رجلاً واحداً اصطفاه لسره واختصه لمشورته لِما ظهر له من فضله وأدبه وحكمته وفهمه وكتمانه لسر نفسه ولما استبان له من صحة إخائه[3]. وكان يشاوره في الأمور ويرتاح إليه[4] في جميع ما أهمه. إلا أنه كان يكتم عنه الأمر الذي قدم من أجله حتى يبلوه[5] ويختبره وينظر هل هو أهل أن يطلعه على سره. ولم يزل يبحث عنه ويجتهد في أمره حتى وثق به وثوق الأكفاء[6] بالأكفاء. وعلم أنه محل لكشف الأسرار الجليلة الخطيرة[7] وأنه مأمون على ما يستودع من ذلك غير خائن صديق صدق[8] ثم زاد له إلطافاً[9] وبه احتفاء[10] وعليه حنواً إلى أن حضر اليوم الذي رجا فيه بلوغ أمنيته[11] والظفر بحاجته

١ اي طهارة ٢ مخلصين ٣ اخوته ٤ تنبسط اليه نفسه ٥ يجربه ٦ الامثال والنظراء ٧ الرفيعة الشريفة ٨ صادق ٩ برًّا ١٠ مبالغة في الاكرام ١١ ما يتمناه

مع طول الغيبة وعظم النفقة في استلطاف الإخوان ومجالستهم على الطعام والشراب

وإنه لما وثق بصديقه الهندي الذي تقدم ذكره وأنس به وسبر[1] عقله واطمأن إليه[2] في سره. قال له يوماً وهما خاليان يا أخي ما أريد أن أكتمك من أمري فوق الذي كتمتك لأنك أهل لذلك. فاعلم أني لأمر قدمت بلادكم وهو غير الذي يظهر مني. والعاقل يكتفي من الرجل بالعلامات من نظره وإشارته فيعلم بذلك سر نفسه وما يضمره قلبه. فقال له صديقه الهندي إني وإن لم أكن بدأتك وأخبرتك بما له جئت وإياه تريد وإليه قصدت وأنك تكتم ما تطلبه وتظهر غيره. فما خفي علي ذلك منك ولا ذهب عني ما كتمته. ولكني لرغبتي فيك وفي إخائك كرهت أن أواجهك بذلك وأفاجئك به لأني قد ظهر لي ما تكتم وبان لي ما أنت له مخف. فأما إذ قد أظهرت ذلك وأفصحت به من نفسك فإني مخبرك عن نفسك ومظهر لك سريرة أمرك ومعلمك عن سر حاجتك

١ اي امتحن ٢ وثق به وركن اليه

بسببها وأطلت مقامك في طلبها

وذلك أنك انما وصلت أرضنا وقدمت إلى بلادنا لتسلبنا كنوزنا النفيسة فتذهب بها إلى بلادك وتسر بها ملكك. وكان قدومك إلينا بالمكر ومصادقتك لنا بالخديعة. ولكني لما رأيت صبرك ومواظبتك على طلب حاجتك والتحفظ من أن تسقط في الكلام مع طول مكثك عندنا على كتم أمرك بشيء يستدل به على سريرتك وأمورك. ازددت رغبة في إخائك وثقة بعقلك وأحببت مودتك. فإني لم أر في الرجال رجلاً هو أرصن[1] منك عقلاً ولا أحسن أدباً ولا أصبر على طلب العلم ولا أكتم لسره. ولا سيما في بلاد غربة ومملكة غير مملكتك وعند قوم لا تعرف سنتهم ولا شيمهم* وإن عقل الرجل ليبين في خصال ثمان. الأولى منها الرفق. والثانية أن يعرف الرجل نفسه فيحفظها. والثالثة طاعة الملوك والتحري[2] لما يرضيهم. والرابعة معرفة الرجل موضع سره وكيف ينبغي أن يطلع عليه صديقه. والخامسة أن يكون على أبواب الملوك أديباً

١ اثبت واحكم ٢ طلب الاحرى اي الاولى والافضل

ملق[1] اللسان. والسادسة أن يكون لسره ولسر غيره حافظاً. والسابعة أن يكون على لسانه قادراً فلا يتكلم إلا بما يأمن تبعته[2] ولا يطلع على سره إلا الثقات. والثامنة أن لا يتكلم في المحافل[3] بما لا يسأل عنه

فمن اجتمعت فيه هذه الخصال كان هو الداعي الخير إلى نفسه. وهذه الخصال كلها قد اجتمعت فيك وبانت لي منك فالله تعالى يحفظك ويعينك على ما قدمت له ويظفرك[4] بحاجتك. لأنك إنما صادقتني لتسلبني علمي وفخري وإنك أهل لأن تسعف بحاجتك وتشفع[5] بطلبتك وتعطى سؤلك[6]. ولكن حاجتك التي تطلب قد أرهبت نفسي وأدخلت علي الفرق[7] والخشية* فلما عرف برزويه أن الهندي قد عرف أن مصادقته إنما كانت مكراً وخديعة. وطلب حاجته فلم يزجره ولم ينتهره بل رد عليه رداً ليناً كرد الأخ على أخيه بالتعطف والرفق وثق بقضاء حاجته منه. فقال له إني قد كنت هيأت كلاماً كثيراً وشعبت له شعاباً[8] وأنشأت له أصولاً وطرقاً. فلما انتهيت فيه إلى ما بادهتني

١ من الملق وهو الود واللطف ٢ عاقبته ٣ المجامع ٤ يجعلك ظافراً ٥ تقرن ٦ مسئولك ٧ الخوف ٨ اي فصلت له طرقاً

به من اطلاعك على أمري والذي قدمت له وألقيته إليّ من ذات نفسك ورغبتك فيما ألقيت من القول. اكتفيت باليسير من الخطاب معك عما كنت أختلف فيه. إذ عرفت الكثير من أموري بالقليل من الكلام لما قسم الله لك من العقل والأدب. فكفيتني مؤونة الكلام (1) فاقتصرت به معك على الإيجاز. ورأيت من إسعافك إياي بحاجتي ما دلني على كرمك وحسن وفائك. فإن الكلام إذا ألقي إلى الفيلسوف والسر إذا استودع اللبيب الحافظ فقد حصن وبلغ به نهاية أمل صاحبه كما يحصن الشيء النفيس في القلاع الحصينة * فقال له الهندي لا شيء أفضل من المودة. ومن خلصت مودته كان أهلا أن يخلطه الرجل بنفسه ولا يذخر (2) عنه شيئا ولا يكتمه سرا ولا يمنعه حاجته ومراده إن قدر على ذلك. ورأس الأدب حفظ السر. فإذا كان السر عند الأمين الكتوم فقد احترز (3) من التضييع لأنه خليق أن لا يتكلم به. ولا يكتم سر بين اثنين قد علماه وتفاوضا (4) فيه ولا يكون

١ اي اغنيتني عنه ٢ يخبأ ٣ توقّى ٤ تشاركا

سرا لأن اللسانين قد تكلما به. فإذا تكلم بالسر اثنان فلا بد من ثالث من جهة الواحد أو من جهة الآخر. فإذا صار إلى الثلاثة فقد شاع وذاع (1) حتى لا يستطيع صاحبه أن يجحده (2) ويكابر (3) فيه. كالغيم إذا كان متقطعا في السماء فقال قائل إن هذا الغيم متقطع لا يقدر أحد على تكذيبه.

وأنا فقد يداخلني من مودتك ومخالطتك مع أنسي بقربك سرور لا يعدله (4) شيء. وهذا الأمر الذي تطلبه مني أعلم أنه من الأسرار التي لا تكتم فلا بد أن يفشو (5) ويظهر حتى يتحدث به الناس. فإذا فشا فقد سعيت في هلاكي هلاكا لا أقدر على الفداء منه بالمال وإن كثر. لأن ملكنا فظ (6) غليظ يعاقب على الذنب الصغير أشد العقاب فكيف مثل هذا الذنب العظيم. وإذا حملتني المودة التي بيني وبينك فأسعفتك بحاجتك لم يرد عقابه عني شيء * قال برزويه إن العلماء قد مدحت الصديق إذا كتم سر صديقه وأعانه على الفوز (7). وهذا الأمر الذي قدمت له لمثلك ذخرته (8) وبك أرجو بلوغه وأنا واثق بكرم

١ انتشر ٢ ينكره ٣ ينازع ويعاند ٤ يساويه ٥ يشيع
٦ خشن ٧ الظفر بما يريد ٨ خبأته

طباعك ووفور عقلك فيه. وإن كنت قد وصل إليك مني ما وصل من المشقة فانعم بتحمل ذلك. واعلم أنك لا تخشى مني ولا تخاف أن أبديه بل تخشى أهل بلدك المطيفين بك[1] وبالملك أن يسعوا بك[2] إليه ويبلغوه ذلك عنك. وأنا أرجو[3] أن لا يشيع شيء من هذا الأمر لأني أنا ظاعن[4] وأنت مقيم وما أقمت[5] فلا ثالث بيننا. فتعاهدا على هذا جميعا

وكان الهندي خازن الملك وبيده مفاتيح خزائنه فأجابه إلى ذلك الكتاب وإلى غيره من الكتب وسلمها إليه. فأكب[6] على تفسيره ونقله من اللسان الهندي إلى اللسان الفارسي. وأتعب نفسه وأنصب[7] بدنه نهارا وليلا وهو مع ذلك وجل[8] فزع من ملك الهند خائف على نفسه من أن يذكر الملك الكتاب في وقت ولا يصادفه في خزانته * فلما فرغ من انتساخ الكتاب وغيره مما أراد من سائر الكتب كتب إلى أنوشروان يعلمه بذلك. فلما وصل إليه الكتاب سر سرورا شديدا ثم تخوف معاجلة المقادير أن تنغص[9] عليه

١ المطيفين بك ٢ ينموا عليك ٣ آمل ٤ راحل ٥ اي مدة اقامتي
٦ أقبل ٧ جهد ٨ خائف ٩ تكدر

فرحه وينغص سروره. فكتب إلى برزويه يأمره بتعجيل القدوم. فسار برزويه متوجها نحو كسرى

فلما رأى الملك ما قد مسه من الشحوب[1] والإعياء[2] قال له أيها العبد الناصح الذي يأكل ثمرة ما قد غرس. أبشر وقر عينا فإني مشرفك ومبلغ بك أفضل درجة. وأمره أن يريح بدنه سبعة أيام. فلما كان اليوم الثامن أمر الملك بإحضار أشراف مملكته وجميع علماء مصره[3] وشعرائه والخطباء. فلما اجتمعوا أحضر برزويه فدخل عليهم وسجد بين يدي الملك وجلس على مرتبة أعدت له. ثم وقع[4] الكلام فيما شاهده ورآه وشرح قصته وحاله من أولها إلى آخرها. فلم يبق أحد من رجال الدولة وقوادها وأهل علومها على طبقاتهم إلا تعجب منه ومن طول طريقه وحسن سيرته مع صديقه وما وفى له به بلا عهد[5] منه له ولا مقدمة[6] تقدمت بينهما من إفشاء سره له مع ما بينهما من افتراق الأديان وتباين[7] الأشكال ومنافرة المذهب. واستعظموا ما أنفق على تحصيل

١ تغير السحنة ٢ شدة التعب ٣ كورته وناحيته ٤ اي التي
٥ اي معرفة ٦ اي امر سابق ٧ تباعد

ذلك وعظم برزويه في أعين الحاضرين وكبر قدره عند
ملكه * ثم إن الملك صرف من حضر وانصرف برزويه وعمد
الخطباء[1] يصنعون مقدمات تصلح لحضور المجلس وتأهبوا
لذلك. وعقد الملك مجلسا وحضر برزويه وخطباء الدولة
والوزراء وفتحت المملكة وأحضر الكتاب وسائر[2]
الكتب. فلما قرئت الكتب وسمعوا ما فيها من العلوم
والحكم وسائر الطرائف وغرائب الآداب استبشر من حضر
وبلغ الملك أمنيته ومدحوا برزويه وأثنوا عليه وشكروه على
ما ناله من التعب. فأمر الملك عند ذلك بالدر والجوهر
والذهب والفضة وفتحت خزائن الكسوة وخلع عليه وحمل
بين يديه جميع ذلك * ثم إن الملك ألبسه التاج وأجلسه على
سريره تشريفا له وزيادة في إجلاله. ولما تم لبرزويه ذلك
خر ساجدا للملك وقال

أكرم الله الملك بأفضل الكرامات بزيادته في دنياه
وأخراه وخلد ملكه وثبت وطأته[3] وشيد[4] مباني مجده

١ اي قصدوا وشرعوا ٢ باقي ٣ اي مكّن سلطته ٤ اي بنى ومتّن

إن الله ولي الحمد[1] قد أغناني عن المال بما بلغت من
الرتبة العلية السنية والبغية والأمنية بما رزقني من تشريف
ملك الملوك للعبد الذليل. لكن إذ كلفني الملك ذلك
وعلمت أنه يسره فأنا آخذ مما أمر لي به امتثالا لأمره وطلبا
لمرضاته. وقام فأخذ منها تختا[2] من طرائف[3] خراسان من
ملابس الملوك * ثم قال للملك إن الإنسان إذا منحه الله
تعالى عقلا وفرا وعلما راجحا وخلقا[4] رحبا[5] ودينا صلبا[6] وبنية
سالمة من العاهات[7]. فليشكر الصانع الأزلي سرمدا[8] على ما
وهبه من ذلك من غير استحقاق يستحقه ولا مقدمة سبقت
له. وإن الإنسان إذا أكرم وجب عليه الشكر وإن كان
قد استوجبه تعبا ومشقة. وأما أنا فمهما لقيته من عناء[9]
وتعب لما أعلم أن لكم فيه الشرف يا أهل هذا البيت فإني
لا أزال إلى هذا اليوم تبعا رضاكم أرى العسير فيه يسيرا
والشاق هينا والنصب[10] والأذى سرورا ولذة لما أعلم
أن لكم فيه رضى وعندكم قربة[11] * ولكني أسألك أيها

١ اي ربه ٢ وعاء تصان فيه الثياب ٣ نفائس ٤ سجية وطبعا ٥ واسعا ٦ اي متينا ٧ الآفات والعوارض ٨ دائما ٩ تعب وجهد ١٠ التعب ١١ قربا في المنزلة

الملكُ حاجةً تُشفِّعني بها وتُعطيني فيها سُؤلي فإنَّ حاجتي يسيرةٌ وفي قضائها فائدةٌ كثيرةٌ . قالَ أنوشروانُ قُلْ فكلُّ حاجةٍ لكَ قِبَلَنا مقضيّةٌ فإنَّ لكَ عندنا عظيمٌ ولو طلبتَ مشاركتَنا في مُلكِنا لفعلنا ولم نَرْدُدْ طلبتَكَ فكيفَ ما سوى ذلكَ فقُلْ ولا تحتشمْ (١) فإنَّ الأمورَ كلَّها مبذولةٌ لكَ . قالَ برزويهِ أيُّها الملكُ لا تنظرْ إلى عنائي في رضاكَ وانكماشي (٢) في طاعتكَ فإنَّما أنا عبدُكَ يلزمُني بذلُ مُهجتي في رضاكَ . ولو لم تَجزِني لم يكنْ ذلكَ عندي عظيماً ولا واجباً على الملكِ . ولكنْ لكرمهِ وشرفِ منصبهِ عمدَ (٣) إلى مجازاتي وخصَّني وأهلَ بيتي بعلوِّ المرتبةِ ورفعِ الدرجةِ حتى لو قدرَ أن يجمعَ لنا بينَ شرفِ الدنيا والآخرةِ لفعلَ فجزاهُ اللهُ عنّا أفضلَ الجزاءِ . قالَ أنوشروانُ اذكرْ حاجتكَ فعليَّ ما يسرُّكَ . فقالَ برزويهِ حاجتي أن يخرجَ أمرُ الملكِ أنفذهُ (٤) اللهُ تعالى إلى الحكيمِ الفاضلِ الرفيعِ المقامِ وزيرهِ بزرجمهرَ بنِ البختكانِ أن ينظمَ أمري في نسخةٍ ويبوِّبَ الكتابَ (٥) ويجعلَ تلكَ النسخةَ باباً يذكرُ فيهِ

١ تتهيَّب ٢ جدّي ٣ قصد ٤ أنفذه: جعله نافذاً أي مطاعاً ٥ يقسمه الى ابواب

أمري ويصفُ حالي ولا يدعُ من المبالغةِ في ذلكَ أقصى (١) ما يقدرُ عليهِ . ويأمرهُ إذا فرغَ منهُ أن يجعلهُ أوّلَ الأبوابِ التي تُقرأُ قبلَ بابِ الأسدِ والثورِ . فإنَّ الملكَ إذا فعلَ ذلكَ فقد بلغَ بي وبأهلي غايةَ الشرفِ وأعلى المراتبِ وأبقى لنا ما لا يزالُ ذكرهُ باقياً على الأبدِ حيثما قُرِئَ هذا الكتابُ

فلمّا سمعَ كسرى أنوشروانُ والعظماءُ مقالتَهُ وما سمتْ (٢) إليهِ نفسُهُ من محبّةِ إبقاءِ الذكرِ عجبوا من أدبهِ وحسنِ عقلهِ وكِبَرِ نفسهِ واستحسنوا طلبتَهُ واختيارَهُ . فقالَ كسرى حُبّاً وكرامةً يا برزويهِ إنّكَ لأهلٌ أن تُسعفَ بحاجتكَ فما أقلَّ ما قنعتَ بهِ وأيسرَهُ عندنا وإنْ كانَ خطرُهُ (٣) عندكَ عظيماً . ثمَّ أقبلَ أنوشروانُ على وزيرهِ بزرجمهرَ فقالَ لهُ قد عرفتَ مناصحةَ (٤) برزويهِ لنا وتجشُّمَهُ (٥) المخاوفَ والمهالكَ فيما يقرّبهُ منّا وإتعابَهُ بدنَهُ فيما يسرُّنا وما أتى إلينا من المعروفِ وما أفادنا اللهُ على يدهِ من الحكمةِ والأدبِ الباقي لنا فخرُهُ وما عرضنا عليهِ من خزائننا لمجازاتهِ على ما كانَ منهُ فلم تَمِلْ نفسُهُ إلى شيءٍ

١ الجهد ٢ ارتفعت ٣ قدره ٤ [illegible] ٥ تكلُّفه

٥

من ذلك. كانت بغيتك وطلبتك منه أمرًا يسيرًا رآه هو ثواب عنائه وكرامة الجنة عنده. فإني أحب أن تكرمه في ذلك وتسعفه بحاجته وطلبته واعلم أن ذلك مما يسرني. ولا تدع شيئًا من الاجتهاد والمبالغة إلا بلغته وإن نالتك فيه مشقة. وهو أن تكتب بابًا مضارعًا(٢) لتلك الأبواب التي في الكتاب وتذكر فيه فضل برزويه ونسبه وحسبه وصناعته وأدبه وكيف كان ابتداء أمره وشأنه وتنسبه إليه. وتذكر فيه بعثته إلى بلاد الهند في حاجتنا وما أفدنا من الحكم على يده من هناك وشرفنا به وفضلنا على غيرنا. وكيف كان حاله بعد قدومه وما عرضنا عليه من الأموال فلم يقبله. فقل ما تقدر عليه من التقريظ(٣) والإطناب(٤) في مدحه وبالغ في ذلك أفضل المبالغة واجتهد في ذلك اجتهادًا يسر برزويه وأهل المملكة وإنه لأهل لذلك من قبلي ومن قبل جميع أهل المملكة ومن قبلك أيضًا لمحبتك للعلوم. واجهد أن يكون غرض هذا الكتاب الذي ينسب إليه أفضل من أغراض

١ الحقيق ٢ مشابهًا ٣ المدح ٤ المبالغة

تلك الأبواب عند الخاص والعام وأشد مشاكلة(١) لحال هذا الكتاب. فإنك أسعد الناس كلهم بذلك لامتيازك به وجعله أول الأبواب. فإذا أنت عملته ووضعته بحيث رسمت لك(٢) فأعلمني لأجمع أهل المملكة وتقرأه عليهم فيظهر فضلك واجتهادك في محبتنا فيكون لك بذلك فخر

فلما سمع بزرجمهر مقالة الملك خر له ساجدًا وقال أدام الله لك أيها الملك البقاء وبلغك أفضل منازل الصالحين في الآخرة والأولى لقد شرفني في ذلك شرفًا باقيًا إلى الأبد. ثم خرج بزرجمهر من عند الملك فوصف برزويه من أول يوم دفعه(٣) أبواه إلى المؤدب(٤) ومضيه إلى بلاد الهند في طلب العقاقير(٥) والأدوية. وكيف تعلم خطوطهم ولسانهم إلى أن بعثه أنوشروان إلى الهند في طلب الكتاب. ولم يدع من فضائل برزويه وحكمته وأخلاقه ومذهبه أمرًا إلا نسقه(٦) وأتى به بأجود ما يكون من الشرح. ثم أعلم الملك بفراغه منه فجمع أنوشروان أشراف قومه وأهل مملكته

١ موافقة ومشابهة ٢ أي كما رسمت لك ٣ سلمه ٤ اي المعلم
٥ النباتات التي يتداوى بها ٦ نظمه

عليه من الحكمة عن الحاجة إلى غيرها من وجوه الأدب *
فأول ما ينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجوه التي
وضعت له والرموز [1] التي رمزت فيه وإلى أي غاية جرى
مؤلفه فيه عندما نسبه إلى البهائم وأضافه إلى غير مفصح [2]
وغير ذلك من الأوضاع التي جعلها أمثالا * فإن قارئه متى
لم يفعل ذلك لم يدر ما أريد بتلك المعاني ولا أي ثمرة يجتني
منها ولا أي نتيجة تحصل له من مقدمات ما تضمنه هذا
الكتاب وأنه إن كانت غايته منه استتمام قراءته والبلوغ
إلى آخره دون تفهم ما يقرأ منه لم يعد عليه شيء يرجع إليه نفعه *

ومن استكثر من جمع الكتب وقراءة العلوم من غير
إعمال الروية فيما يقرأه كان خليقا أن لا يصيبه إلا ما أصاب
الرجل الذي زعمت العلماء أنه اجتاز ببعض المفاوز [3] فظهر
له موضع آثار كنز فجعل يحفر ويطلب فوقع على شيء من
عين [4] وورق [5] فقال في نفسه إن أنا أخذت في نقل هذا المال
قليلا قليلا طال علي وقطعني [6] الاشتغال بنقله وإحرازه [7]

---

١ الاشارات الخفية ٢ أي ناطق ٣ الفلوات لا ماء فيها ٤ نقود ذهبية ٥ نقود فضية ٦ منعني ٧ حفظه

عن اللذة بما أصبت منه * ولكن سأستأجر أقواما يحملونه
إلى منزلي وأكون أنا آخرهم ولا يكون بقي ورائي شيء
يشغل فكري بنقله وأكون قد استظهرت [1] لنفسي في إراحة
بدني عن الكد بيسير أجرة أعطيها لهم * ثم جاء بالحمالين
فجعل يحمل كل واحد منهم ما يطيق فينطلق به إلى منزله هو
فيفوز به [2] * حتى إذا لم يبق من الكنز شيء انطلق خلفهم
إلى منزله فلم يجد فيه من المال شيئا لا كثيرا ولا قليلا * وإذا
كل واحد من الحمالين قد فاز بما حمله لنفسه ولم يكن للرجل
من ذلك إلا العناء [3] والتعب لأنه لم يفكر في آخر أمره *

وكذلك من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه ولم يعلم
غرضه ظاهرا وباطنا لم ينتفع بما يبدو له من خطه ونقشه
كما لو أن رجلا قدم له جوز صحيح لم ينتفع به إلا أن
يكسره ويستخرج ما فيه * وكان أيضا كالرجل الذي طلب
علم الفصيح من كلام الناس فأتى صديقا له من العلماء له
علم بالفصاحة فأعلمه حاجته إلى علم الفصيح * فرسم له صديقه

---

١ استعنت ٢ يستولي ٣ المشقة

في صحيفة صفراء. فصحيح الكلام وتصريفه ووجوهه. فانصرف بها إلى منزله فجعل يكثر قراءتها ولا يقف على معانيها ولا يعلم تأويل ما فيها حتى استظهرها[1] كلها فاعتقد أنه قد أحاط بعلم ما فيها. ثم إنه جلس ذات يوم في محفل من أهل العلم والأدب فأخذ في محاورتهم[2] فجرت له كلمة أخطأ فيها فقال له بعض الجماعة إنك قد أخطأت والوجه غير ما تكلمت به. فقال كيف أخطئ وقد قرأت الصحيفة الصفراء وهي في منزلي. فكانت مقالته هذه أوجب للحجة[3] عليه وزاده ذلك قرباً من الجهل وبعداً من الأدب

ثم إن العاقل إذا فهم هذا الكتاب وبلغ نهاية علمه فيه ينبغي له أن يعمل بما علم منه لينتفع به ويجعله مثالاً لا يحيد عنه * فإذا لم يفعل ذلك كان مثله كالرجل الذي زعموا أن سارقاً تسوّر عليه[4] وهو نائم في منزله فعلم به فقال والله لأسكتنّ حتى أنظر ماذا يصنع ولا أذعره[5] ولا أعلمه أني قد علمت به. فإذا بلغ مراده قمت إليه فنغّصت[6]

١ حفظها غيباً ٢ مراجعتهم في الكلام ٣ الاحتجاج ٤ اي دخل عليه واثباً عن سور بيته ٥ افزعه ٦ كدّرت

ذلك عليه. ثم إنه أمسك عنه وجعل السارق يتردد وطال تردده في جمعه ما يجده. فغلب الرجل النعاس فنام وفرغ اللص مما أراد وأمكنه الذهاب واستيقظ الرجل فوجد اللص قد أخذ المتاع[1] وفاز به. فأقبل على نفسه يلومها وعرف أنه لم ينتفع بعلمه باللص إذ لم يستعمل في أمره ما يجب

وقد يقال إن العلم لا يتم إلا بالعمل وإن العلم كالشجرة والعمل به كالثمرة. وإنما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به وإن لم يستعمل ما يعلمه فليس يسمى عالماً. ولو أن رجلاً كان عالماً بطريق مخوف ثم سلكه على علم به سمّي جاهلاً. ولعله إن حاسب نفسه وجدها قد ركبت أهواء[2] هجمت به فيما هو أعرف بضررها فيه وأذاها. ومن ركب[3] هواه ورفض أن يعمل بما جرّبه هو أو أعلمه به غيره كان كالمريض العالم برديء الطعام والشراب وجيده وخفيفه وثقيله ثم يحمله الشره[4] على أكل رديئه وترك ما هو أقرب إلى النجاة والتخلص من علته. وأقلّ الناس عذراً في

١ واحد الامتعة ٢ جمع هوى وهو ميل النفس ٣ اي اتبع ٤ شدة الحرص على الطعام

اجتنب محمودَ الأفعالِ وارتكب مذمومها من أبصر ذلك وميّزه وعرف فضل بعضه على بعض. كما أنه لو أن رجلين أحدهما بصير والآخر أعمى ساقهما الأجل[1] إلى حفرة فوقعا فيها كانا إذا صارا في قعرها بمنزلة واحدة. غير أن البصير أقلّ عذرًا عند الناس من الضرير إذ كانت له عينان يبصر بهما وذاك بما صار[2] إليه جاهل غير عارف *

وعلى العالم أن يبدأ بنفسه ويؤدّبها بعلمه ولا تكون غايته اقتناءه العلم لمعاونة غيره ونفعه به وحرمان نفسه منه. ويكون كالعين التي يشرب الناس ماءها وليس لها في ذلك شيء من المنفعة. وكدودة القز التي تحكم صنعته ولا تنتفع به. فينبغي لمن طلب العلم أن يبدأ بعظة[3] نفسه ويتعهدها[4] برياضتها ثم عليه بعد ذلك أن يقتبسه[5] فإن خلالًا[6] ينبغي لصاحب الدنيا أن يقتنيها ويقتبسها. منها العلم والمال ومنها اتخاذ المعروف[7]. وليس للعالم أن يعيب امرأ بشيء فيه مثله ويكون كالأعمى الذي يعيّر الأعمى بعماه. وينبغي

١ اي انقضاء العمر ٢ انتهى ووصل ٣ وعظ ٤ يتفقدها
٥ يستفيده ٦ اي امورًا ٧ اصطناعه مع الناس

لمن طلب أمرًا أن يكون له فيه غاية[1] ونهاية يعتمد عليها ويقف عندها ولا يتمادى[2] في الطلب. فإنه يقال من سار إلى غير غاية فيوشك أن تنقطع[3] به مطيته[4]. وإنه كان حقيقًا ألّا[5] يعنّي[6] نفسه في طلب ما لا حدّ له وما لم ينله أحد قبله ولا يتأسف عليه ولا يكون لدنياه مؤثرًا[7] على آخرته فإن من لم يعلق قلبه بالغايات[8] قلّت حسرته عند مفارقتها *

وقد يقال في أمرين إنهما يجملان[9] بكل أحد. أحدهما النسك والآخر المال الحلال. وقد يقال في أمرين إنهما لا يجملان بأحد. الملك أن يشارك في ملكه والرجل أن يشارك في خاصته[10]. وليس ينبغي للعاقل أن يقنط[11] وييأس[12] من رحمة الله وفضله فيما لا يناله فربما ساق القدر[13] له رزقًا هنيئًا وهو غافل عنه لا يدري به ولا يعلم وجهه

ومن أمثال هذا أن رجلًا كان به فاقة وجوع وعري وألجأه[14] ذلك إلى أن سأل بعض أقاربه وأصدقائه فلم يكن

١ حد ٢ يلج ويداوم ٣ تعجز عن السير ٤ دابته ٥ ان لا ٦ يتعب
٧ مفضلاً ٨ المطالب ٩ يحسنان ١٠ ما يخص به ١١ يقطع
الامل ١٢ بمعنى يقنط ١٣ قضاء الله ١٤ اضطره ودفعه

عند أحد منهم فضل يعود به عليه[1] . فبينما هو ذات ليلة في منزله إذ بصر بسارق في المنزل فقال في نفسه والله ما في منزلي شيء أخاف عليه فليجهد السارق جهده[4] . فبينما السارق يجول إذ وقعت يده على خابية فيها حنطة فقال السارق والله ما أحب أن يكون عنائي الليلة باطلاً ولعلي لا أصل إلى موضع آخر ولكن سأحمل هذه الحنطة خير من الرجوع بغير شيء. ثم بسط رداءه[5] ليصب عليه الحنطة فقال الرجل أيذهب هذا بالحنطة وليس ورائي سواها فيجتمع علي مع عري ذهاب ما كنت أقتات به وما تجتمع والله هاتان الخلتان[6] على أحد إلا أهلكتاه. ثم صاح بالسارق ووثب إليه بهراوة[7] كانت عند رأسه فلم يكن للسارق حيلة إلا الهرب منه وترك رداءه ونجا بنفسه وغدا الرجل به كاسياً[8]

وليس ينبغي للعاقل أن يركن إلى مثل هذا المثال فيتكل عليه ويدع ما يجب عليه من السعي والعمل لصلاح معيشته. بل أن لا يألو جهداً[9] في الطلب على قدر معرفته ولا ينظر إلى

١ زيادة عن عوزه ٢ أي يعده ويوسعه به ٣ نحوه ٤ طاقته واستطاعته ٥ ثوب يلبس فوق الثياب ٦ الخلة الفقر والحاجة ٧ عصاً ضخمة ٨ مكتسياً ٩ أي لا يقصر في الجهد وهو التعب والمشقة

من توافيه[1] المقادير وتساعده على غير التماس منه ولا حركة لأن أولئك في الناس قليل. وإنما الجمهور منهم من يجهد نفسه في الكد والسعي فيما يصلح من أمره وينال به ما يريد. وليحرص أن يكون مكسبه من أطيب المكاسب وأفضلها وأنفعها له ولغيره ما أمكن. ولا يتعرض لما يجلب عليه العناء والشقاء وما يعقبه الهم والغم وليحذر أن يعاود ما أصابه منه الضرر. وينبغي له مع ذلك أن يحذر مما يصيب غيره من الضرر لئلا يصيبه مثله. فيكون كالحمامة التي تفرخ الفراخ فتؤخذ وتذبح ثم لا يمنعها ذلك من أن تعود فتفرخ موضعها وتقيم بمكانها فتؤخذ الثانية من فراخها فتذبح حتى تؤخذ هي أيضاً فتذبح

وقد يقال إن الله تعالى قد جعل لكل شيء حداً يوقف عليه ومن تجاوز في الأشياء حدها أوشك أن يلحقه التقصير عن بلوغها. والمتجاوز الحد والمقصر عنه سيان[2] بالنسبة إليه لأن كليهما زائغ عنه في الحالين جميعاً. ويقال من كان سعيه لآخرته ودنياه فحياته له وعليه. ومن كان سعيه لدنياه خاصة

١ توافقه ٢ مثنى سي بمعنى مثل ونظير

فخرته عليه ومن كان سعيه لآخرته فحياته له * ويقال في أشياء
يجب على صاحب الدنيا إصلاحها وبذل جهده فيها . منها
أمر دينه . ومنها أمر معيشته . ومنها ما بينه وبين الناس .
ومنها ما يكسبه الذكر الجميل بعده * وقد قيل في أمور من
كن فيه لم يستقم له عمل منها التواني (1) . ومنها تضييع الفرص
ومنها التصديق لكل مخبر . ومنها التكذيب لكل عارف
ورب مخبر بشيء عقله (2) ولا يعرف استقامته فيصدقه .
والذي يفعل ذلك من الناس ثلاثة . رجل يصدق بما جربه
غيره وصدقه فيصدقه هو ويتمادى في التصديق حتى كأنه
جربه بنفسه . ورجل يصدق الأمور التي جربت ولكن عن غير
علم بحقيقتها . ورجل تلتبس عليه الأمور فيصدق بها . وينبغي
للعاقل أن يكون لهواه متهماً (3) ولا يقبل من كل أحد حديثاً
ولا يتمادى في الخطاء إذا التبس عليه أمره ولا يلج في شيء
منه ولا يقدم عليه حتى يتبين له الصواب فيه وتستوضح (4)
له الحقيقة ولا يكون كالرجل الذي يزيغ عن الطريق فيستمر

١ التقصير والفتور في العمل ٢ أدركه بعقله ٣ شاكاً في صدقه ٤ تتضح

على الضلال فلا يزداد في السير جهداً إلا ازداد عن القصد
بعداً . وكالرجل الذي تقذى عينه (1) فلا يزال يحكها حتى
ربما كان ذلك الحك سبباً في ذهابها * ويجب على العاقل أن
يصدق بالقضاء والقدر ويعلم أن ما كتب سوف يكون وأن
من أتى صاحبه بما يكره لنفسه فقد ظلم . ويأخذ بالحزم في
أموره ويحب للناس ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها
ولا يطلب أمراً فيه مضرة لغيره طلباً لصلاح نفسه بفساد
غيره ومن كل غادر مأخوذ

ومن فعل ذلك كان خليقاً أن يصيبه ما أصاب التاجر
من رفيقه . فإنه يقال إنه كان رجل تاجر وكان له شريك .
فاستأجرا حانوتاً (2) وجعلا متاعهما (3) فيه . وكان أحدهما قريب
المنزل من الحانوت فأضمر (4) في نفسه أن يسرق عدلاً (5) من
أعدال رفيقه ومكر الحيلة (6) في ذلك وقال إن أنا أتيت بالليل لم
آمن أن أحمل عدلاً من أعدالي أو رزمة من رزمي ولا أعرفها
فيذهب عنائي وتعبي باطلاً . فأخذ رداءه (7) وألقاه على العدل

١ يصيبها قذى من غبار أو نحوه ٢ دكاناً ٣ أي بضاعتهما ٤ نوى
٥ الكيس الكبير فيه البضاعة ٦ أي دبرها بالمكر ٧ ثوبه الذي فوق ثيابه

الذي أضمر أخذه ثم انصرف إلى منزله. وجاء رفيقه بعد ذلك ليصلح أعداله فقال والله هذا رداء صاحبي ولا أحسبه إلا قد نسيه. وما الرأي أن أدعه ههنا ولكن أجعله على رزمه فلعله يسبقني إلى الحانوت فيجده حيث يحب. ثم أخذ الرداء فألقاه على عدل من أعدال رفيقه وأقفل الحانوت ومضى إلى منزله. فلما جاء الليل أتى رفيقه ومعه رجل قد واطأه[1] على ما عزم عليه وضمن له جعلا[2] على حمله فصار إلى الحانوت فالتمس[3] الرداء في الظلمة فلمسه[4] فوجده على العدل فاحتمل ذلك العدل وأخرجه هو والرجل وجعلا يتراوحان في حمله[5] حتى أتى منزله ورمى نفسه تعبا. فلما أصبح افتقده فإذا هو بعض أعداله فندم أشد الندامة ثم انطلق نحو الحانوت فوجد شريكه قد سبقه إليه ففتح الحانوت ووجد العدل مفقودا فاغتم لذلك غما شديدا وقال واسوأتاه[6] من رفيق صالح قد ائتمنني على ماله وخلفني[7] فيه ماذا يكون حالي عنده. ولست أشك في تهمته إياي ولكن قد وطنت[8] نفسي على غرامته[9]. فما

١ واطأه ٢ اجرة ٣ [illegible] ٤ [illegible] ٥ يحمله هذا مرة وهذا مرة ٦ السوءة [illegible] ٧ اي استخلفني ٨ اي صممت ٩ اي [illegible] عليه

أتاه صاحبه وجده مغتما فسأله عن حاله فقال إني قد افتقدت الأعدال وفقدت عدلا من أعدالك ولا أعلم بسببه وإني لا أشك في تهمتك إياي وإني قد وطنت نفسي على غرامته. فقال يا أخي لا تغتم فإن الخيانة شر ما عمله الإنسان والمكر والخديعة لا يؤديان إلى خير وصاحبهما مغرور أبدا وما عاد وبال[1] البغي[2] إلا على صاحبه. وأنا أحد من مكر وخدع واحتال. فقال له صاحبه وكيف كان ذلك. فأخبره بخبره وقص عليه قصته. فقال له رفيقه ما مثلك إلا مثل اللص والتاجر فقال له وكيف كان ذلك

قال زعموا أن تاجرا كان له في منزله خابيتان إحداهما مملوءة حنطة والأخرى مملوءة ذهبا. فترقبه بعض اللصوص زمانا حتى إذا كان بعض الأيام تشاغل التاجر عن المنزل فتغفله[3] اللص ودخل المنزل وكمن في بعض نواحيه. فلما هم بأخذ الخابية التي فيها الدنانير أخذ التي فيها الحنطة وظنها التي فيها الذهب. ولم يزل في كد وتعب حتى أتى بها منزله فلما فتحها

١ اي سوء العاقبة ٢ الظلم ٣ ترقب غفلته

وعلم ما فيها ندم

قال له الخازن ما أبعدت المثل ولا تجاوزت القياس وقد اعترفت بذنبي وخطائي عليك وعزيز[1] علي أن يكون هذا كذا غير أن النفس الرديئة تأمر بالفحشاء[2]. فقبل الرجل معذرته وأضرب[3] عن توبيخه وعن الثقة به وندم هو عند ما عاين من سوء فعله وتقديم جهله[4]

وقد ينبغي للناظر في كتابنا هذا أن لا تكون غايته التصفح لتزاويقه[5] بل يشرف على ما يتضمن من الأمثال حتى يأتي عليه[6] إلى آخره ويقف عند كل مثل وكلمة ويعمل فيها رويته ويكون مثل ثالث الإخوة الثلاثة الذين خلف لهم أبوهم المال الكثير فتنازعوه[7] بينهم. فأما الاثنان الكبيران فإنهما أسرعا في إتلافه وإنفاقه في غير وجهه. وأما الصغير فإنه عندما نظر ما صار إليه أخواه من إسرافهما[8] وتخليهما[9] من المال أقبل على نفسه يشاورها وقال يا نفس إنما المال يطلبه

١ اي صعب ٢ القبيح من الذنوب ٣ اعرض ٤ ما قدم منه ٥ اي النظر فيها وذلك لانه كان في اصله مشتملاً على صور أشخاص الحوادث التي فيه ٦ يتمه ٧ اي تقاسموه ٨ تبذيرهما ٩ تفرغهما

صاحبه ويجمعه من كل وجه لبقاء حاله وصلاح معاشه ودنياه وشرف منزلته في أعين الناس واستغنائه عما في أيديهم وصرفه في وجهه من صلة الرحم[1] والإنفاق على الولد والإفضال على الإخوان. فمن كان له مال ولا ينفقه في حقوقه كان كالذي يعد فقيراً وإن كان موسراً[2]. وإن هو أحسن إمساكه[3] والقيام عليه[4] لم يعدم الأمرين جميعاً من دنيا تبقى عليه وحمد يضاف إليه. ومتى قصد إنفاقه على غير الوجوه التي حدت[5] لم يلبث[6] أن يتلفه ويبقى على حسرة وندامة. ولكن الرأي أن أمسك هذا المال فإني أرجو أن ينفعني الله به ويغني أخوي على يدي. فإنما هو مال أبي ومال أبيهما. وإن أولى الإنفاق على صلة الرحم وإن بعدت فكيف بإخوتي. فأنفذ فأحضرهما وشاطرهما ماله[7]

وكذلك يجب على قارئ هذا الكتاب أن يديم النظر فيه من غير ضجر ويلتمس جواهر معانيه ولا يظن أن نتيجته إنما هي الإخبار عن حيلة بهيمتين أو محاورة سبع لثور فينصرف

١ القرابة ٢ غنياً ٣ ضبطه ٤ اي تدبيره ٥ اي رسمت وفرضت ٦ يبطئ ٧ اعطاها شطره اي نصفه

بذلك عن الغرض المقصود ويكون مثله مثل الصياد الذي
كان في بعض الخلجان[1] يصيد فيه السمك في زورق. فرأى ذات
يوم في عميق[2] الماء صدفة تتلألأ حسنا فتوهمها جوهرا
له قيمة. وكان قد ألقى شبكته في البحر فاشتملت على سمكة
كانت قوت يومه فخلاها وقذف[3] نفسه في الماء ليأخذ الصدفة.
فلما أخرجها وجدها فارغة لا شيء فيها مما ظن. فندم على ترك
ما في يده للطمع وتأسف على ما فاته. فلما كان اليوم الثاني
تنحى[4] عن ذلك المكان وألقى شبكته فأصاب حوتا صغيرا
ورأى أيضا صدفة سنية[5] فلم يلتفت إليها وساء ظنه بها فتركها.
واجتاز[6] بها بعض الصيادين فأخذها فوجد فيها درة تساوي أموالا.
وكذلك الجهال على إغفال أمر التفكر في هذا الكتاب
والاغترار به وترك الوقوف على أسرار معانيه والأخذ بظاهره
دون الأخذ بباطنه. ومن صرف همته إلى النظر في أبواب
الهزل منه فهو كرجل أصاب أرضا طيبة حرة[8] وحبا
صحيحا فزرعها وسقاها حتى إذا قرب خيرها تشاغل عنها

١ جمع خليج ٢ مسيل ٣ رمى ٤ اعتزل ٥ اي كريمة
٦ مر ٧ اي الاعتماد عليه ٨ لا رمل فيها

يجمع ما فيها من الزهر وقطع الشوك فأهلك بتشاغله ما كان
أحسن فائدة وأجمل عائدة[1]. وينبغي للناظر في هذا الكتاب
أن يعلم أنه ينقسم إلى أربعة أغراض. أحدها ما قصد فيه
إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة من مسارعة أهل
الهزل من الشبان إلى قراءته فتستمال به قلوبهم لأن هذا
هو الغرض بالنوادر من حيل الحيوانات. والثاني إظهار خيالات
الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ليكون أنسا لقلوب
الملوك ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور.[2]
والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك والسوقة[3]
فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام.
ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبدا. والغرض الرابع وهو
الأقصى مخصوص بالفيلسوف خاصة.

قال عبد الله بن المقفع لما رأيت أهل فارس قد
فسروا هذا الكتاب من الهندية إلى الفارسية وألحقوا به
بابا وهو باب برزويه الطبيب ولم يذكروا فيه ما ذكرنا

١ منفعة ٢ لانه كان ذا صور كما مر ٣ الرعية وقد مر

في هذا الباب لمن أراد قراءته واقتباس علومه وفوائده وضمناه هذا الباب فتأمل ذلك ترشد إن شاء الله تعالى

باب برزويه

لبزرجمهر بن البختكان

قال برزويه بن أزهر رأس أطباء فارس وهو الذي تولى انتساخ هذا الكتاب وترجمه من كتب الهند وقد مضى ذكر ذلك من قبل * إن أبي كان من المقاتلة [1] وكانت أمي من عظماء بيوت الزمازمة [2] وكان منشئي في نعمة [3] كاملة وكنت أكرم ولد أبوي عليهما وكانا بي أشد احتفاظا من دون إخوتي. حتى إذا بلغت سبع سنين أسلماني إلى المؤدب فلما حذقت الكتابة [4] شكرت أبوي ونظرت في العلم فكان أول ما ابتدأت به وحرصت عليه علم الطب لأني كنت عرفت فضله. فأقمت في تعلمه سبع سنين وكلما ازددت منه علما ازددت عليه حرصا وله اتباعا حتى أحطت

١ اي المقاتلين ٢ طائفة معروفة عندهم ٣ تنعم ٤ تعلمتها ومهرت فيها

منه بعلم وافر وقدرت على غوامضه. فلما همت نفسي بمداواة المرضى وعزمت على ذلك آمرتها [1] ثم خيرتها بين الأمور الأربعة التي يطلبها الناس وفيها يرغبون ولها يسعون. فقلت أي هذه الخلال أبتغي في علمي وأيها أحرى [2] بي فأدرك منه حاجتي. المال أم الذكر أم اللذات أم الآخرة. وكنت وجدت في كتب الطب أن أفضل الأطباء من واظب على طبه لا يبتغي إلا أجر الآخرة. فرأيت أن أطلب الاشتغال بالطب ابتغاء الآخرة ورجاء أجر المنقلب [3] لا أبتغي مكافأة الدنيا ولا تعجيلها. لئلا أكون كالتاجر الذي باع ياقوتة ثمينة كان يصيب بثمنها غنى الدهر بخرزة لا تساوي شيئا. مع أني قد وجدت في كتب الأولين أن الذي يبتغي بطبه أجر الآخرة لا ينقصه ذلك حظه من الدنيا وأن مثله مثل الزارع الذي يبذر حبه في الأرض ويعمرها [4] ابتغاء الزرع لا ابتغاء العشب ثم هي لا محالة [5] نابت فيها ألوان [6] العشب مع ناضر [7] الزرع فأقبلت على

١ شاورتها ٢ اولى ٣ اي العاقبة ٤ اي يصلحها ٥ لا بد ٦ انواع ٧ خصيب

مداواة المرضى ابتغاء أجر الآخرة فلم أدع مريضا أرجو له البرء وآخر لا أرجو له ذلك إلا أني أطمع أن يخفّ عنه بعض المرض إلا بالغت في مداواته جهدي. ومن قدرت على القيام عليه (١) قمت عليه بنفسي ومن لم أقدر على القيام عليه وصفت له ما يصلح وأعطيته من الدواء ما يتعالج به وأمرته بالذي ينبغي. ولم أرد ممن فعلت معه ذلك جزاء ولا مكافأة. ولم أغبط أحدا (٢) من نظرائي (٣) الذين هم مثلي في العلم ولا من هم فوقي في الجاه والمال وغيرهما مما لا يعود بصلاح ولا حسن سيرة قولا ولا عملا

ولما كانت نفسي تتوق (٤) إلى ذلك وتنازعني (٥) في أن تنال مثل منالهم كنت آبي (٦) لها إلا الخصومة (٧) وأقول لها. يا نفس أما تعرفين نفعك من ضرك ألا تنتهين عن طلب ما لا يناله أحد إلا قلّ انتفاعه به وكثر عناؤه فيه واشتدت المؤونة (٨) عليه وعظمت المشقة لديه بعد فراقه * يا نفس أما تذكرين ما بعد هذه الدار فينسيك ما تشرهين إليه (٩) منها.

(١) ملازمته والقيام بشأنه ٢ أتمنى مثل حاله ٣ أمثالي ٤ تشتاق ٥ تجاذبني ٦ لا أريد ٧ المخاصمة ٨ الثقل والشدة ٩ أي تحرصين عليه حرصا شديدا

ألا تستحيين من مشاركة الفجار في حب هذه العاجلة الفانية التي من كان في يده منها شيء فليس له وليس بباق عليه فلا يألفه إلا المغرورون الجاهلون * يا نفس انظري في أمرك وانصرفي عن هذا السفه (١) وأقبلي بقوتك وسعيك على تقديم الخير وإياك والتسويف (٢). واذكري أن هذا الجسد موجود لآفات (٣) وأنه مملوء أخلاطا فاسدة قذرة متعادية (٤) متنافية تعقدها الحياة والحياة إلى نفاد كالصنم المفصلة أعضاؤه إذا ركبت ووضعت جميعها في مواضعها مسمار واحد يمسك بعضها على بعض فإذا أخذ ذلك المسمار تساقطت تلك الأوصال (٥) * يا نفس لا تغتري بصحبة أحبابك وخلانك ولا تحرصي على ذلك كل الحرص فإن صحبتهم على ما فيها من البهجة والسرور كثيرة المؤونة والأذى وعاقبة ذلك الفراق. ومثلها مثل المغرفة التي تستعمل في جدتها لسخونة المرق ولذعه فإذا قدمت صارت وقودا في النار * يا نفس لا يحملنك أهلك وأقاربك على جمع ما تهلكين فيه إرادة

١ الخفة والطيش ٢ المطل ٣ اعراض مفسدة ٤ بينها عداوة ٥ الاعضاء.

صلتهم[1] فإذا أنت كالدخنة[2] الأرجة[3] التي تحترق ويذهب آخرون بريحها * يا نفس لا تركني إلى هذه الدار الفانية ولا تغتري بها طمعا في البقاء والمنزلة التي ينظر إليها أهلها. فكأين[4] ممن لا يبصر صغره يستعظم وحقارته حتى يفارقه كشعر الرأس الذي يخدمه صاحبه ويكرمه ما دام على رأسه فإذا فارق رأسه استقذره[5] ورفضه * يا نفس لا تملي من عيادة[6] المرضى ومداواتهم واعتبري كيف يجهد الرجل أن يفرج عن مضيم واحد[7] كربة[8] واحدة ويستنقذه منها رجاء الأجر. فكيف بالطبيب الذي يفعل كثيرا من ذلك مع كثيرين. إن هذا لخليق أن يعظم رجاؤه ويوثق منه بحسن الثواب * يا نفس لا يبعد عليك أمر الآخرة فتميلي إلى العاجلة في استعجال[9] القليل وبيع الكثير باليسير. كالتاجر الذي كان له ملء بيت من الصندل[10] فقال إن بعته وزنا طال علي فباعه جزافا[11] بأبخس[12] الثمن * وقد

١ اي الاحسان اليهم ٢ نوع من الطيب ٣ ذات الارج وهو طيب الرائحة ٤ فكم ٥ وجده قذرا ٦ زيارة ٧ ذي ضيم اي ظلم وجهد ٨ شدة ٩ طلب العجلة ١٠ حب طيب الرائحة ١١ بلا وزن ١٢ انقص

وجدت آراء الناس مختلفة وأهواءهم[1] متباينة[2] وكل على كل عاد[3] وله عدو ومغتاب[4] وفيه واقع[5]

فلما رأيت ذلك لم أجد إلى متابعة أحد منهم سبيلا وعرفت أني إن صدقت أحدا منهم لا علم لي بحاله كنت في ذلك كالمصدق المخدوع الذي زعموا فيه أن سارقا علا ظهر بيت رجل من الأغنياء وكان معه جماعة من أصحابه. فاستيقظ الرجل من وطئهم[6] فأيقظ امرأته فأعلمها بذلك وقال لها رويدا[7] إني لأحسب اللصوص علوا على البيت. فأيقظيني بصوت يسمعه اللصوص وقولي ألا تخبرني أيها الرجل عن أموالك هذه الكثيرة وكنوزك العظيمة من أين جمعتها. فإذا امتنعت عليك فألحي علي في السؤال واستحلفيني حتى أقول لك. ففعلت المرأة ذلك وسألته كما أمرها وأنصتت[8] اللصوص إلى سماع قولهما. فقال لها الرجل أيتها المرأة قد ساقك القدر إلى رزق واسع ومال كثير فكلي واشربي ولا تسألي عن أمر إن أخبرتك به لم آمن أن يسمعه أحد

١ اميال نفوسهم ٢ متباعدة ٣ ساط وهاجم ٤ قادح في عرضه وهو غائب ٥ ساب له ٦ دوسهم ٧ مهلا ٨ أصغت

فيكون في ذلك ما أكره وتكرهين . فقالت المرأة أخبرني
أيها الرجل فعمري (١) ما بقربنا أحد يسمع كلامنا . فقال لها
وإني مخبرك أني لم أجمع هذه الأموال إلا من السرقة .
قالت وكيف كان ذلك وما كنت تصنع وأنت عند الناس
من البررة (٢) الصلاح . قال ذلك لعلم أصبته في السرقة
وكان الأمر علي يسيراً وأنا آمن من أن يتهمني أحد أو
يرتاب بي . قالت فاذكر لي ذلك . قال كنت أذهب في
الليلة المقمرة أنا وأصحابي حتى أعلو دار بعض الأغنياء
مثلنا فأنتهي (٣) إلى الكوة (٤) التي يدخل منها الضوء . فأرقي (٥)
بهذه الرقية وهي شولم شولم سبع مرات وأعتنق الضوء ولا
يحس بوقوعي أحد ولا يبقى في البيت شيء إلا أتاني قاصداً
مطيعاً فلا أدع مالاً ولا متاعاً إلا أخذته . ثم أعيد العزيمة (٦)
أيضاً وأعتنق الضوء فيجذبني فأصعد إلى أصحابي فنمضي
سالمين آمنين . وليس على من يفعل ذلك إلا أن تكون له
جرأة (٧) فيسلم نفسه إلى حبل الضوء ويتعلق بها وينزل

١ قسماً بعمري ٢ جمع بار ٣ أصل ٤ النافذة ٥ من أعمال السحرة ٦ الرقية ٧ شجاعة واقدام

عليه . فاكتمي ذلك وإياك أن تعلميه لأحد . فلما سمع
اللصوص ذلك قالوا قد ظفرنا الليلة بما نريد من المال .
ثم إنهم أطالوا المكث حتى ظنوا أن صاحب الدار وزوجته
قد هجعا (١) وكانت تلك الليلة مقمرة وللبيت كوة ينفذ منها
الضوء . فقام قائدهم إلى مدخل الضوء وقال شولم شولم سبع
مرات ثم اعتنق الضوء لينزل إلى أرض المنزل فوقع على
أم رأسه (٢) منكساً (٣) فوثب إليه الرجل بهراوته (٤) وقال
له من أنت قال أنا المصدق المخدوع المغتر بما لا يكون أبداً
وهذه ثمرة رقيتك وعاقبة من يصدق كل ما يسمع

فلما تحرزت من تصديق ما لا يكون ولم آمن إن
صدقته أن يوقعني في مهلكة عدت إلى البحث عن الأديان
والتماس العدل (٥) منها فلم أجد عند أحد ممن كلمته جواباً
فيما سألته عنه فيها ولم أر فيما كلموني به شيئاً يحق لي في
عقلي أن أصدق به ولا أن أتبعه . فقلت لما لم أجد ثقة
آخذ منه فالرأي أن ألزم دين آبائي وأجدادي الذي

١ ناما ٢ دماغه ٣ منقلباً ٤ عصاه الضخمة ٥ العادل

وجدتهم عليه وهممت بذلك. ثم التمست لنفسي مخرجا فقلت إن كان من يفعل هذا معذورا فإن الذي يجد أباه ساحرا ويجري على منهاجه يكون غير ملوم مع أشباه ذلك مما لا يحتمله العقل. وذكرت في ذلك قول رجل كان فاحش[1] الأكل فعوتب في ذلك فقال كذلك كان أكل أبي وجدي. فلما ذهبت ألتمس العذر لنفسي في لزوم دين الآباء والأجداد ولم أجد لها على الثبوت على دين الآباء طاقة. بل وجدتها تريد أن تتفرغ للبحث عن الأديان والمسألة عنها والنظر فيها. هجس[2] في قلبي وخطر على بالي قرب الأجل وسرعة انقطاع الدنيا واعتباط[3] أهلها وتخرم[4] الدهر حياتهم. فتفكرت في ذلك وقلت أما أنا فلعلي قد قرب أجلي وحانت نقلتي[5] وقد كنت أعمل أمورا محمودة أرجو أن تكون أصلح الأعمال. ولعل ترددي نفسي عن خير كنت أعمله فيكون أجلي دونه. فتطمح[6] إليه نفسي ويطلبه أملي. ويصيبني ما أصاب الرجل الذي زعموا أنه تواطأ[7] مع خادم في بيت لأحد الأغنياء

١ متجاوز الحد فيه ٢ بمعنى خطر ٣ اي هلاك ٤ استئصال ٥ الاسم من الانتقال بمعنى الموت ٦ اي تميل ٧ اتفق

على أن يأتي البيت في كل ليلة يغيب أهله فيجمع له الخادم ما في البيت فيذهب به ويبيعه ويتشاطرا ثمنه. فاتفق ذات ليلة أن غاب أهل البيت وبقي الخادم وحده فأنذر صاحبه فأقبل حتى دخل البيت وأخذا في الجمع مما فيه وبينا[1] هما يجمعان إذ قرع الباب. وكان للبيت باب آخر لم يكن يعلمه الرجل وكان ذلك الباب عند جب[2] الماء. فقال الخادم للرجل على عجل منه وخيفة بدر اخرج من الباب الذي عند جب الماء وأشار له إلى موضعه. فانطلق الرجل إلى ذلك المكان فوجد الباب ولكن لم يجد جب الماء فرجع إليه وقال له أما الباب فوجدته وأما الجب فلم أجده. فقال له أيها المائق[3] وما تصنع بالجب إنما دللتك به لتعرف الباب فإذ قد عرفته فاذهب عاجلا. فقال له لم يكن ذلك صدقا فلم ذكرت الجب وليس هو هناك. فقال له ويحك[4] أيها الأحمق انج بنفسك ودع عنك الحمق والتردد. فقال له كيف أمشي وقد خلطت[5] علي وذكرت الجب وليس

١ بينما ٢ بئر ٣ الاحمق في غباوة ٤ ويلك ٥ اي خلطت الحق بالباطل

هناك. فلم يزل على مثل هذه الحال حتى دخل رب البيت فأخذ بتلبيبه[1] وأوجعه ضربا ورفعه[2] إلى السلطان[3]

فلما خفت من التردد رأيت أن لا أتعرض لما أتخوف منه المكروه واقتصرت على كل شيء تشهد به العقول وتتفق عليه أهل الأديان ويرى أنه صواب وحق. فكففت يدي عن الضرب والقتل والسرقة وزجرت نفسي عن الكبر[4] والغضب وزهدت قلبي عن الحقد والبغض والخيانة وصنت لساني عن الكذب والبهتان[5] والغيبة[6] والنميمة وكل أمر مكروه. وضمرت في نفسي أن لا أبغي على أحد ولا أكذب بالبعث[7] ولا القيامة ولا الثواب ولا العقاب وأن لا إله إلا الله الفرد الصمد[8] يكافئ على الخير بالخير وعلى الشر بالشر وأن لا بد من المشيئة والحساب. وزايلت[9] الأشرار وحاولت الجلوس مع الأخيار بجهدي. ورأيت كلا من الصلاح والعلم ليس كمثله صاحب ولا قرين[10] ووجدت مكسبه إذا وفق الله

١ جمع ثيابه عند صدره وعنقه ساحبا اياه ٢ قدمه ٣ المراد به هنا الحاكم ٤ الكبرياء ٥ القول على الناس ما لم يفعلوه ٦ الاسم من اغتابه وقد مر ٧ بمعنى القيامة ٨ من اسماء الله ومعناه الدائم ٩ فارقت ١٠ مصاحب وعشير

وعن يسيرا ووجدته يدل على الخير ويشير بالنصح فعل الصديق بالصديق. ووجدته لا ينقص على الإنفاق منه بل يزداد ولا يخلق على كثرة الإستعمال بل يجد ويزهو ويكثر. ووجدته لا خوف عليه من السلطان أن يغصبه[1] ولا من الآفات أن تفسده ولا من الماء أن يغرقه. ولا من النار أن تحرقه. ولا من اللصوص أن تسرقه. ولا من السباع وجوارح الطير[2] أن تمزقه

ووجدت الرجل الساهي اللاهي المؤثر اليسير ينال في يومه ويعدمه في غده على الكثير الباقي نعيمه. يصيبه فيما ذهبت فيه أيامه ما أصاب التاجر الذي زعموا أنه كان له جوهر نفيس فاستأجر لثقبه رجلا في اليوم على مئة درهم يدفعها إليه وانطلق به إلى منزله ليعمل. وإذا في ناحية البيت صنج[3] موضوع فقال التاجر للصانع هل تحسن الضرب بالصنج قال نعم وكان بضربه ماهرا فقال الرجل دونك[4] الصنج فأسمعنا ضربك به. فأخذ الرجل الصنج ولم

١ يأخذه قهرا وظلما ٢ ما يصيد منها ٣ من آلات الطرب ٤ اي خذ

عمل يسمع التاجر الضرب الصحيح والصوت الرخيم والتاجر يشير بيده أن يضرب حتى أمسى. فلما حان الغروب قال الرجل للتاجر مر لي بالأجرة. فقال له التاجر وهل عملت شيئاً تستحق به الأجرة. فقال له عملت ما أمرتني به وأنا أجيرك وما استعملتني[1] عملت. ولم يزل به حتى استوفى منه مئة الدرهم وبقي جوهره غير مثقوب

فلم أزدد في الدنيا وشهواتها نظراً إلا ازددت فيها زهادة ومنها هرباً ووجدت النسك هو الذي يمهد[2] للمعاد[3] كما يمهد الوالد لولده. ووجدته هو الباب المفتوح إلى النعيم المقيم. ووجدت الناسك قد تدبر فعلته[4] بالسكينة[5] والوقار فشكر وتواضع وقنع فاستغنى. ورضي فلم يهتم. وخلع الدنيا فنجا من الشرور. ورفض الشهوات فصار طاهراً. وطرح الحسد فوجبت له المحبة. وانفرد بنفسه فكفي الأحزان وسخت نفسه بكل شيء. واستعمل العقل فأبصر العاقبة فأمن الندامة. واعتزل الناس[6] فسلم منهم ولم يخفهم

١ طلبت مني عمله ٢ يسهل ويوطئ ٣ للآخرة ٤ نظر في عواقبها ٥ الطمأنينة والهدوء ٦ تنحى عنهم

فلم أزدد في أمر النسك نظراً إلا ازددت فيه رغبة حتى هممت أن أكون من أهله. ثم تخوفت أن لا أصبر على عيش الناسك ولا أقوى على عسره وضيقه لما اعتدته وغذيت به منذ كنت وليداً. ولم آمن إن تركت الدنيا وأخذت في النسك أن أضعف عن ذلك وأكون قد رفضت أعمالاً كنت أرجو عائدتها[1] وقد كنت أعملها فأنتفع بها في الدنيا. فيكون مثلي في ذلك مثل الكلب الذي مر بنهر وفي فيه ضلع فرأى ظلها في الماء فأهوى[2] ليأخذها فأتلف ما كان معه ولم يجد في الماء شيئاً. فهبت[3] النسك مهابة شديدة وخفت من الضجر وقلة الصبر وأردت الثبوت على حالتي التي كنت عليها. ثم بدا[4] لي أن أقيس ما أخاف أن لا أصبر عليه من الشظف[5] والضيق والخشونة في النسك وما يصيب صاحب الدنيا من البلاء. وكان عندي أنه ليس شيء من شهوات الدنيا ولذاتها إلا وهو متحول إلى الأذى ومولد الحزن. فالدنيا كالماء الملح[6] الذي لا يزداد شاربه شرباً إلا

١ نفعها ٢ أي انعطف ومال ٣ خفت ٤ عرض وخطر ٥ ضيق العيش وشدته ٦ ذي الملوحة

ازداد عطشا . وكالعظم الذي يصيبه(1) الكلب فيجد فيه ريح اللحم فلا يزال يطلب ذلك اللحم حتى يدمي فاه(2) ولا ينال شيئا مما طلب . وكالحداة(3) التي تظفر(4) بالبضعة من اللحم فيجتمع عليها الطير فلا تزال تدور وتدأب(5) حتى تعيى وتعجز وإذا تعبت ألقت ما معها . وكالكوز من العسل الذي في أسفله السم الذي يذاق منه حلاوة عاجلة وآخره موت زعاف(6) . وكأحلام النائم التي يفرح بها الإنسان في نومه فإذا استيقظ ذهب الفرح . وكالبرق الذي يضيء يسيرا ويطمع بالنور ثم يذهب بغتة ويرجع الظلام . وكدودة القز التي تنسج نهارا وليلا وتهلك وسط نسجها الذي كلما زادت منه نسجا زاد استحكاما ومنعا لها عن الخروج

فلما فكرت في هذه الأمور رجعت إلى طلب النسك وهزني الاشتياق إليه وقلت لا يليق بي أن أقيس الدنيا بالنسك إذا تفكرت فيها وفي شرورها وأحزانها . ثم خاصمت نفسي إذ هي في شرورها سارحة وقد لا تثبت على أمر تعزم

١ يجده ٢ يسيل منه الدم ٣ طائر ٤ القطعة ٥ تجتهد
٦ سريع

عليه كقاضي سمع من خصم واحد فحكم له فلما حضر الخصم الثاني عاد إلى الأول فقضى عليه * ثم نظرت في الذي أكابده من احتمال النسك وضيقه فقلت ما أصغر هذه المشقة في جانب روح(1) الأبد وراحته . ثم نظرت فيما تنزع(2) إليه النفس البهيمية من لذة الدنيا فقلت ما أمر هذا وأوجعه وهو يدفع إلى عذاب الأبد وأهواله . وكيف لا يستحلي الرجل مرارة قليلة تعقبها(3) حلاوة طويلة وكيف لا تمر(4) عليه حلاوة قليلة تعقبها مرارة دائمة . وقلت لو أن رجلا عرض عليه أن يعيش مئة سنة لا يأتي عليه يوم واحد إلا بضع منه بضعة(5) غير أنه يشترط له أنه إذا استوفى السنين المئة نجا من كل ألم وأذى وصار إلى الأمن والسرور كان حقيقا أن لا يرى تلك السنين شيئا . فكيف يأبى الصبر على أيام قلائل يعيشها في النسك وأذى تلك الأيام قليل يعقب خيرا كثيرا . أوليس أن الدنيا كلها بلاء وعذاب والإنسان إنما يتقلب في عذابها من حين يولد إلى أن يستوفي

١ سرور ٢ اي تميل ٣ تاتي بعدها ٤ من المرارة ٥ قطع منه قطعة

أيامَ حياتِهِ

فإنهُ إذا كان طفلاً ذاقَ من العذابِ ألواناً إن جاع فليس بهِ استطعام[1] وعطش فليس بهِ استسقاء[2] أو وجع فليس بهِ استغاثة[3] مع ما يلقى من الوضعِ والحملِ واللفِّ والدهنِ والمسحِ إن أُنيم على ظهرِهِ لم يستطع قياماً ولا تقلباً. ثم يلقى أصنافَ العذابِ ما دام رضيعاً فإذا أفلت من عذابِ الرضاعِ أخذ في عذابِ الأدبِ فأُذيقَ منهُ ألواناً من عنفِ المعلمِ وضجرِ الدرسِ وسآمةِ[4] الكتابةِ. ثم لهُ من الدواءِ والحميةِ[5] والأسقامِ والأوجاعِ أوفى نصيبٍ. فإذا أدرك لحقهُ همُّ الأهلِ وكانت همتهُ في جمعِ المالِ وتربيةِ الولدِ ومخاطرةِ الطلبِ والسعي والكدِّ والتعبِ. وهو مع كلِّ ذلك يتقلبُ مع أعدائهِ الباطنين اللازمين لهُ وهم المرةُ الصفراء والمرةُ السوداء والريحُ والبلغمُ والدمُ مع السمِّ المميتِ والحيةِ اللادغةِ والخوفِ من السباعِ والهوامِّ مع تقلبِ الفصولِ من الحرِّ والبردِ والأمطارِ والرياحِ والثلوجِ

١ طلب طعام ٢ طلب شرب ٣ استعانة ٤ ملل ٥ التوقي في الاكل

والشيطانِ الدائمِ والقرينِ السوءِ وغيرِ ذلك من الطواري[1] الرديةِ ثم أنواعِ عذابِ الهرمِ[2] لمن يبلغهُ

فلو لم يخف من هذهِ الأمورِ شيئاً وكان قد أمن ووثق بالسلامةِ منها فلم يفكر بها لوجب عليهِ أن يكون مفكراً في الساعةِ التي يحضرهُ فيها الموتُ ويفارقُ الدنيا فيذكر ما هو نازلٌ بهِ في تلك الساعةِ مما هو أشدُّ جداً من ذلك من فراقِ الأحبةِ والأقاربِ والمالِ وكلِّ مضنونٍ[3] بهِ من الدنيا مع الإشرافِ[4] على الهولِ[5] العظيمِ بعد الموتِ. فلو لم يفعل ذلك لكان حقيقاً أن يعدَّ عاجزاً مفرطاً[6] محباً للدناءةِ مستحقاً للومِ *

فمن ذا الذي يعلمُ هذا ولا يستعدُّ لهُ قبل حلولهِ ويحتالُ لغدهِ جهدهُ في الحيلةِ ويرفضُ ما يشغلهُ ويلهيهِ من شهواتِ الدنيا وغرورِها. ولا سيما في هذا الزمانِ الشبيهِ بالصافي وهو كدرٌ.

فإنهُ وإن كان الملكُ حازماً عظيمَ المقدرةِ رفيعَ الهمةِ بليغَ الفحصِ عدلاً[7] مرجواً صدوقاً شكوراً رحبَ الذراعِ[8] مواظباً على الحسنى[9] عالماً بالناسِ مهتماً بأمورِ رعيتهِ ناظراً في أحوالهم

١ الحوادث ٢ الشيخوخة ٣ مبخول ٤ الاقبال ٥ الخوف الشديد ٦ مقصراً ٧ عادلاً ٨ اي واسع الخلق ٩ الاعمال الحسنة

محبا للعلم والخير والأخيار شديدا على الظلمة[1] غير جبان ولا خفيف القياد[2] رفيقا بالتوسع على الرعية فيما يحبون والدفع لما يكرهون. فإنا قد نرى الزمان مدبرا[3] بكل مكان حتى كأن أمور الصدق قد نزعت من الناس فأصبح ما كان عزيزا[4] فقده مفقودا وموجودا ما كان ضائرا[5] وجوده وكان الخير أصبح ذابلا والشر ناضرا[6]. وكان الفهم أصبح قد زالت سبله وكان الحق ولى كسيرا وأقبل الباطل تابعه. وكان اتباع الهوى وإضاعة الحكم أصبح بالحكم موكلا[7] وأصبح المظلوم بالحيف[8] مقرا والظالم بنفسه مستطيلا[9] وكان الحرص أصبح فاغرا[10] فاه من كل جهة يتلقف[11] ما قرب منه وما بعد. وكان الرضا أصبح مجهولا وكان الأشرار يقصدون السماء صعودا وكان الأخيار يريدون بطن الأرض. وأصبحت المروءة مقذوفا بها[12] من أعلى شرف[13] إلى أسفل درك[14] وأصبحت الدناءة ممكنة وأصبح السلطان منتقلا عن أهل الفضل إلى أهل النقص. وكان الدنيا جذلة[15] مسرورة

١ جمع ظالم ٢ الرسن اي غير سهل الانقياد ٣ موليا ٤ اي نادرا ٥ مضرا ٦ زاهيا ٧ اي لازما لهم ٨ الظلم والجور ٩ متعظما ١٠ فاتحا ١١ يتناول ١٢ ملقاة ١٣ مكان عال ١٤ اقصى قعر الشيء ١٥ فرحة

تقول قد غيبت الخيرات وأظهرت السيئات

فلما فكرت في الدنيا وأمورها وأن الإنسان هو أشرف الخلق فيها وأفضله ثم هو لا يتقلب إلا في الشرور والهموم عجبت من ذلك كل العجب. وتحققت أنه ليس إنسان ذو عقل يعلم ذلك ثم لا يحتال لنفسه في النجاة ويلتمس الخلاص. وإن فرط في ذلك فهو عندي عاجز قليل الرأي ناقص الهمة نبه له وعليه. ثم نظرت فإذا الناس كلهم مفرطون في ذلك مغفلون له فقضيت العجب[1] من ذلك. والتمست[2] لهم عذرا به ونظرت فإذا الإنسان لا يمنعه عن الاحتيال لنفسه إلا لذة صغيرة حقيرة من النظر والسمع والشم والذوق واللمس لعله أن يصيب منها الطفيف أو يقتني منها اليسير. فإذا ذلك يشغله ويذهب به عن الإهتمام لنفسه وطلب النجاة لها

فالتمست للإنسان مثلا فإذا مثله مثل رجل نجا من خوف فيل هائج إلى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين كانا على سمائها[3] فوقعت رجلاه على شيء في طي البئر[4] فإذا حيات أربع

١ عجبت جدا ٢ طلبت ٣ اعلاها ٤ جانبها المبني بالحجارة

قد أخرجن رؤوسهن من أجحارهن (١). ثم نظر فإذا في قعر البئر تنين فاتح فاه منتظر له ليقع فيأخذه. فرفع بصره إلى الغصنين فإذا في أصلهما جرذان أسود وأبيض وهما يقرضان الغصنين دائبين (٢) لا يفتران * فبينما هو في النظر لأمره والاهتمام لنفسه إذ بصر قريباً منه بخلية (٣) فيها عسل فذاق العسل فشغلته حلاوته وألهته لذته عن الفكرة في شيء من أمره وأن يلتمس الخلاص لنفسه. ولم يذكر أن رجليه على حيات أربع لا يدري متى يقع عليهن. ولم يذكر أن الجرذين دائبان في قطع الغصنين ومتى انقطعا وقع على التنين. فلم يزل لاهياً غافلاً مشغولاً بتلك الحلاوة حتى سقط في فم التنين فهلك

فشبهت بالبئر الدنيا المملوءة آفات وشروراً ومخافات وعاهات (٤). وشبهت بالحيات الأربع الأخلاط الأربعة التي في البدن فإنها متى هاجت أو هاج أحدها كانت كحمة (٥) الأفاعي (٦) والسم المميت. وشبهت بالغصنين الأجل الذي

١ الجحر بتقديم الجيم للهوام والسباع كالوكر للطير ٢ مستمرين ٣ بيت النحل ٤ أعراضاً مفسدة ٥ الإبرة التي تلسع بها ٦ الحيات

هو إلى حين ثم لا بد من فنائه وانقطاعه. وشبهت بالجرذين الأسود والأبيض الليل والنهار اللذين هما دائبان في إفناء الأجل. وشبهت بالتنين المصير (١) الذي لا بد منه. وشبهت بالعسل هذه الحلاوة القليلة التي ينال منها الإنسان فيرى ويطعم (٢) ويسمع ويشم ويلمس ويتشاغل عن نفسه ويلهو عن شأنه فينسى أمر الآخرة ويصد عن سبيل قصده.

فحينئذ صار أمري إلى الرضى بحالي وإصلاح ما استطعت إصلاحه من عملي لعلي أن أصادف باقي أيامي زماناً أصيب فيه دليلاً على هداي وسلطاناً على نفسي وقواماً على أمري. فأقمت على هذه الحال واتجهت إلى بلاد الهند في طلب العقاقير (٣) والأدوية. ثم عدت إليها في انتساخ هذا الكتاب وانصرفت منها إلى بلادي وقد انتسخت من كتبهم كتباً كثيرة منها هذا الكتاب

المنتهى ٢ يأكل ٣ النباتات التي يتداوى بها وقد مر

باب
الأسد والثور
وهو أول الكتاب

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف وهو رأس البراهمة اضرب لي مثلاً لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء

قال بيدبا إذا ابتلي المتحابان بأن يدخل بينهما الكذوب المحتال لم يلبثا(١) أن يتقاطعا(٢) ويتدابرا(٣) وآفة(٤) المودة النميمة. ومن أمثال ذلك أنه كان بأرض دستاوند رجل شيخ له ثلاثة بنين. فلما بلغوا أشدهم(٥) أسرفوا في مال أبيهم(٦) ولم يكونوا احترفوا(٧) حرفة يكسبون بها لأنفسهم خيراً. فلامهم أبوهم ووعظهم على سوء فعلهم. وكان من قوله لهم يا بنيّ إن صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لن يدركها إلا بأربعة أشياء. أما الثلاثة التي يطلب فالسعة في الرزق والمنزلة في الناس والزاد

---

١ يبطئا ٢ يهجر بعضهما بعضاً ٣ يولي بعضهما عن بعض ٤ الآفة عرض مفسد لما اصابه وقد مرّ ٥ قوتهم اي خرجوا من سن الصبوة ٦ بالغوا في انفاقه ٧ اي اتخذوا

للآخرة. وأما الأربعة التي يحتاج إليها في درك(١) هذه الثلاثة فاكتساب المال من أحسن وجه يكون. ثم حسن القيام(٢) على ما اكتسب منه. ثم استثماره(٣). ثم إنفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الأهل والإخوان فيعود عليه نفعه في الآخرة. فمن ضيّع شيئاً من هذه الأحوال لم يدرك ما أراد من حاجته. لأنه إن لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به. وإن هو كان ذا مال واكتسب ثم لم يحسن القيام عليه أوشك المال أن يفنى ويبقى معدماً(٤). وإن هو وضعه ولم يستثمره لم تمنعه قلة الإنفاق من سرعة الذهاب كالكحل الذي لا يؤخذ منه إلا غبار الميل ثم هو مع ذلك سريع فناؤه. وإن هو أنفقه في غير وجهه ووضعه في غير موضعه وأخطأ به مواضع استحقاقه صار بمنزلة الفقير الذي لا مال له. ثم لم يمنع ذلك أيضاً ماله من التلف بالحوادث والعلل التي تجري عليه. كمحبس الماء الذي لا تزال المياه تنصبّ فيه فإن لم يكن له مخرج ومفاض(٥) ومتنفس(٦) يخرج منه الماء بقدر ما ينبغي

---

١ ادراك ٢ التدبير والسياسة ٣ استخراج ثمرة منه اي فائدة ٤ فقيراً ٥ مكان يفيض منه ٦ مكان يتنفس منه اي يخرج

خرب وسال وتزّ من نواحٍ كثيرة وربما انبثق[1] البثق العظيم فذهب الماء ضياعًا. وإن بني الشيخ اتعظوا بقول أبيهم وأخذوا به[2] وعلموا أن فيه الخير وعوّلوا[3] عليه. فانطلق أكبرهم نحو أرض يقال لها ميون فأتى في طريقه على مكان فيه وحل كثير وكان معه عجلة يجرها ثوران يقال لأحدهما شتربة وللآخر بندبة. فوحل شتربة في ذلك المكان فعالجه[4] الرجل وأصحابه حتى بلغ منهم الجهد[5] فلم يقدروا على إخراجه. فذهب الرجل وخلف عنده رجلاً يشارفه[6] لعل الوحل ينشف فيتبعه به. فلما بات الرجل بذلك المكان تبرّم[7] به واستوحش فترك الثور والتحق بصاحبه فأخبره بأن الثور قد مات. وقال له إن الإنسان إذا انقضت مدته وحانت منيته فهو وإن اجتهد في التوقي من الأمور التي يخاف فيها على نفسه الهلاك لم يغن ذلك عنه[8] شيئًا وربما عاد اجتهاده في توقيه وحذره وبالاً[9] عليه كالذي قيل إن رجلاً سلك مفازة[10] فيها خوف من

١ انفتق وانفجر ٢ عملوا بموجبه ٣ اعتمدوا ٤ اي حاول اخراجه ٥ اي بلغ انتهاءه ٦ يطلع عليه ٧ ملّ ٨ اي لم ينفعه ٩ سوء عاقبة ١٠ فلاة فيها

السباع[1] وكان الرجل خبيرًا بوعث[2] تلك الأرض وخوفها. فلما سار غير بعيد اعترض له ذئب من أحد الذئاب وأضراها[3] فلما رأى الرجل أن الذئب قاصد نحوه خاف منه ونظر يمينًا وشمالاً ليجد موضعًا يتحرز[4] فيه من الذئب فلم ير إلا قرية خلف وادٍ فذهب مسرعًا نحو القرية. فلما أتى الوادي لم ير عليه قنطرة ورأى الذئب قد أدركه فألقى نفسه في الماء وهو لا يحسن السباحة وكاد يغرق لولا أن بصر به[5] قوم من أهل القرية فتواقعوا[6] لإخراجه فأخرجوه وقد أشرف على الهلاك[7]. فلما حصل الرجل عندهم وأمن على نفسه من غائلة[8] الذئب رأى على عدوة[9] الوادي بيتًا مفردًا فقال أدخل هذا البيت فأستريح فيه. فلما دخله وجد جماعة من اللصوص قد قطعوا الطريق على رجل من التجار وهم يقتسمون ماله ويريدون قتله. فلما رأى الرجل ذلك خاف على نفسه ومضى نحو القرية فأسند ظهره إلى حائط من حيطانها ليستريح مما حل به من الهول[10] والإعياء[11] إذ سقط عليه

١ الحيوانات المفترسة ٢ وعورة ٣ تفضيل من قولهم سبع ضارٍ ٤ يتوقى ٥ لمحه ٦ اي رموا بانفسهم ٧ اي كاد يهلك ٨ اي شر ٩ جانب ١٠ الخوف الشديد ١١ شدة التعب

الحائط فمات

قال الرجل صدقت قد بلغني هذا الحديث * وأما الثور فإنه خلص من مكانه وانبعث[1] فلم يزل في مرج مخصب كثير الماء والكلأ[2] فلما سمن وأمن جعل يخور[3] ويرفع صوته بالخوار. وكان قريبًا منه أجمة[4] فيها أسد عظيم وهو ملك تلك الناحية ومعه سباع كثيرة وذئاب وبنات آوى[5] وثعالب وفهود ونمور. وكان هذا الأسد منفردًا برأيه دون أخذ برأي أحد من أصحابه. فلما سمع خوار الثور ولم يكن رأى ثورًا قط ولا سمع خواره خامره[6] منه هيبة وخشية[7] وكره أن يشعر[8] بذلك جنده فكان مقيمًا مكانه لا يبرح[9] ولا ينشط[10] بل يؤتى برزقه كل يوم على يد جنده. وكان فيمن معه من السباع ابنا آوى يقال لأحدهما كليلة وللآخر دمنة وكانا ذوي[11] دهاء[12] وعلم وأدب

فقال دمنة يومًا لأخيه كليلة يا أخي ما شأن[13] الأسد

١ اسرع ٢ العشب ٣ من الخوار وهو صوت البقر ٤ شجر كثير ملتف ٥ جمع ابن آوى وهو حيوان معروف ٦ داخله ٧ خوف ٨ يعلم ٩ اي لا يتحول عن مكانه ١٠ اي يخرج لشأنه ١١ مثنى ذو بمعنى صاحب ١٢ جودة راي ١٣ ما بال

مقيمًا مكانه لا يبرح ولا ينشط خلافًا لعادته. قال له كليلة ما شأنك أنت والمسألة عن هذا. نحن على باب ملكنا آخذين بما أحب وتاركين ما يكره ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها كلام الملوك والنظر في أمورهم. فأمسك عن هذا واعلم أنه من تكلف من القول والفعل ما ليس من شكله أصابه ما أصاب القرد من النجار. قال دمنة وكيف كان ذلك

قال كليلة زعموا أن قردًا رأى نجارًا يشق خشبة وهو راكب عليها وكلما شق منها ذراعًا أدخل فيها وتدًا فوقف ينظر إليه وقد أعجبه ذلك. ثم إن النجار ذهب لبعض شأنه فقام القرد وتكلف ما ليس من شأنه[1] فركب الخشبة وجعل وجهه قبل الوتد وظهره قبل طرف الخشبة فتدلى ذنبه في الشق ونزع الوتد فلزم الشق عليه فكاد يغشى عليه من الألم. ثم إن النجار وافاه[2][3] فأصابه[4] على تلك الحالة فأقبل عليه يضربه فكان ما لقي من النجار من الضرب أشد مما أصابه من الخشبة *

قال دمنة قد سمعت ما ذكرت. وليس كل من يدنو من الملوك

١ مقتضى حاله ٢ الى جهة ٣ اتاه ٤ وجده

يقدر على صحبتهم ويفوز بقربهم. ولكن أعلم أن كل من يدنو منهم ليس يدنو منهم لبطنه فإن البطن يحشى بكل شيء. وإنما يدنو منهم ليسر الصديق ويكبت (١) العدو. وإن من الناس من لا مروءة له وهم الذين يفرحون بالقليل ويرضون بالدون كالكلب الذي يصيب عظما يابسا فيفرح به. وأما أهل الفضل والمروءة فلا يقنعهم القليل ولا يرضون به دون أن تسمو (٢) بهم نفوسهم إلى ما هم أهل له وهو أيضا لهم أهل. كالأسد الذي يفترس الأرنب فإذا رأى البعير تركه وطلب البعير. ألا ترى أن الكلب يبصبص (٣) بذنبه حتى ترمي له الكسرة من الخبز فيفرح بها وتقنعه منك. وأن الفيل المعترف بفضله وقوته إذا قدم إليه علفه لا يعتلفه حتى يمسح وجهه ويتملق له. فمن عاش ذا مال وكان ذا فضل وإفضال على نفسه وأهله وإخوانه غير خامل (٤) المنزلة فهو وإن قل عمره طويل العمر. ومن كان في عيشه ضيق وقلة وإمساك (٥) على نفسه وذويه وكان خامل المنزلة فالمقبور أحيا (٦) منه. ومن عمل

١ يذل ويقهر ٢ تعلو ٣ يحركه ٤ خلاف مشهور
٥ بخل وشح ٦ تفضيل من الحياة

لبطنه وشهواته وقنع وترك ما سوى ذلك عد من البهائم. قال كليلة قد فهمت ما قلت فراجع عقلك واعلم أن لكل إنسان منزلة وقدرا فإن كان في منزلته التي هو فيها متماسكا (١) كان حقيقا أن يقنع. وليس لنا من المنزلة ما يحط حالنا التي نحن عليها. ثم إن منزلة الإنسان مقدورة (٢) عليه منذ الأزل فلا سبيل إلا الرضى بها كيف كانت. قال دمنة إن المنازل متنازعة (٣) مشتركة على قدر المروءة فالمرء ترفعه مروءته من المنزلة الوضيعة إلى المنزلة الرفيعة ومن لا مروءة له يحط نفسه من المنزلة الرفيعة إلى المنزلة الوضيعة. وإن الارتفاع إلى المنزلة الشريفة شديد والانحطاط منها هين كالحجر الثقيل رفعه من الأرض إلى العاتق (٤) عسير ووضعه إلى الأرض هين. فنحن أحق أن نروم ما فوقنا من المنازل وأن نلتمس ذلك بمروءتنا. ثم كيف نقنع بمنزلتنا ونحن نستطيع التحول عنها. قال كليلة فما الذي اجتمع عليه رأيك. قال دمنة أريد أن أتعرض للأسد عند هذه الفرصة لأنه قد ظهر لي أنه ضعيف

١ فقير متماسك فيه ٢ مقدرة ٣ اي كل يطلبها ٤ ما بين العنق والكتف

الرأي قد التبس عليه أمره وعلى جنده أيضاً ولعلي على هذه
الحال أدنو منه فأصيب عنده منزلة ومكانة[1] فيبتدرني
بالكلام فأجيبه بما تقدحه القريحة لعلها تنتج بيننا نتيجة تؤدي
إلى إظهار أمر مكتوم * قال كليلة وما يدريك أن الأسد قد
التبس عليه أمره * قال دمنة بالحس والرأي أعلم ذلك منه فإن
الرجل ذا الرأي يعرف حال صاحبه وباطن أمره بما يظهر
له من دله وشكله[2] * قال كليلة فكيف ترجو المنزلة عند
الأسد ولست بصاحب السلطان ولا لك علم بخدمة السلاطين
وآدابهم وآداب مجالسهم * قال دمنة الرجل الشديد القوي
لا ينوء به[3] الحمل الثقيل وإن لم تكن عادته الحمل والرجل
الضعيف لا يستقل به[4] وإن كان ذلك من صناعته * قال
كليلة فإن السلطان لا يتوخى[5] بكرامته فضلاء من بحضرته
ولكنه يؤثر[6] الأدنى ومن قرب منه * قال دمنة يقال إن مثل
السلطان في إيثاره الأفضل دون الأدنى مثل شجر الكرم
الذي لا يعلق إلا بأكرم الشجر * قال كليلة وكيف ترجو
المنزلة عند الأسد ولم تكن دنوت منه من قبل

١ يعني منزلة ٢ كلامه يعني ما يبدو من هيئته وحاله ٣ يثقل
٤ لا يحمله ٥ يقصد من قبيل الاهتمام ٦ يفضل ويختار

قال دمنة قد فهمت كلامك جميعه وتدبرت[1] ما قلت
وأنت صادق. لكن اعلم أن الذين لهم المنازل الرفيعة عند
الملوك قد كانوا قبل أن يرقوا إليها ليست بحالهم فيقربون بعد
البعد ويدنون بعد التنائي[2] وأنا ملتمس بلوغ مكانتهم بجهدي.
وقد قيل لا يواظب على باب السلطان إلا من يطرح الأنفة[3]
ويحمل الأذى ويكظم[4] الغيظ ويرفق[5] بالناس ويكتم السر
فإذا وصل إلى ذلك فقد بلغ مراده * قال كليلة هبك[6] وصلت
إلى الأسد فما توفيقك عنده الذي ترجو أن تنال به المنزلة
والحظوة[7] لديه * قال دمنة لو دنوت منه وعرفت أخلاقه
لرفقت في متابعته وقلة الخلاف له. وإذا أراد أمراً هو في نفسه
صواب زينته له وصبرته عليه وعرفته بما فيه من النفع والخير
وشجعته عليه وعلى الوصول إليه حتى يزداد به سروراً. وإذا
أراد أمراً يخاف عليه ضره وشينه[8] بصرته بما فيها من الضرر
والشين وأطلعته على ما في تركه من النفع والزين بحسب ما
أجد إليه السبيل. وأنا أرجو أن أزداد بذلك عند الأسد

١ اي تأملت واعتبرت ٢ التباعد ٣ عزة النفس ٤ يحبس
٥ يلطف ٦ احسب نفسك ٧ المكانة والكرامة ٨ اي عيبه

مكانة ويرى مني ما لا يراه من غيري. فإن الرجل الأديب الرفيق[1] لو شاء أن يبطل حقا أو يحق باطلا لفعل. كالمصور الماهر الذي يصور في الحيطان صورا كأنها خارجة وليست بخارجة وأخرى كأنها داخلة وليست بداخلة. فإذا هو عرف ما عندي وبان له حسن رأيي وجودة فكري التمس إكرامي وقربني إليه

قال كليلة أما إن قلت هذا أو قلت هذا فإني أخاف عليك من السلطان فإن صحبته خطرة وأحذرك من الذي أردته كعظم خطره[2] عندك. وقد قالت العلماء إن ثلاثة لا يجترئ عليهن إلا أهوج ولا يسلم منهن إلا قليل. وهي صحبة السلطان وائتمان النساء على الأسرار وشرب السم للتجربة. وإنما شبه العلماء السلطان بالجبل الصعب المرتقى[3] الذي فيه الثمار الطيبة والأنهار الجارية والجواهر النفيسة والأدوية النافعة وهو مع ذلك معدن السباع والنمور والذئاب وكل ضار مخوف. فالارتقاء إليه شديد والمقام[4] فيه أشد * قال دمنة صدقت فيما ذكرت غير أنه من لم يركب الأهوال لم

١ من الرفق وهو اللطف واللين ٢ شرفه ٣ الصعود اليه ٤ الاقامة

ينل الرغائب ومن ترك الأمر الذي لعله يبلغ فيه حاجته هيبة ومخافة لما لعله أن يتوقاه فليس ببالغ جسيما[1]. وقد قيل إن خصالا ثلاثة لن يستطيعها أحد إلا بمعونة من علو همة وعظيم خطر[2]. منها صحبة السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو[3]. وقد قالت العلماء في الرجل الفاضل الرشيد إنه لا ينبغي أن يرى إلا في مكانين ولا يليق به غيرهما إما مع الملوك مكرما أو مع النساك متعبدا. كالفيل إنما جماله وبهاؤه[4] في مكانين إما أن تراه في البرية وحشيا أو مركبا للملوك * قال كليلة خار الله لك[5] فيما عزمت عليه

ثم إن دمنة انطلق حتى دخل على الأسد فعفر[6] وجهه بين يديه وسلم عليه * فقال الأسد لبعض جلسائه من هذا * فقال هذا دمنة بن سلبط * قال قد كنت أعرف أباه. ثم سأله أين تكون * قال لم أزل مرابطا باب الملك[7] داعيا له بالنصر ودوام البقاء. رجاء أن يحضر أمر فأعين الملك فيه بنفسي ورأيي. فإن أبواب الملوك تكثر فيها الأمور التي

١ اي امرا جسيما اي عظيما ٢ قدر ومرتبة ٣ مباشرة قتاله
٤ حسنه ٥ جعل لك الخير ٦ مرغ ٧ مواظبا عليه

ربما يحتاج فيها إلى الذي لا يؤبه(١) له. وليس أحد يستصغر أمره إلا وقد يكون عنده بعض الغناء(٢) والمنافع على قدره حتى العود الملقى في الأرض ربما نفع فيأخذه الرجل فيحك به أذنه فيكون عدته(٣) عند الحاجة إليه * فلما سمع الأسد قول دمنة أعجبه وطمع أن يكون عنده نصيحة ورأي. فأقبل على من حضر فقال إن الرجل ذا النبل(٤) والمروة يكون خامل الذكر منخفض المنزلة فتأبى منزلته إلا أن تشب(٥) وترتفع كالشعلة من النار يضربها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا

فلما عرف دمنة أن الأسد قد عجب منه وحسن عنده كلامه قال أيها الملك إن رعية الملك تحضر بابه رجاء أن يعرف ما عندها من علم وافر كالزرع المدفون الذي لا يعرف فضله حتى يخرج ويظهر على وجه الأرض. فيجب على الملك أن يبلغ بكل امرئ مرتبته على قدر رأيه وعلى قدر ما يجد عنده من المنفعة. وقد قيل أمران لا ينبغي لأحد أن يأتيهما(٦) مثل أن تجعل الخلخال قلادة للعنق ومثل أن تجعل

١ ينتبه ٢ بمعنى النفع ٣ عدّة الشيء ما احتجت اليه فيه
٤ الذكاء والنجابة ٥ تهيج وتعلو ٦ اى يفعلهما

قلادة خلخالا في الرجل. وقد يقال إن الفضل في أمرين فضل المقاتل على المقاتل والعالم على العالم. وإن كثرة الأعوان إذا لم يكونوا مختبرين ربما تكون مضرة على العمل. فإن العمل ليس رجاؤه بكثرة الأعوان ولكن بصالحي الأعوان. ومثل ذلك مثل الرجل الذي يحمل الحجر الثقيل فيثقل به نفسه ولا يجد له ثمنا. وحامل الياقوت وإن قل يقدر على بيعه بالكثير من المال. والعمل الذي يحتاج فيه إلى الحيل والخداع لا يقتحمه إلا أفهم الرجال وأذكاهم. والرجل الذي يحتاج إلى الجذوع(١) لا يجزئه(٢) القصب وإن كثر. وأنت الآن أيها الملك حقيق أن لا تحقر مروة أنت تجدها عند رجل صغير المنزلة فإن الصغير ربما عظم كالعصب الذي يؤخذ من الميتة فإذا عملت منه القوس أكرم فتقبض عليه الملوك وتحتاج إليه في البأس واللهو

وأحب دمنة أن يري القوم أن ما ناله من كرامة الملك إنما هو لرأيه ومروته وعقله لأنهم عرفوا قبل ذلك أن ذلك

١ جمع جذع وهو ساق النخلة ٢ يغنيه ويكفيه

لِمَعْرِفَتِهِ أَبَاهُ . فَقَالَ إِنَّ ٱلسُّلْطَانَ لَا يُقَرِّبُ ٱلرِّجَالَ لِقُرْبِ آبَائِهِمْ وَلَا يُبْعِدُهُمْ لِبُعْدِهِمْ وَلٰكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ بِمَا عِنْدَهُ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْرَبُ إِلَى ٱلرَّجُلِ مِنْ جَسَدِهِ وَمِنْ جَسَدِهِ مَا يَدْوَى[1] حَتَّى يُؤْذِيَهُ وَلَا يَدْفَعُ ذٰلِكَ عَنْهُ إِلَّا بِٱلدَّوَاءِ ٱلَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدُ

فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةُ مِنْ مَقَالَتِهِ هٰذِهِ أُعْجِبَ ٱلْأَسَدُ بِهِ[2] إِعْجَابًا شَدِيدًا وَأَحْسَنَ ٱلرَّدَّ عَلَيْهِ وَزَادَ فِي كَرَامَتِهِ . ثُمَّ قَالَ ٱلْمَلِكُ لِجُلَسَائِهِ يَنْبَغِي لِلسُّلْطَانِ أَنْ لَا يَلِجَّ فِي تَضْيِيعِ حَقِّ ذَوِي ٱلْحُقُوقِ فَإِنَّ عَاقِبَةَ ذٰلِكَ رَدِيئَةٌ حَتَّى مِمَّنْ لَا يُتَوَقَّعُ أَذَاهُ . وَٱلنَّاسُ فِي ذٰلِكَ رَجُلَانِ رَجُلٌ طَبْعُهُ ٱلشَّرَاسَةُ فَهُوَ كَٱلْحَيَّةِ إِنْ وَطِئَهَا[3] ٱلْوَاطِئُ فَلَمْ تَلْدَغْهُ لَمْ يَكُنْ جَدِيرًا أَنْ يَغُرَّهُ ذٰلِكَ مِنْهَا فَيَعُودَ إِلَى وَطْئِهَا ثَانِيَةً فَتَلْدَغَهُ . وَرَجُلٌ أَصْلُ طِبَاعِهِ ٱلسُّهُولَةُ فَهُوَ كَٱلصَّنْدَلِ[4] ٱلْبَارِدِ ٱلَّذِي إِذَا أُفْرِطَ فِي حَكِّهِ صَارَ حَارًّا مُؤْذِيًا

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ ٱسْتَأْنَسَ بِٱلْأَسَدِ وَخَلَا بِهِ فَقَالَ لَهُ يَوْمًا

---

١ يصيبه داء ٢ أعجبه ٣ داسها ٤ نوع من الخشب

رَأَيْتُ ٱلْمَلِكَ قَدْ أَقَامَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لَا يَبْرَحُ مِنْهُ خِلَافًا لِدَأْبِهِ وَهُوَ أَعْظَمَهُ ٱللّٰهُ مَنِيعُ ٱلْجَانِبِ نَفِذُ ٱلْأَمْرِ مِنَ ٱلسَّاحَةِ . فَرَأَيْتُ أَنْ أَتَطَاوَلَ عَلَيْهِ بِٱلِٱسْتِفْهَامِ عَلَى وَجْهِ ٱلنَّصِيحَةِ فَإِنَّ ٱلْأُمُورَ ٱلْخَفِيَّةَ لَا يُظْهِرُهَا إِلَّا ٱلْبَحْثُ عَنْهَا فَإِذَا ظَهَرَتْ أُجِيلَتِ ٱلْفِكْرُ فِيهَا * فَبَيْنَمَا هُمَا فِي هٰذَا ٱلْحَدِيثِ إِذْ خَارَ شَتْرَبَةُ خُوَارًا[1] شَدِيدًا فَهَيَّجَ ٱلْأَسَدَ وَكَرِهَ أَنْ يُخْبِرَ دِمْنَةَ بِمَا نَالَهُ . وَعَلِمَ دِمْنَةُ أَنَّ ذٰلِكَ ٱلصَّوْتَ قَدْ أَدْخَلَ عَلَى ٱلْأَسَدِ رِيبَةً[2] وَهَيْبَةً . فَسَأَلَهُ هَلْ رَابَ ٱلْمَلِكَ[3] سَمَاعُ هٰذَا ٱلصَّوْتِ * قَالَ لَمْ يَرِبْنِي شَيْءٌ سِوَى ذٰلِكَ وَهُوَ ٱلَّذِي حَبَسَنِي هٰذِهِ ٱلْمُدَّةَ فِي مَكَانِي . وَقَدْ صَحَّ[4] عِنْدِي مِنْ طَرِيقِ ٱلْقِيَاسِ أَنَّ جُثَّةَ صَاحِبِ هٰذَا ٱلصَّوْتِ ٱلْمُنْكَرِ[5] ٱلَّذِي لَمْ أَسْمَعْهُ قَطُّ عَظِيمَةٌ لِأَنَّ صَوْتَهُ تَابِعٌ لِبَدَنِهِ . فَإِنْ يَكُنْ كَذٰلِكَ فَلَيْسَ لَنَا مَعَهُ قَرَارٌ وَلَا مُقَامٌ[6] * قَالَ دِمْنَةُ لَيْسَ ٱلْمَلِكُ بِحَقِيقٍ[7] أَنْ يَدَعَ مَكَانَهُ لِأَجْلِ صَوْتٍ . فَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ لَيْسَ مِنْ كُلِّ ٱلْأَصْوَاتِ تَجِبُ ٱلْهَيْبَةُ * قَالَ ٱلْأَسَدُ وَمَا مَثَلُ ذٰلِكَ

---

١ الخوار صوت الثور وقد مر ٢ شيئًا يكرهه ٣ أدخل عليه ريبة
٤ ثبت ٥ اي الكريه القبيح ٦ الاقامة وقد مر ٧ بأهل

قال دمنة زعموا أن ثعلبا أتى أجمة فيها طبل معلق على شجرة وكلما هبت الريح على قضبان تلك الشجرة حركتها فضربت الطبل فسمع له صوت عظيم باهر[1] فتوجه الثعلب نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته. فلما أتاه وجده ضخما فأيقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم فعالجه حتى شقه فلما رآه أجوف لا شيء فيه قال لا أدري لعل أفشل[2] الأشياء أجهرها[3] صوتا وأعظمها جثة

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن هذا الصوت الذي راعنا[4] لو وصلنا إليه لوجدناه أيسر مما في أنفسنا. فإن شاء الملك بعثني وأقام بمكانه حتى آتيه ببيان هذا الصوت.

فوافق الأسد قوله فأذن له في الذهاب نحو الصوت

فانطلق دمنة إلى المكان الذي فيه شتربة. فلما فصل[5] دمنة من عند الأسد فكر الأسد في أمره وندم على إرسال دمنة حيث أرسله وقال في نفسه ما أصبت في ائتماني دمنة واطلاعه على سري وقد كان ببابي مطروحا. فإن الرجل الذي يحضر باب الملك إذا كان قد أطيلت جفوته[6]

١ نحو عظيم ٢ أضعف ٣ أعلاها ٤ أفزعنا ٥ خرج ٦ قاطعته

من غير جرم[1] كان منه. أو كان مبغيا عليه[2] عند سلطانه. أو كان عنده معروفا بالشره والحرص. أو كان قد أصابه ضر[3] وضيق فلم ينعشه[4]. أو كان قد اجترم جرما فهو يخاف العقوبة منه. أو كان يرجو شيئا يضر الملك وله منه نفع. أو يخاف في شيء مما ينفعه ضررا. أو كان لعدو الملك سلما[5] ولسلمه حربا[6]. أو كان قد حيل[7] بينه وبين ما في يديه من السلطان. أو باعده. أو طرده. فليس السلطان بحقيق أن يعجل في الاسترسال إلى هؤلاء[8] والثقة بهم والائتمان لهم. وإن دمنة داهية[9] أديب وقد كان ببابي مطروحا مجفوا. ولعله قد احتمل علي بذلك ضغنا[10]. ولعل ذلك يحمله على خيانتي وإعانة عدوي وتنقيصي[11] عنده. ولعله أن يصادف صاحب الصوت أقوى سلطانا[12] مني فيرغب به عني ويميل معه علي. وقد كان الواجب أن أهجم على صاحب هذا الصوت بنفسي. ولم يزل الأسد يحدث نفسه بأمثال ذلك حتى

١ ذنب ٢ مظلوما ٣ سوء حالة ٤ ينهضه ٥ مسالما ٦ محاربا ٧ اعترض ٨ يعني الاستئمان لهم والاطمئنان إليهم ٩ ذو دهاء أي حذق ونباهة والتاء للمبالغة ١٠ حقدا ١١ ثلبي وذمي ١٢ السلطان قوة الملك

جعل يمشي وينظر إلى الطريق التي سار فيها دمنة فلم يمش غير قليل حتى بصر بدمنة(١) مقبلاً نحوه فطابت نفسه بذلك ورجع إلى مكانه

ودخل دمنة عليه فقال له الأسد ماذا صنعت وماذا رأيت * قال رأيت ثوراً وهو صاحب الخوار والصوت الذي سمعته * قال فما قوته * قال لا شوكة(٢) له وقد دنوت منه وحاورته محاورة الأكفاء(٣) فلم يستطع لي شيئاً * قال الأسد لا يغرنك ذلك منه ولا يصغرن عندك أمره فإن الريح الشديدة لا تعبأ(٤) بضعيف الحشيش(٥) لكنها تحطم(٦) طوال النخل وعظيم الشجر وتقلع الدوحة(٧) العاتية(٨) من موضعها * قال دمنة لا تهابن أيها الملك منه شيئاً ولا يكبرن عليك أمره فأنا على(٩) ضعفي آتيك به فيكون لك عبداً سامعاً مطيعاً * قال الأسد دونك ما بدا لك وقد تعلق أمله به . فانطلق دمنة إلى الثور فقال له غير هائب ولا مكترث إن الأسد أرسلني إليك لآتيه بك وأمرني إن أنت عجلت إليه أن أؤمنك على ما

١ لمحه ٢ باس وشدة ٣ الامثال ٤ تكترث ٥ العشب اليابس ٦ تكسر ٧ الشجرة العظيمة ٨ المتكبرة ٩ بمعنى مع

سلف من ذنبك في التأخر عنه وتركك لقاءه(١) . وإن أنت تأخرت واحجمت(٢) أن أعجل الرجعة إليه فأخبره * قال له شتربة ومن هذا الأسد الذي أرسلك إلي وأين هو وما حاله * قال دمنة هو ملك السباع وهذه الأرض التي نحن عليها له وهو بمكان كذا ومعه جند كثير من جنسه . فرعب شتربة من ذكر الأسد والسباع وقال إن أنت جعلت لي الأمان على نفسي أقبلت معك إليه . فأعطاه دمنة من الأمان ما وثق به ثم أقبل والثور معه حتى دخلا على الأسد * فأحسن الأسد إلى الثور وقربه وقال له متى قدمت هذه البلاد وما أقدمكها(٣) فقص شتربة عليه قصته . فقال له الأسد اصحبني والزمني فإني مكرمك ومحسن إليك . فدعا له الثور وأثنى عليه وانصرف وقد أعجب به الأسد إعجاباً شديداً لما ظهر له من عقله وأدبه * ثم إنه قربه وأكرمه وأنس به وائتمنه على أسراره وشاوره في أمره ولم تزده الأيام إلا عجباً به(٤) ورغبة فيه وتقريباً له حتى صار أخص أصحابه

١ اتيانه ٢ بمعنى تأخرت ٣ جعلك تقدمها ٤ اي رضىً شديداً له

عنده منزلة

فلما رأى دمنة أن الثور قد اختص بالأسد دونه ودون أصحابه وأنه قد صار صاحب رأيه وخلواته ولهوه حسده حسدا عظيما وبلغ منه غيظه كل مبلغ . فشكا ذلك إلى أخيه كليلة وقال له ألا تعجب يا أخي من عجز رأيي وصنعي بنفسي ونظري فيما ينفع الأسد وأغفلت نفع نفسي حتى جلبت إلى الأسد ثورا غلبني على منزلتي * قال كليلة قد أصابك ما أصاب الناسك * قال دمنة وكيف كان ذلك

قال كليلة زعموا أن ناسكا أصاب[1] من بعض الملوك كسوة فاخرة فبصر به سارق فطمع في الثياب وعمل على سرقتها[2] فأتى الناسك وقال له إني أريد أن أصحبك وأتعلم منك وآخذ عنك . فأذن له الناسك في صحبته فصحبه متشبها به ورفق[3] له في خدمته حتى أمنه الناسك واطمأن إليه[4] . ورصده[5] حتى إذا ظفر به وأمكنته الفرصة أخذ تلك الثياب فذهب بها * فلما فقد الناسك ثيابه علم أن صاحبه

١ نال ٢ اي نواها وسعى فيها ٣ لان ولطف ٤ وركن اليه وامنه
٥ ترقبه

قد أخذها فتوجه في طلبه . فمر في طريقه بوعلين[1] ينتطحان حتى سالت دماؤهما . فجاء ثعلب يلغ[2] في تلك الدماء ويتحكك بهما ويزاحمهما فغضبا منه وأقبلا عليه بنطاحهما فقتلاه * فعجب الناسك من ذلك ومضى حتى دخل إحدى المدن فلم يجد فيها قرى[3] إلا بيت امرأة فنزل واستضافها[4] . وكانت للمرأة جارية تؤاجرها[5] . وكانت الجارية قد علقت[6] رجلا تريد أن تتخذه بعلا لها وقد أضر ذلك بمولاتها ولم يكن لها سبيل إلى مدافعته . فاحتالت لقتله في تلك الليلة التي استضافها فيها الناسك * ثم إن الرجل وافى[7] فسقته من الخمرة حتى سكر ونام . فلما استغرق في نومه ومن في البيت عمدت[8] لسم كانت قد أعدته[9] في قصبة لتنفخه في أنف الرجل . فلما أرادت ذلك بدرت[10] من أنفه عطسة فعكست السم إلى حلق المرأة فوقعت ميتة . وكل ذلك بعين الناسك وسمعه

فلما رأى ذلك لم يصدق أن طلع الصباح حتى خرج

١ الوعل الانثى من تيوس الجبل ٢ يشرب بلسانه كالكلب ٣ ضيافة
٤ طلب منها ان تضيفه ٥ تستخدمها بالاجرة ٦ احبت ٧ جاء
٨ قصدت ٩ هيأته ١٠ سبقت واسرعت

يبتغي منزلاً غيره. فاستضاف رجلاً إسكافًا فأتى به امرأته وقال لها انظري إلى هذا الناسك وأكرمي مثواه[١] وقومي بخدمته فقد دعاني بعض أصدقائي للشرب عنده. ثم انطلق ذاهبًا. وكان للمرأة ابنة تريد أن تزوجها لرجل لم يكن زوجها يريده. فكان الرجل يختلف[٢] إلى البيت في غياب زوجها والوسيط بينهما امرأة حجام[٣]. فأرسلت امرأة الإسكاف إلى امرأة الحجام تأمرها بالمصير[٤] إليها وتعرف الرجل غياب زوجها وقالت إن زوجي قد ذهب ليشرب عند بعض أصدقائه وإن عاد لا يعود إلا سكران فقولي له يسرع الكرة[٥]. ثم إن الرجل جاء فقعد على الباب ينتظر الإذن ووافق ذلك مجيء الإسكاف سكران فرأى الرجل في الظلمة وارتاب به فلم يكلمه ودخل مغضبًا[٦] إلى امرأته فأوجعها ضربًا. ثم أوثقها[٧] في أسطوانة[٨] في المنزل وذهب فنام لا يعقل. وجاءت امرأة الحجام تعلمها أن الرجل قد أطال الجلوس فقالت لها انظري إلى ما أنا

١ اي ضيافته ٢ يتردد ٣ حلاق ٤ اي بالمجي
٥ اي يعجل المجي ٦ غضبان ٧ ربطها ٨ عمود

فيه فإن شئت أحسنت إليّ وحللتني وربطتِ مكاني حتى أنطلق فأعتذر إليه وأعجل العودة. فأجابتها امرأة الحجام إلى ذلك وحلتها وانطلقت إلى الرجل وأوثقت هي نفسها مكانها. فاستيقظ الإسكاف قبل أن تعود زوجته فدعاها باسمها ولم تجبه امرأة الحجام وخافت من الفضيحة أن ينكر صوتها[١] ثم دعاها ثانية فلم تجبه. فامتلأ غيظًا وحنقًا وقام نحوها بالشفرة[٢] فجدع[٣] أنفها وقال خذي هذا وأتحفي به صديقك وهو لا يشك في أنها امرأته * ثم جاءت امرأة الإسكاف فرأت صنع زوجها بامرأة الحجام فساءها ذلك وأكبرته[٤] وحلت وثاقها[٥] فانطلقت إلى منزلها مجدوعة الأنف وكل ذلك بعين الناسك وسمعه * ثم إن امرأة الإسكاف جعلت تبتهل وتدعو على زوجها الذي ظلمها وتقول اللهم إن كان زوجي قد ظلمني فأعد عليّ أنفي صحيحًا. ثم رفعت صوتها ونادت زوجها أيها الفاجر الظالم قم فانظر كيف صنعت بي وصنع الله بي كيف رحمني ورد أنفي صحيحًا كما

١ أي يلتبس عليه ٢ السكين ٣ قطع ٤ عدته أمرًا كبيرًا
٥ رباطها

كان فقام وأوقد المصباح ونظر فإذا أنف زوجته صحيح.
فاستغفر إليها وتاب عن ذنبه واستغفر إلى ربه * وأما امرأة
الحجام فإنها لما وصلت إلى منزلها تفكرت في طلب العذر
عند زوجها وأهلها في جدع أنفها ورفع الالتباس. فلما كان
عند السحر استيقظ الحجام فقال لامرأته هاتي أدواتي[1] كلها
فإني أريد المضي إلى بعض الأشراف فأتته بالموسى. فقال
لها هاتي الأدوات جميعها فلم تأته إلا بالموسى. فغضب حين
أطالت التكرار ورماها به فولولت وصاحت أنفي أنفي
وجلبت[2] حتى جاء أهلها وأقرباؤها فرأوها على تلك الحالة
فأخذوا الحجام فانطلقوا به إلى القاضي. فقال له القاضي ما
حملك على جدع أنف امرأتك. فلم تكن له حجة يحتج بها.
فأمر به القاضي أن يقتص منه[3] * فلما قدم للقصاص وافى[4]
الناسك فتقدم إلى القاضي وقال له أيها الحاكم لا يشتبهن
عليك هذا الأمر فإن اللص ليس هو الذي سرقني. وإن الثعلب
ليس الوعلان قتلاه. وإن المرأة ليس السم قتلها. وإن

١ آلات صناعتي ٢ من الجلبة وهي الصياح ٣ يعاقب ٤ جاء

امرأة الحجام ليس زوجها جدع أنفها وإنما نحن فعلنا ذلك
بأنفسنا. فسأله القاضي عن التفسير فأخبره بالقصة. فأمر
القاضي بإطلاق الحجام.

قال دمنة قد سمعت هذا المثل وهو شبيه بأمري. ولعمري
ما ضرني أحد سوى نفسي ولكن ما الحيلة * قال كليلة أخبرني
عن رأيك وما تريد أن تعزم عليه في ذلك * قال دمنة أما أنا
فلست اليوم أرجو أن تزداد منزلتي عند الأسد فوق
ما كانت عليه. ولكن ألتمس أن أعود إلى ما كانت حالي
عليه. فإن أمورا ثلاثة العاقل جدير بالنظر فيها والاحتيال
لها بجهده. منها النظر فيما مضى من الضر والنفع أن يحترس
من الضر الذي أصابه فيما سلف لئلا يعود إلى ذلك الضر.
ويلتمس النفع الذي مضى ويحتال لمعاودته. ومنها النظر فيما
هو مقيم فيه من المنافع والمضار والاستيثاق[1] مما ينفع
والهرب مما يضر. ومنها النظر في مستقبل ما يرجو من قبل
النفع وما يخاف من قبل الضر ليستتم ما يرجو ويتوقى ما

١ أخذ الوثيقة وهي ما يعتمد عليه

يخف بجهده

وإني لما نظرت في الامر الذي به أرجو أن تعود منزلتي وما غلبت عليه مما كنت فيه لم أجد حيلة ولا وجها إلا الاحتيال لآكل العشب [1] هذا حتى أفرق بينه وبين الحياة فإنه إن فارق الاسد عادت لي منزلتي. ولعل ذلك يكون خيرا للاسد فإن إفراطه في تقريب الثور خليق أن يشينه ويضره في أمره * قال كليلة ما أرى على الاسد في رأيه في الثور ومكانه منه ومنزلته عنده شينا ولا شرا * قال دمنة إنما يؤتى السلطان [2] ويفسد أمره من قبل ستة أشياء: الحرمان والفتنة والهوى والفظاظة والزمان والخرق * فأما الحرمان فأن يحرم من صالحي الاعوان والنصحاء والساسة [3] من أهل الرأي والنجدة [4] والامانة وأن يكون من حوله فاسدا مانعا من وصول أمور الملك إليه. وأن يحرم هو أهل النصيحة والصلاح من عنايته والتفاته إليهم * وأما الفتنة فهي تحارب رعيته ووقوع الخلاف والنزاع بينهم * وأما الهوى

١ يريد به الثور ٢ يوجد عليه السبيل ٣ جمع سائس من سياسة الدولة ٤ الشدة والبأس

فالإغرام [1] بالنساء والحديث واللهو والشراب والصيد وما أشبه ذلك * وأما الفظاظة فهي إفراط الشدة حتى يجمح اللسان بالشتم [2] واليد بالبطش في غير موضعهما * وأما الزمان فهو ما يصيب الناس من السنين [3] من الموتان [4] ونقص الثمرات والغزوات [5] وأشباه ذلك * وأما الخرق فإعمال الشدة في موضع اللين واللين في موضع الشدة * وإن الاسد قد أغرم بالثور إغراما شديدا هو الذي ذكرت لك أنه خليق أن يشينه ويضره في أمره * قال كليلة وكيف تطيق الثور وهو أشد منك وأكرم على الاسد منك وأكثر أعوانا. قال دمنة لا تنظر إلى صغري وضعفي فإن الامور ليست بالضعف ولا القوة ولا الصغر ولا الكبر في الجثة. فرب صغير ضعيف قد بلغ بحيلته ودهائه ورأيه ما يعجز عنه كثير من الاقوياء. أو لم يبلغك أن غرابا ضعيفا احتال لأسود [6] حتى قتله * قال كليلة وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أن غرابا كان له وكر في شجرة على

١ الولع ٢ يسبق اليه ٣ السنين التي فيها الشدة والضيق ٤ موت المواشي ٥ الحروب ٦ حية عظيمة

جبل وكان قريبا منه جحر ثعبان (1) أسود. فكان الغراب
إذا أفرخ عمد الأسود إلى فراخه فأكلها. فبلغ ذلك من
الغراب (2) فأحزنه فشكا ذلك إلى صديق له من بنات آوى
وقال له أريد مشاورتك في أمر قد عزمت عليه. قال وما
هو. قال الغراب قد عزمت أن أذهب إلى الأسود إذا نام
فأنقر عينيه فأفقأهما لعلي أستريح منه. قال ابن آوى بئس
الحيلة التي احتلت فالتمس أمرا تصيب فيه بغيتك من
الأسود من غير أن تغرر بنفسك (3) وتخاطر بها. وإياك أن
يكون مثلك مثل العلجوم (4) الذي أراد قتل السرطان فقتل
نفسه. قال الغراب وكيف كان ذلك

قال ابن آوى زعموا أن علجوما عشش في أجمة كثيرة
السمك فكان يختلف (5) إلى ما فيها من السمك فيأكل منه.
فعاش بها ما عاش ثم هرم (6) فلم يستطع صيدا فأصابه جوع
وجهد شديد. فجلس حزينا يلتمس الحيلة في أمره فمر به سرطان
فرأى حالته وما هو عليه من الكآبة (7) والحزن فدنا منه وقال

١ حية ٢ أي عظم عنده ٣ تعرضها للهلكة ٤ طائر ٥ يتردد
٦ شاخ ٧ الغم

له مالي أراك أيها الطائر هكذا حزينا كئيبا. قال العلجوم
وكيف لا أحزن وقد كنت أعيش من صيد ما ههنا من
السمك. وإني رأيت اليوم صيادين قد مرا بهذا المكان فقال
أحدهما لصاحبه إن ههنا سمكا كثيرا أفلا نصيده أولا.
فقال الآخر إني قد رأيت في مكان كذا سمكا أكثر من هذا
السمك فلنبدأ بذلك فإذا فرغنا منه جئنا إلى هذا فأفنيناه.
وقد علمت أنهما إذا فرغا مما ثم (1) انتهيا إلى هذه الأجمة
فاصطادا ما فيها. فإذا كان ذلك فهو هلاكي ونفاد (2) مدتي.
فانطلق السرطان إلى جماعة السمك فأخبرهن بذلك. فأقبلن
إلى العلجوم فاستشرنه وقلن له إنا أتيناك لتشير علينا فإن
ذا العقل لا يدع مشاورة عدوه وبقاؤك ببقائنا. قال العلجوم
أما مكابرة (3) الصيادين فلا طاقة لي بها (4) ولا أعلم حيلة إلا
المصير إلى غدير (5) قريب من هنا فيه سمك ومياه كثيرة
وقصب. فإن استطعتن الانتقال إليه كان فيه صلاحكن
وخصبكن. فقلن له ما يمن علينا بذلك غيرك. فجعل العلجوم

١ هناك ٢ فراغ ٣ مغالبة ٤ لا قدرة لي عليها ٥ مستنقع

يحمل في كل يوم سمكتين حتى ينتهي بهما إلى بعض التلال فيأكلهما. حتى إذا كان ذات يوم جاء لأخذ السمكتين فجاءه السرطان فقال له إني أيضا قد أشفقت[1] من مكاني هذا واستوحشت منه فاذهب بي إلى ذلك الغدير. فقال له حبا[2] وكرامة واحتمله وطار به حتى إذا دنا من التل الذي كان يأكل السمك فيه نظر السرطان فرأى عظام السمك مجموعة هناك فعلم أن العلجوم هو صاحبها وأنه يريد به مثل ذلك. فقال في نفسه إذا لقي الرجل عدوه في المواطن التي يعلم أنه فيها هالك سواء قاتل أم لم يقاتل كان حقيقا أن يقاتل عن نفسه كرما وحفاظا[3]. ولا يمكنه من نفسه حتى يستفرغ ما عنده من الحيلة في قتاله. لأنه قد بنى أمره على التلف فلعل خلاصه في ذلك القتال والهلاك واقع به كيف كان. فلم يزل يحتال على العلجوم حتى تمكن من عنقه فأهوى[4] بكلبتيه[5] عليها فعصرها فمات. وتخلص السرطان إلى جماعة السمك فأخبرهن بذلك

١ خفت ٢ اهلاً ٣ محافظة ٤ اي هجم ٥ اي نابيه

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن بعض الحيلة مهلكة للمحتال. ولكني أدلك على أمر إن أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الأسود من غير أن تهلك به نفسك وتكون فيه سلامتك. قال الغراب وما ذاك. قال ابن آوى تنطلق فتتبصر[1] في طيرانك لعلك أن تظفر بشيء من حلي النساء فتخطفه ولا تزال طائرا واقعا[2] بحيث لا تفوت العيون. فإذا رأيت الناس قد تبعوك تأتي جحر الأسود فترمي بالحلي عنده. فإذا رأى الناس ذلك أخذوا حليهم وأراحوك من الأسود. فانطلق الغراب محلقا[3] في السماء فوجد امرأة من بنات العظماء على شاطئ نهر تغتسل وقد وضعت ثيابها وحليها ناحية فانقض[4] واختطف من حليها عقدا وطار به. فتبعه الناس ولم يزل طائرا واقعا بحيث يراه كل أحد حتى انتهى إلى جحر الأسود فألقى العقد عليه والناس ينظرون إليه. فلما أتوا أخذوا العقد وقتلوا الأسود

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الحيلة تجزئ[5]

١ تطلب ان تبصر ٢ اي تطير وتقع ٣ مرتفعاً ٤ وقع
٥ تغني وتكفي

ما لا تجزئ القوة * قال كليلة إن الثور لو لم يجتمع مع شدته رأيه لكان كما تقول ولكن له مع شدته وقوته حسن الرأي والعقل فماذا تستطيع له * قال دمنة إن الثور لكما ذكرت في قوته ورأيه ولكنه مقرّ لي بالفضل وإنا لخليق أن أصرعه [1] كما صرعت الأرنب الأسد. قال كليلة وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أن أسدًا كان في أرض كثيرة المياه والعشب وكان في تلك الأرض من الوحوش في سعة المياه والمرعى شيء كثير. إلا أنه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الأسد. فاجتمعت وأتت إلى الأسد فقالت له إنك لتصيب منّا الدابة بعد الجهد والتعب. وقد رأينا لك رأيًا فيه صلاح لك وأمن لنا. فإن أنت أمّنتنا ولم تخفنا فلك علينا في كل يوم دابة نرسل بها إليك في وقت غدائك. فرضي الأسد بذلك وصالح الوحش عليه ووفين له به * ثم إن أرنبًا أصابتها القرعة وصارت غداء الأسد. فقالت للوحوش

١ اي اهلكه

إن أنتنّ رفقتنّ [1] بي فيما لا يضرّكنّ رجوت أن أريحكنّ من الأسد. فقالت الوحوش وما الذي تكلفيننا من الأمور. قالت تأمرن الذي ينطلق بي إلى الأسد أن يمهلني ريثما [2] أبطئ عليه بعض الإبطاء. فقلن لها ذلك لك. فانطلقت الأرنب متباطئة [3] حتى جاوزت الوقت الذي كان يتغدى فيه الأسد. ثم تقدمت إليه وحدها رويدًا [4] وقد جاع فغضب وقام من مكانه نحوها فقال لها من أين أقبلت. قالت أنا رسول الوحوش إليك وقد بعثتني ومعي أرنب لك فتبعني أسد في بعض تلك الطريق فأخذها مني وقال أنا أولى بهذه الأرض وما فيها من الوحش. فقلت له إن هذا غداء الملك أرسلت به الوحوش إليه فلا تغصبنه فسبّك وشتمك فأقبلت مسرعة لأخبرك. فقال الأسد انطلقي معي فأريني موضع هذا الأسد. فانطلقت الأرنب إلى جبّ [5] فيه ماء غامر صاف. فاطّلعت فيه وقالت هذا المكان. فاطّلع الأسد فرأى ظله وظل الأرنب في الماء فلم يشكّ

١ تلطفتنّ ٢ مهلة ما ٣ ماشية الهوينا ٤ مهلاً ٥ بئر

في قولها ووثب على الأسد لبئته فغرق في الجب. فانقلبت[1] الأرنب إلى الوحوش فأعلمتهن صنيعها بالأسد

قال كليلة إن قدرت على هلاك الثور بشيء ليس فيه مضرة للأسد فشأنك[2] فإن الثور قد أضر بي وبك وبغيرنا من الجند وإن أنت لم تقدر على ذلك إلا بهلاك الأسد فلا تقدم[3] عليه فإنه غدر مني ومنك

ثم إن دمنة ترك الدخول على الأسد أياماً كثيرة. ثم أتاه على خلوة منه فقال له الأسد ما حبسك عني منذ زمان لم أرك. ألخير كان انقطاعك. قال دمنة ليكن خيراً أيها الملك. قال الأسد وهل حدث أمر. قال دمنة حدث ما لم يكن الملك يريده ولا أحد من جنده. قال وما ذاك. قال كلام فظيع. قال أخبرني به. قال دمنة إن كل كلام يكرهه سامعه لا يجسر عليه قائله وإن كان ناصحاً مشفقاً إلا إذا كان المقول له عاقلاً فإن اتفق ذلك حمل القول على عمل النصيحة وعلم ما فيه من النصيحة لأن ما كان فيه من نفع فهو له * وأنت أيها الملك

١ عادت ٢ اي افعل ما تريد ٣ تهجم

هو فيه ورأيك يدلك على أن يوجعني أن أقول ما تكره وإني واثق بك أنك تعرف نصحي وإيثاري[1] إياك على نفسي وإنه ليعرض[2] لي أنك غير مصدقي فيما أخبرك به ولكني إذا تذكرت وتفكرت أن نفوسنا معشر الوحوش معلقة بك لم أجد بداً من أداء[3] النصح الذي يلزمني وإن أنت لم تسألني أو خفت أن لا تقبله مني فإنه يقال من كتم السلطان نصيحته والأطباء مرضه والإخوان رأيه فقد خان نفسه. قال الأسد فما ذاك. قال دمنة حدثني الأمين الصدوق[4] عندي أن شتربة خلا برؤوس جندك وقال لهم إني قد خبرت[5] الأسد وبلوت رأيه ومكيدته[6] وقوته فاستبان لي أن ذلك يؤول[7] منه إلى ضعف وعجز وسيكون لي وله شأن[8] من الشؤون. فلما بلغني ذلك علمت أن شتربة خوان غدار وأنك أكرمته الكرامة كلها وجعلته نظير نفسك فهو يظن أنه مثلك وأنك متى زلت عن مكانك كان له ملكك ولا يدع جهداً[9] إلا بلغه فيك. وقد كان يقال إذا عرف الملك من أحد رعيته أنه قد ساواه في المنزلة والحال فليصرعه

١ تفضيلي ٢ يخطر ٣ تأدية ٤ الصادق ٥ امتحنت
٦ مكره وحيلته ٧ يرجع ٨ امر ٩ طاقة واستطاعة

فإن هو لم يفعل به ذلك كان هو المصروع. وشتربة أعلم بالأمور وأبلغ فيها. والعاقل هو الذي يحتال للأمر قبل تمامه ووقوعه. فإنك لا تأمن أن يكون وأن لا تستدركه[1] فإنه يقال الرجال ثلاثة حازم وأحزم منه وعاجز. فالحازم من إذا نزل به الأمر لم يدهش[2] له ولم يذهب قلبه شعاعًا[3] ولم تعي به[4] حيلته ومكيدته التي يرجو بها المخرج منه. وأحزم من هذا المقدام[5] ذو العدة الذي يعرف الإبتلاء[6] قبل وقوعه فيعظمه[7] إعظامًا ويحتال له حيلة حتى كأنه قد لزمه فيحسم[8] الداء قبل أن يبتلى به ويدفع الأمر قبل وقوعه. وأما العاجز فهو في تردد وتمنٍّ وتوانٍ[9] حتى يهلك * ومن أمثال ذلك مثل السمكات الثلاث. قال الأسد وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أن غديرًا كان فيه ثلاث من السمك كيّسة[10] وأكيس منها وعاجزة. وكان ذلك الغدير بنجوة[11] من الأرض لا يكاد يقربه أحد وبقربه نهر جارٍ. فاتفق أنه اجتاز بذلك النهر صيادان فأبصرا الغدير فتواعدا أن يرجعا

١ تتلافاه ٢ يتحير ٣ متفرقًا وهو كناية عن شدة الخوف ٤ تعجز ٥ الجريء الكثير الاقدام ٦ البلية ٧ يعده عظيمًا ٨ يقطع ٩ فتور ١٠ عاقلة ١١ ما ارتفع من الارض

إليه بشبكهما فيصيدا ما فيه من السمك. فسمع السمكات قولهما. وأما أكيسهن فلما سمعت قولهما ارتابت[1] بهما وتخوفت منهما فلم تعرج[2] على شيء حتى خرجت من المكان الذي يدخل فيه الماء من النهر إلى الغدير فنجت بنفسها. وأما الكيسة الأخرى فإنها مكثت مكانها وتهاونت في الأمر حتى جاء الصيادان. فلما رأتهما وعرفت ما يريدان ذهبت لتخرج من حيث يدخل الماء فإذا بهما قد سدا ذلك المكان. فحينئذ قالت فرطت[3] وهذه عاقبة التفريط فكيف الحيلة على هذه الحال وقلما تنجح حيلة العجلة والإرهاق[4] * غير أن العاقل لا يقنط[5] من منافع الرأي ولا ييأس على حال ولا يدع الرأي والجهد. ثم إنها تماوتت[6] فطفت[7] على وجه الماء منقلبة على ظهرها تارة[8] وتارة على بطنها. فأخذها الصيادان وظناها ميتة فوضعاها على الأرض بين النهر والغدير فوثبت إلى النهر فنجت. وأما العاجزة فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صيدت

١ شكت ٢ لم تعطف ولم تقم ٣ قصرت ٤ اي التأخر ولابطاء ٥ يقطع الامل ٦ اظهرت انها ميتة ٧ عامت ٨ مرة

قال الأسد قد فهمت ذلك ولا أظن الثور يغشني ولا يرجو لي الغوائل[1]. وكيف يفعل ذلك ولم ير مني سوءاً قط ولم أدع خيراً إلا فعلته معه ولا أمنية[2] إلا بلّغته إياها.

قال دمنة أيها الملك إنه لم يحمله على ذلك إلا ما ذكرته من إكرامك له وتبليغك إياه كل منزلة خلا منزلتك وإنه متطلّع[3] إليها. فإن اللئيم لا يزال نافعاً ناصحاً حتى يرفع إلى المنزلة التي ليس لها بأهل. فإذا بلغها اشرأبّت[4] نفسه إلى ما فوقها ولا سيما أهل الخيانة والفجور[5]. فإن اللئيم الفاجر لا يخدم السلطان ولا ينصح له إلا من فرق[6] أو حاجة فإذا استغنى وذهبت الهيبة والحاجة عاد إلى جوهره. كذنب الكلب الذي يربط ليستقيم فلا يزال مستوياً ما دام مربوطاً فإذا حُلّ انحنى وتعوّج كما كان.

واعلم أيها الملك أنه من لم يقبل من نصحائه ما يثقل عليه مما ينصحون له لم يحمد غبّ[7] رأيه. كالمريض الذي يدع ما يصف له الطبيب ويعمد لما تشتهيه نفسه.

١ المهالك ٢ ما يتمنّى ٣ رافع بصره ٤ تطاولت
٥ المعاصي ٦ خوف ٧ عاقبة

وحق على مؤازر[1] السلطان أن يبالغ في التحضيض[2] له على ما يزيد به سلطانه قوة وزينة والكف عما يضره ويشينه[3]. وخير الإخوان والأعوان أقلهم مداهنة[4] في النصيحة. وخير الأعمال أحمدها عاقبة. وخير النساء الموافقة لبعلها. وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار. وأفضل الملوك من لا يخالطه بطر ولا يستكبر عن قبول النصيحة. وخير الأخلاق أعونها على الورع[5]. وقد قيل لو أن امرأً توسّد النار[6] وافترش الحيات[7] كان أحق أن يهنئه النوم ممن يحس من صاحبه بعداوة يريده بها ويطمئن إليه. وأعجز الملوك آخذهم[8] بالهوينا[9] وأقلهم نظراً في مستقبل الأمور وأشبههم بالفيل الهائج الذي لا يلتفت إلى شيء. وإن أحزنه أمر تهاون به وإن أضاع الأمور حمل ذلك على قرنائه[10]. قال الأسد لقد أغلظت في القول وقول الناصح مقبول محمول. وإن كان شتربة معادياً لي كما تقول فإنه لا يستطيع أن يضرني ولا أن يفت في ساعدي[11] وكيف

١ معاون ٢ الحث ٣ خلاف يزينه ٤ غشاً وتملقاً ٥ التقوى
٦ اتخذها وسادة اي مخدة ٧ اتخذها فراشاً ٨ تفضيل من الاخذ
٩ ...ني والمراد بها هنا التواني والفتور ١٠ جمع قرين وهو العشير ١١ يضعفني

يقدر على ذلك وهو آكل عشب وأنا آكل لحم وإنما هو لي طعام وليس علي منه مخافة . ثم ليس إلى الغدر به سبيل بعد الأمان الذي جعلته له وبعد إكرامي له وثنائي عليه وإن غيرت ما كان مني وبدلته فقد سفهت رأيي[1] وجهلت نفسي[2] وغدرت بذمتي[3] ونقضت عهدي * قال دمنة لا يغرنك قولك هو لي طعام وليس علي منه مخافة . فإن شتربة إن لم يستطعك بنفسه احتال لك من قبل غيره . ويقال إن استضافك ضيف ساعة من نهار وأنت لا تعرف أخلاقه فلا تأمنه على نفسك ولا تأمن أن يصلك منه أو بسببه ما أصاب القملة من البرغوث . قال الأسد وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أن قملة لزمت فراش رجل من الأغنياء دهرا فكانت تصيب من دمه وهو نائم لا يشعر وتدب دبيبا رفيقا[4] . فمكثت كذلك حينا حتى استضافها ليلة من الليالي برغوث فقالت له بت الليلة عندنا في دم طيب وفراش لين فأقام البرغوث عندها حتى إذا أوى الرجل إلى فراشه

١ نسبته الى السفه وهو الجهل والخفة ٢ نسبتها الى الجهل
٣ عهدي وحرمتي ٤ لطيفا

وثب عليه البرغوث فلدغه لدغة أيقظته وأطارت النوم عنه فقام الرجل وأمر أن يفتش فراشه فنظر فلم ير إلا القملة فأخذت فقصعت[1] وفر البرغوث

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن صاحب الشر لا يسلم من شره أحد . وإن هو ضعف عن ذلك جاء الشر بسببه . وإن كنت لا تخاف من شتربة فخف غيره من جندك الذين قد حرشهم عليك[2] وحملهم على عداوتك * فوقع في نفس الأسد[3] كلام دمنة فقال فما الذي ترى إذن وبماذا تشير * قال دمنة إن الضرس المأكول[4] لا يزال صاحبه منه في ألم وأذى حتى يقلعه . والطعام الذي قد عفن في البطن الراحة في قذفه . والعدو المخوف دواؤه قتله . قال الأسد لقد تركتني أكره مجاورة شتربة إياي . وأنا مرسل إليه وذاكر له ما وقع في نفسي منه . ثم آمره باللحاق[5] حيث أحب

فكره دمنة ذلك وعلم أن الأسد متى كلم شتربة في

١ قتلت بالظفر ٢ اغراهم بك وهيجهم عليك ٣ اثر فيها
٤ المنخور ٥ اي بالانصراف

ذلك وسمع منه جواباً عرف باطل ما أتى هو به واطّلع على غدره وكذبه ولم يخف عليه أمره. فقال للأسد أما إرسالك إلى شتربة فلا أراه لك رأياً ولا حزماً. فلينظر الملك في ذلك فإنه لا يزال لك في نفسك الخيار[1] ما دام لا يعلم أن أمره قد وصل إليك. فإنه متى علم ذلك خفت أن يعاجل الملك بالمكابرة. وهو إن قاتلك قاتلك مستعداً وإن فارقك فارقك فراقاً يلحقك[2] منه النقص ويلزمك منه العار. مع أن ذوي الرأي من الملوك لا يعلنون عقوبة من لم يعلن ذنبه. ولكن لكل ذنب عندهم عقوبة. فلذنب العلانية عقوبة العلانية ولذنب السرّ عقوبة السرّ * قال الأسد إن الملك إذا عاقب أحداً عن ظنّة[3] ظنّها من غير تيقّن لجرمه[4] فنفسه عاقب وإياها ظلم وكان ناقص البصيرة * قال دمنة أما إذا كان هذا رأي الملك فلا يدخلنّ عليك شتربة إلا وأنت مستعدّ له وإياك أن تصيبه منك غرّة[5] أو غفلة. فإني لا أحسب الملك حين يدخل عليه إلا سيعرف أنه قد همّ بعظيمة. ومن علامات ذلك أنك ترى هيئته متغيّرة وترى أوصاله[6]

١ لا تزال مخيّراً ٢ يلحقك ٣ تهمة ٤ ذنبه ٥ بمعنى الغفلة ٦ مفاصله

ترعد[1] وتراه ملتفتاً يميناً وشمالاً وتراه يصوّب قرنيه[2] فعل الذي همّ بالنطاح والقتال * قال الأسد سأكون منه على حذر وإن رأيت منه ما يدلّ على ما ذكرت علمت أن ما في أمره شكّ

فلما فرغ دمنة من تحريش الأسد على الثور وعرف أنه قد وقع في نفسه ما كان يلتمس وأن الأسد سيتحذّر من الثور ويتهيّأ له أراد أن يأتي الثور ليغريه بالأسد[3] وأحبّ أن يكون إتيانه من قبل الأسد مخافة أن يبلغه ذلك فيتأذّى به. فقال أيها الملك ألا آتي شتربة فأنظر إلى حاله وأمره وأسمع كلامه لعلّي أن أطّلع على سرّه فأُطلع الملك على ذلك وعلى ما يظهر لي منه. فأذن له الأسد في ذلك. فانطلق فدخل على شتربة كالكئيب الحزين * فلما رآه الثور رحّب به[4] وقال ما كان سبب انقطاعك عني فإني لم أرك منذ أيام أسلامة هو. قال دمنة ومتى كان من أهل السلامة من لا يملك نفسه وأمره بيد غيره ممن لا يوثق به. ولا ينفكّ على خطر وخوف حتى ما من ساعة تمرّ ويأمن

١ ترعد ٢ يوجههما الى الامام ٣ يحرّضه ويهيجه عليه ٤ تلقاه بالترحيب

فيها على نفسه * قال شتربة وما الذي حدث * قال دمنة حدث ما قدر وهو كائن . ومن ذا الذي غالب القدر * ومن ذا الذي بلغ من الدنيا جسيما من الأمور فلم يبطر * ومن ذا الذي بلغ مناه فلم يغتر * ومن ذا الذي تبع هواه فلم يخسر * ومن ذا الذي حادث النساء فلم يصب * ومن ذا الذي طلب من اللئام [1] فلم يحرم * ومن ذا الذي خالط الأشرار فسلم * ومن ذا الذي صحب السلطان فدام له منه الأمن والإحسان * ولقد صدق الذي قال مثل السلاطين في قلة وفائهم لمن صحبهم وسخاء أنفسهم بمن فقدوا من قرنائهم كمثل صاحب الحان كلما فقد واحدا جاء آخر * قال شتربة إني أسمع منك كلاما يدل على أنه قد رابك [2] من الأسد رائب وهالك [3] منه أمر * قال دمنة أجل [4] لقد رابني منه ذلك وليس هو في أمر نفسي * قال شتربة ففي نفسي من رابك * قال دمنة قد تعلم ما بيني وبينك وتعلم حقك علي وما كنت جعلت لك من العهد والميثاق أيام أرسلني الأسد إليك . فلم أجد بدا من حفظك وإطلاعك على ما اطلعت عليه مما أخاف

١ البخلاء ٢ احدث في نفسك ريبة اي شكا وقلقا ٣ افزعك ٤ نعم

عليك منه * قال شتربة وما الذي بلغك * قال دمنة حدثني الخبير الصدوق الذي لا مرية [1] في قوله أن الأسد قال لبعض أصحابه وجلسائه قد أعجبني سمن الثور وليس لي إلى حياته حاجة فأنا آكله ومطعم أصحابي من لحمه . فلما بلغني هذا القول وعرفت غدره وسوء عهده أقبلت إليك لأقضي حقك وتحتال أنت لأمرك

فلما سمع شتربة كلام دمنة وتذكر ما كان دمنة جعل له من العهد والميثاق وفكر في أمر الأسد ظن أن دمنة قد صدقه ونصح له ورأى أن الأمر شبيه بما قال دمنة . فأهمه ذلك وقال ما كان للأسد أن يغدر بي ولم آت إليه ذنبا [2] ولا إلى أحد من جنده منذ صحبته ولا أظن الأسد إلا قد حمل علي بالكذب وشبه [3] عليه أمري فإن الأسد قد صحبه قوم سوء وجرب منهم الكذب وأمورا تصدق إذا بلغته عن غيرهم . فإن صحبة الأشرار ربما أورثت صاحبها سوء ظن بالأخيار وحملة ما يختبره منهم على الخطاء في حق غيرهم كخطاء البطة التي زعموا أنها رأت في الماء

١ شك ٢ لم اذنب اليه ٣ التبس

ضوء كوكب فظنته سمكة فحاولت أن تصيدها. فلما جربت ذلك مرارًا علمت أنه ليس بشيء يصاد فتركته. ثم رأت من غد ذلك اليوم سمكة فظنت أنها مثل الذي رأته بالأمس فتركتها ولم تطلب صيدها

فإن كان الأسد قد بلغه عني كذب فصدقه علي وسمعه فيّ فما جرى على غيري يجري علي. وإن كان لم يبلغه شيء وأراد السوء بي من غير علة فإن ذلك لمن أعجب الأمور. وقد كان يقال إن من العجب أن يطلب الرجل رضى صاحبه ولا يرضى. وأعجب من ذلك أن يلتمس رضاه فيسخط. وإذا كانت الموجدة [1] عن علة كان الرضى موجودًا والعفو مأمولًا. وإذا كانت عن غير علة انقطع الرجاء. لأن العلة إذا كانت الموجدة في ورودها [2] كان الرضى مأمولًا في صدورها [3]. وقد نظرت فلا أعلم بيني وبين الأسد جرمًا ولا كبير ذنب ولا صغيره. ولعمري لا يستطيع أحد أطال صحبة صاحب أن يحترس في كل شيء من أمره ولا أن يتحفظ من أن يكون منه كبيرة أو صغيرة يكرهها صاحبه.

١ الغضب ٢ الضمير للعلة ٣ خلاف ورودها

ولكن الرجل ذا العقل والوفاء إذا سقط عنده صاحبه سقطة نظر فيها وعرف قدر مبلغ خطائه عمدًا كان أو خطأ. ثم ينظر هل في الصفح عنه أمر يخاف ضرره وشينه فلا يؤاخذ صاحبه بشيء يجد فيه إلى الصفح عنه سبيلًا

فإن كان الأسد قد اعتقد علي ذنبًا فلست أعلمه إلا أني خالفته في بعض رأيه نظرًا مني ونصيحة له. فلعله أن يكون قد أنزل أمري على الجراءة عليه والمخالفة له. ولا أجدني في هذا المحضر [1] إثمًا [2] ما. لأني لم أخالفه في شيء إلا ما قد ندر عند مخالفته الرشد [3] والمنفعة والدين ولم أجاهر بشيء من ذلك على رؤوس جنده وعند أصحابه ولكن كنت أخلو به وأكلمه سرًا كلام الهائب الموقر. وعلمت أنه من التمس الرخص [4] من الإخوان عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة فقد أخطأ منافع الرأي وازداد فيما وقع فيه من ذلك تورطًا [5] وحمل الوزر [6] *
وإن لم يكن هذا فلعله أن يكون ذلك من بعض سكرات

١ مكان الحضور ٢ ذنبًا ٣ الهدي ٤ جمع رخصة وهي اليسر والتساهل ٥ دخولًا في الورطة وهي الهلاك ٦ الإثم

السلطان فإن صحبة السلطان خطرة وإن صوحب بالسلامة والثقة
والمودة وحسن الصحبة فربما عثر مصاحبه العثرة فلا ينتعش[1]
ولا تقال عثرته[2] * وإن لم يكن هذا فبعض ما أوتيت من
الفضل قد جعل لي فيه الهلاك وبعض المحاسن آفة لصاحبها.
فإن الشجرة اللذيذة الثمر ربما كان أذاها في حملها فلويت
أغصانها وهصرت[3] أطرافها حتى تتكسر. والطاووس الذي
ذنبه أفضله ينسل[4] فيؤلمه. والفرس المطهم[5] الجري[6] ربما
ركب حتى ينقطع. والبلبل الحسن الصوت يحبس دون غيره من
الطير * وإن لم يكن هذا ولا هذا فهو إذن من مواقع القضاء
والقدر الذي لا يدفع. والقدر هو الذي يسلب الأسد قوته
وشدته ويدخله القبر. وهو الذي يحمل الرجل الضعيف
على ظهر الفيل الهائج وهو الذي يسلط على الحية ذات الحمة[7]
من ينزع حمتها ويلعب بها. وهو الذي يصير العاجز حازما
ويثبط[8] السهم المنطلق ويوسع على المقتر[9] ويشجع الجبان
ويجبن الشجاع عندما تعتريه[10] المقادير بالعلل التي اتفقت[11] لها

١ ينهض ٢ يرفع من سقوطه ٣ جذبت وعطفت ٤ ينزع ٥ التام الخلق ٦ الكثير الجري ٧ الابرة التي تلدغ بها ٨ يعوق ٩ الفقير ١٠ تصيبه ١١ حدثت اتفاقا

قال دمنة إن إرادة الأسد بك ليست من تحريش
الأشرار ولا سكرة السلطان ولا غير ذلك. ولكنها الغدر
والفجور منه فإنه فاجر خوان غدار لطعامه حلاوة وآخره
سم مميت * قال شتربة فأراني[1] قد استلذذت الحلاوة إذ
ذقتها وقد انتهيت إلى آخرها الذي هو الموت. ولولا الحين[2]
ما كان مقامي عند الأسد وهو آكل لحم وأنا آكل عشب
وأنا في هذه الورطة كالنحلة التي تجلس على نور[3] النيلوفر
إذ تستلذ ريحه وطعمه فتحبسها تلك اللذة عن الحين الذي
ينبغي أن تطير فيه. فإذا جاء الليل ينضم عليها فترتبك فيه
وتموت. ومن لم يرض من الدنيا بالكفاف[4] الذي يغنيه
وطمحت[5] عينه إلى ما سوى ذلك ولم يتخوف عاقبته كان
كالذباب الذي لا يرضى بالشجر والرياحين ولا يقنعه ذلك
حتى يطلب الماء الذي يسيل من أذن الفيل فيضربه الفيل
بأذنه فيهلكه. ومن يبذل وده ونصيحته لمن لا يشكره فهو
كمن يبذر في السباخ[6] ومن يشر على المعجب[7] كمن يشاور

١ ارى نفسي ٢ الاجل ٣ زهر ٤ ما كف واغنى عن الناس ٥ ارتفعت ومالت ٦ الارض ذات النز والملح ٧ المتكبر

الميت أو يسار[1] الأصم[2]

قال دمنة دع عنك هذا الكلام واحتل لنفسك.

قال شتربة بأي شيء أحتال لنفسي إذا أراد الأسد أكلي مع ما عرفني من رأي الأسد وسوء أخلاقه. واعلم أنه لو لم يرد بي إلا خيرا ثم أراد أصحابه بمكرهم وفجورهم هلاكي لقدروا على ذلك. فإنه إذا اجتمع المكرة[3] الظلمة على البريء الصالح كانوا خلقاء[4] أن يهلكوه وإن كانوا ضعفاء وهو قوي. كما أهلك الذئب والغراب وابن آوى الجمل حين اجتمعوا عليه بالمكر والخديعة والخيانة. قال دمنة وكيف كان ذلك

قال شتربة زعموا أن أسدا كان في أجمة مجاورة لطريق من طرق الناس وكان له أصحاب ثلاثة ذئب وغراب وابن آوى. وأن رعاة مروا بذلك الطريق ومعهم جمال. فتخلف[5] منها جمل فدخل تلك الأجمة حتى انتهى إلى الأسد. فقال له الأسد من أين أقبلت. قال من موضع كذا. قال

١ يكلم بكلام خفي ٢ الاطرش خلقة ٣ جمع ماكر ٤ جمع خليق بمعنى اهل ٥ تأخر

فما حاجتك. قال ما يأمرني به الملك. قال تقيم عندنا في السعة والأمن والخصب. فأقام الأسد والجمل معه زمانا طويلا. ثم إن الأسد مضى في بعض الأيام لطلب الصيد. فلقي فيلا عظيما فقاتله قتالا شديدا وأفلت منه مثقلا مثخنا بالجراح يسيل منه الدم وقد خدشه الفيل بأنيابه. فلما وصل إلى مكانه وقع لا يستطيع حراكا ولا يقدر على طلب الصيد. فلبث الذئب والغراب وابن آوى أياما لا يجدون طعاما لأنهم كانوا يأكلون من فضلات الأسد وطعمه. فأصابهم جوع شديد وهزال[1] وعرف الأسد منهم ذلك فقال لقد جهدتم واحتجتم إلى ما تأكلون. فقالوا لا تهمنا أنفسنا. لكنا نرى الملك على ما نراه فليتنا نجد ما يأكله ويصلحه. قال الأسد ما أشك في نصيحتكم ولكن انتشروا لعلكم تصيبون صيدا تأتونني به فيصيبني ويصيبكم منه رزق. فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند الأسد فتنحوا وائتمروا[2] فيما بينهم وقالوا ما لنا ولهذا الآكل العشب الذي ليس شأنه من شأننا ولا رأيه من رأينا ألا نزين[3]

١ نقيض السمن ٢ تشاوروا ٣ نحسن

للأسد فيأكله ويطعمنا من لحمه. قال ابن آوى هذا مما
لا نستطيع ذكره للأسد لأنه قد أمن الجمل وجعل له من
ذمته [1]. قال الغراب أنا أكفيكم أمر الأسد. ثم انطلق
فدخل عليه. فقال له الأسد هل أصبت شيئاً. قال الغراب
إنما يصيب من يسعى ويبصر. وأما نحن فلا سعي لنا ولا بصر
لما بنا من الجوع. ولكن قد وفقنا إلى أمر واجتمعنا عليه
إن وافقنا الملك فنحن له مجيبون. قال الأسد وما ذاك. قال
الغراب هذا الجمل آكل العشب المتمرغ بيننا من غير
منفعة لنا منه ولا رد عائدة [2] ولا عمل يعقب مصلحة [3] فلما
سمع الأسد ذلك غضب وقال ما أخطأ رأيك وما أعجز
مقالك وأبعدك عن الوفاء والرحمة. وما كنت حقيقاً أن
تجترئ علي بهذه المقالة وتستقبلني بهذا الخطاب مع ما علمت
من أني قد أمنت الجمل وجعلت له من ذمتي. أولم يبلغك
أنه لم يتصدق متصدق بصدقة هي أعظم أجراً ممن أمن
نفساً خائفة وحقن دماً مهدوراً [4]. وقد أمنته ولست بغادر به ولا
خافر [5] له ذمة * قال الغراب إني لأعرف ما يقول الملك ولكن

١ عهده أي أمنه ٢ فائدة ٣ يعني منفعة ٤ مسفوكاً بالباطل ٥ نقض

النفس الواحدة يفتدى بها أهل البيت وأهل البيت تفتدى
بهم القبيلة والقبيلة يفتدى بها أهل المصر وأهل المصر فدى
الملك. وقد نزلت بالملك الحاجة وأنا أجعل له من ذمته
مخرجاً على أن لا يتكلف الملك ذلك ولا يليه [1] بنفسه ولا
يأمر به أحداً. ولكنا نحتال بحيلة لنا وله فيها صلاح وظفر *
فسكت الأسد عن جواب الغراب عن هذا الخطاب. فلما
عرف الغراب إقرار الأسد أتى صاحبيه فقال لهما قد كلمت
الأسد في أكله الجمل على أن نجتمع نحن والجمل عند
الأسد فنذكر ما أصابه ونتوجع له اهتماماً منا بأمره وحرصاً
على صلاحه. ويعرض كل واحد منا نفسه عليه تجملاً ليأكله
فيرد الآخران عليه ويسفها رأيه ويبينا الضرر في أكله.
وإذا جاءت نوبة الجمل صوبنا رأيه فهلك وسلمنا كلنا ورضي
الأسد عنا. ففعلوا ذلك وتقدموا إلى الأسد * فقال الغراب
قد احتجت أيها الملك إلى ما يقوتك. ونحن أحق أن نهب
أنفسنا لك فإنا بك نعيش. فإذا هلكت فليس لأحد منا
بقاء بعدك ولا لنا في الحياة من خيرة [2] فليأكلني الملك

١ يتولاه ٢ الاسم من اختار الشيء أي اختيار

فقد طبت بذلك نفسا · فأجابه الذئب وابن آوى أن اسكت
فلا خير للملك في أكلك وليس فيك شبع * قال ابن آوى
لكن أنا أشبع الملك فليأكلني فقد رضيت بذلك وطبت
نفسا · فرد عليه الذئب والغراب بقولهما إنك لمنتن قذر * قال
الذئب إني لست كذلك فليأكلني الملك فقد سمحت
بذلك وطابت به نفسي · فاعترضه الغراب وابن آوى وقالا
قد قالت الأطباء من أراد قتل نفسه فليأكل لحم ذئب *
فظن الجمل أنه إذا عرض نفسه على الأكل التمسوا له
عذرا كما التمس بعضهم لبعض الأعذار فيسلم ويرضى الأسد
عنه بذلك وينجو من المهالك · فقال لكن أنا في للملك شبع
وري ولحمي طيب هني وبطني نظيف فليأكلني الملك
ويطعم أصحابه وخدمه فقد رضيت بذلك وطابت نفسي به ·
فقال الذئب وابن آوى والغراب لقد صدق الجمل وكرم
وقال ما عرف · ثم إنهم وثبوا عليه فمزقوه

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنه إن كان أصحاب
الأسد قد اجتمعوا على هلاكي فإني لست أقدر أن أمتنع

منهم ولا أحترس وإن كان رأي الأسد في على غير ما هم
عليه من الرأي · فإن ذلك لا ينفعني ولا يغني عني شيئا ·
وقد يقال خير السلاطين من أشبه النسر وحوله الجيف لا من
أشبه الجيفة وحولها النسور · ولو أن الأسد لم يكن في نفسه
لي إلا الخير والرحمة لغيرته كثرة الأقاويل فإنها إذا
كثرت لم تلبث دون أن تذهب الرقة والرأفة · ألا ترى
أن الماء ليس كالقول وأن الحجر أشد من الإنسان · والماء
إذا دام انحداره على الحجر لم يزل به حتى يثقبه ويؤثر فيه ·
وكذلك القول في الإنسان · قال دمنة فماذا تريد أن تصنع
الآن · قال شتربة ما أرى إلا الاجتهاد والمجاهدة بالقتال
دونه ليس للمصلي في صلاته ولا للمحتسب[1] في صدقته ولا
للورع في ورعه من الأجر ما للمجاهد عن نفسه إذا كانت
مجاهدته على الحق · قال دمنة لا ينبغي لأحد أن يخاطر بنفسه
وهو يستطيع غير ذلك · ولكن ذا الرأي جاعل القتال آخر
الحيل وبادئ قبل ذلك بما استطاع من رفق وتمحل[2] · وقد
قيل لا تحقرن العدو الضعيف المهين[3] ولا سيما إذا كان

١ المتصدق لوجه الله ٢ احتيال ٣ الحقير

ذا حيلة ويقدر على الأعوان. فكيف بالأسد على جرأته وشدته. فإن من حقر عدوه لضعفه أصابه ما أصاب وكيل البحر من الطيطوى قال شتربة وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أن طائرا من طيور البحر يقال له الطيطوى كان وطنه على ساحل البحر ومعه زوجة له. فلما جاء أوان إفراخهما قالت الأنثى للذكر لو التمسنا مكانا حريزا[1] غير هذا نفرخ فيه فإني أخاف من البحر إذا مد الماء أن يذهب بفراخنا. فقال لها ما أراه يحمل[2] علينا فإن وكيل البحر يخافني أن أنتقم منه فأفرخي في مكانك فإنه موافق لنا والماء والزهر منا قريب * قالت له يا غافل ما أشد عنادك وتصلبك أما تذكر وعيده[3] وتهدده إياك. ألا تعرف نفسك وقدرك في وعيد من لا طاقة لك به. فأبى أن يطيعها. فلما أكثرت عليه ولم يسمع قولها قالت له إن من لم يسمع قول الناصح يصيبه ما أصاب السلحفاة حين لم تسمع قول البطتين. قال الذكر وكيف كان ذلك

قالت الأنثى زعموا أن غديرا كان عنده عشب وكان

١ حصينا ٢ يهجم ٣ الوعيد في الشر كالوعد في الخير

فيه بطتان. وكان في الغدير سلحفاة بينها وبين البطتين مودة وصداقة. فاتفق أن غيض[1] ذلك الماء فجاءت البطتان لوداع السلحفاة وقالتا السلام عليك فإننا ذاهبتان عن هذا المكان لأجل نقصان الماء عنه. فقالت إنما يبين نقصان الماء على مثلي لأني كأني السفينة لا أقدر على العيش إلا بالماء. فأما أنتما فتقدران على العيش حيث كنتما فاذهبا بي معكما * قالتا نعم * قالت كيف السبيل إلى حملي * قالتا نأخذ بطرفي عود وتقبضين بفيك على وسطه ونطير بك في الجو. وإياك إذا سمعت الناس يتكلمون أن تنطقي ثم أخذتاها فطارتا بها في الجو. فقال الناس عجب سلحفاة بين بطتين قد حملتاها. فلما سمعت ذلك قالت فقأ الله أعينكم أيها الناس. فلما فتحت فاها بالنطق وقعت على الأرض فماتت

قال الذكر قد سمعت مقالتك فلا تخافي وكيل البحر. فلما مد الماء[2] دنا وكيل البحر فذهب بفراخهما * فقالت الأنثى قد عرفت في بدء الأمر أن هذا كائن وما أصابنا إنما هو بتفريطك[3] * قال الذكر قد قلت ما قلت وأنا على قولي

١ نقص ٢ ارتفع وغمر شيئا من الساحل ٣ تقصيرك

وسوف تربن صنيعي به وانتقامي منه * ثم مضى إلى جماعة الطير فقال لهن إنكن أخواتي وثقاتي[1] فأعنني * قلن ماذا تريد أن نفعل · قال تجتمعن وتذهبن معي إلى سائر الطير فنشكو إليهن ما لقيت من وكيل البحر ونقول لهن إنكن طير مثلنا فأعننا * فقالت له جماعة الطير إن العنقاء بنت الريح هي سيدتنا وملكتنا فاذهب بنا إليها حتى نصيح بها فتظهر لنا فنشكو إليها ما نالك[2] من وكيل البحر ونسألها أن تنتقم لنا منه بقوة ملكها ثم إنهن ذهبن إليها مع الطيطوى فاستغثنها[3] وصحن بها فتراءت لهن فأخبرنها بقصتهن وسألنها أن تطير معهن إلى محاربة وكيل البحر · فأجابتهن إلى ذلك · فلما علم وكيل البحر أن العنقاء قد قصدته في جماعة الطير خاف من محاربة ملك لا طاقة له به[4] · فرد فراخ الطيطوى وصالحه فرجعت العنقاء عنه

وإنما حدثتك بهذا الحديث لتعلم أن القتال مع الأسد لا أراه لك رأيا * قال شتربة فما أنا بمقاتل الأسد ولا ناصب

١ اللواتي أثق بكن ٢ أصابك ٣ طلبن إغاثتها اي مساعدتها
٤ لا قدرة له عليه

له العداوة سرا ولا علانية ولا متغير له عما كنت عليه حتى يبدو لي منه ما أتخوف فأغالبه * فكره دمنة قوله وعلم أن الأسد إن لم ير من الثور العلامات التي كان ذكرها له اتهمه[1] وأساء به الظن · فقال لشتربة اذهب إلى الأسد فستعرف حين ينظر إليك ما يريد منك * قال شتربة وكيف أعرف ذلك * قال دمنة سترى الأسد حين تدخل عليه مقعيا[2] على ذنبه رافعا صدره إليك مادا بصره نحوك قد صر[3] أذنيه وفغر[4] فاه واستوى[5] للوثبة[6] · قال إن رأيت هذه العلامات من الأسد عرفت صدقك في قولك

ثم إن دمنة لما فرغ من تحريش الأسد على الثور والثور على الأسد توجه إلى كليلة * فلما التقيا قال كليلة إلام انتهى عملك الذي كنت فيه * قال دمنة قريب من الفراغ على ما أحب وتحب * ثم إن كليلة ودمنة انطلقا جميعا ليحضرا قتال الأسد والثور وينظرا ما يجري بينهما وما يؤول إليه أمرهما · وجاء شتربة فدخل على الأسد فرآه مقعيا كما وصفه

١ نعني أساء به الظن ٢ جالسا على أليتيه ناصبا فخذيه كجلوس الكلب
٣ نصب ٤ فتح ٥ جلس ٦ القفزة والهجمة

لَهُ دِمْنَةُ * فقال ما صَاحِبُ السُّلْطَانِ إلاَّ كَصَاحِبِ الحيةِ التي في صدرِهِ لا يدري متى تهيجُ عليهِ * ثم إنّ الاسد نظر الى الثورِ فرأى الدلالاتِ التي ذكرها له دمنةُ فلم يشكّ انه جاء لقتالِهِ فواثبهُ (١) ونشأت بينهما الحربُ واشتدّ قتالُ الثورِ والاسدِ وطال وسالت بينهما الدماءُ * فلما رأى كليلةُ أنّ الأسدَ قد بلغ من القتالِ ما بلغ قال لدمنةَ أيها الفسلُ (٢) ما أنكرَ (٣) جهلتكَ وأسوأَ عاقبتكَ في تدبيرك * قال دمنةُ وما ذاك * قال كليلةُ جُرحَ الأسدُ وهلك الثورُ. وإنّ أخرقَ (٤) الخرقِ (٥) من حملَ صاحبهُ على سوءِ الخلقِ والمبارزةِ والقتالِ وهو يجدُ إلى غيرِ ذلك سبيلاً. وإنما الرجلُ إذا أمكنتهُ الفرصةُ من عدوهِ يتركهُ مخافةَ التعرضِ له بالمجاهرةِ ورجاءَ أن يقدرَ عليه بدونِ ذلك. وإنّ العاقلَ يدبرُ الأشياءَ ويقيسها قبلَ مباشرتها (٦) فما رجا أن يتمّ له منها أقدمَ (٧) عليه وما خاف أن يتعذرَ (٨) عليه منها انحرفَ عنه ولم يلتفتْ إليه * وإني لأخافُ عليك عاقبةَ بغيكَ هذا فإنكَ قد أحسنتَ القولَ ولم

١ هاجمهُ ٢ الذي لا مروءة له ٣ اقبح ٤ تفضيل من الخرق وهو عدم احسان التصرّف في الامور ٥ جمع اخرق ٦ الشروع فيها ٧ هجم ٨ لا يمكن

تحسنِ العملَ. أينَ معاهدتكَ إيايَ أنكَ لا تضرُّ بالأسدِ في تدبيرك * وقد قيلَ لا خيرَ في القولِ إلاّ مع العملِ. ولا في الفقهِ إلاّ مع الورعِ (١). ولا في الصدقةِ إلاّ مع النيةِ. ولا في المالِ إلاّ مع الجودِ. ولا في الصدقِ إلاّ مع الوفاءِ. ولا في الحياةِ إلاّ مع الصحةِ ولا في الأمنِ إلاّ مع السرورِ * وقد شرطتَ أمراً لا يقدرُ عليه إلاّ العقلُ الرفيقُ (٢)

واعلمْ أنّ الأدبَ يذهبُ عن العاقلِ الطيشَ ويزيدُ الأحمقَ طيشاً كما أنّ النهارَ يزيدُ كلَّ ذي بصرٍ نظراً ويزيدُ الخفاشَ (٣) سوءَ النظرِ. فذو العقلِ لا يبطرهُ منزلةٌ أصابها وإن عظمَ أمرهُ وقدرهُ ويكونُ عند ذلك كالجبلِ الذي لا تحركهُ الريحُ الشديدةُ. والسخيفُ كالعشبِ يحركهُ أدنى ريحٍ * وقد أذكرني أمركَ شيئاً سمعتهُ. فإنهُ يقالُ إنّ السلطانَ إذا كان صالحاً ووزراؤهُ وزراءَ سوءٍ منعوا خيرهُ فلا يقدرُ أحدٌ أن يدنوَ منه. ومثلهُ في ذلك مثلُ الماءِ الطيبِ الذي فيه التماسيحُ لا يقدرُ أحدٌ أن يتناولهُ وإن كان إلى الماءِ محتاجاً. وإنما الملكُ وزينتهُ أن تكونَ جنودهُ ووزراؤهُ ذوي صلاحٍ

١ التقى ٢ الحاذق المحسن للعمل ٣ الوطواط

فيسددون أحوال الناس وينظرون في صلاحهم * وأنت
يا دمنة أردت أن لا يدنو من الأسد أحد سواك وهذا أمر
لا يصح ولا يتم أبدا وذلك للمثل المضروب إن البحر بأمواجه
والسلطان بأصحابه . ومن الحمق الحرص على التماس الإخوان
بغير الوفاء لهم . والتماس الآخرة بالرياء . ومودة النساء
بالغلظة (١) . ونفع النفس بضر الغير * وما عظتي وتأديبي إياك
إلا كما قال الرجل للطائر لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم ولا
تعالج تأديب ما لا يتأدب * قال دمنة وكيف كان ذلك

قال كليلة زعموا أن جماعة من القردة (٢) كانوا ساكنين
في جبل . فالتمسوا في ليلة باردة ذات رياح وأمطار نارا
فلم يجدوا . فرأوا يراعة (٣) تطير كأنها شرارة نار فظنوها نارا
وجمعوا حطبا كثيرا فألقوه عليها وجعلوا ينفخون بأفواههم
ويتروحون (٤) بأيديهم طمعا في أن يوقدوا نارا يصطلون (٥) بها
من البرد . وكان قريبا منهم طائر على شجرة ينظرون إليه
وينظر إليهم وقد رأى ما صنعوا فجعل يناديهم ويقول لا تتعبوا

١ خلاف الرقة ٢ جمع قرد ٣ ذبابة تطير في الليل كأنها نار
٤ يجلبون الريح ٥ يتدفأون

فإن الذي رأيتموه ليس بنار . فلما طال ذلك عليه عزم على
القرب منهم لينهاهم عما هم فيه فمر به رجل فعرف ما عزم
عليه فقال له لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم فإن الحجر الصلب
الذي لا ينقطع لا تجرب عليه السيوف والعود الذي لا ينحني
لا تعمل منه القوس فلا تتعب . فأبى الطائر أن يطيعه وتقدم
إلى القردة ليعرفهم أن اليراعة ليست بنار فتناوله بعض القردة
فضرب به الأرض فمات * فهذا مثلك معي في ذلك . ثم قد
غلب عليك الخب (١) والفجور (٢) وهما خلتا (٣) سوء والخب شرهما
عاقبة . ولهذا مثل * قال دمنة وما ذلك المثل

قال كليلة زعموا أن خبا (٤) ومغفلا اشتركا في تجارة
وسافرا . فبينما هما في الطريق تخلف (٥) المغفل لبعض حاجته
فوجد كيسا فيه ألف دينار فأخذه . فأحس به الخب فرجعا
إلى بلدهما حتى إذا دنوا من المدينة قعدا لاقتسام المال . فقال
المغفل خذ نصفه وأعطني نصفه وكان الخب قد قرر في نفسه
أن يذهب بالألف جميعها فقال لا نقتسم فإن الشركة والمفاوضة (٦)

١ الخبث والخداع ٢ الكذب والعصيان ٣ خصلتا ٤ الخبيث
الخادع ٥ تأخر ٦ بمعنى الشركة

أَقْرَبُ إِلَى الصَّفَاءِ وَالْمُخَالَطَةِ . وَلٰكِنْ آخُذُ نَفَقَةً وَتَأْخُذُ مِثْلَهَا
وَنَدْفِنُ الْبَاقِي فِي أَصْلِ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ فَهُوَ مَكَانٌ حَرِيزٌ وَذٰلِكَ
أَكْتَمُ لِأَمْرِنَا . فَإِذَا احْتَجْنَا جِئْنَا أَنَا وَأَنْتَ فَنَأْخُذُ حَاجَتَنَا
مِنْهُ وَلَا يَعْلَمُ بِمَوْضِعِنَا أَحَدٌ . فَأَخَذَا مِنْهَا يَسِيرًا وَدَفَنَا الْبَاقِيَ فِي
أَصْلِ الشَّجَرَةِ وَدَخَلَا الْبَلَدَ * ثُمَّ إِنَّ الْخِبَّ خَالَفَ الْمُغَفَّلَ إِلَى
الدَّنَانِيرِ (١) فَأَخَذَهَا وَسَوَّى الْأَرْضَ كَمَا كَانَتْ . وَجَاءَ الْمُغَفَّلُ بَعْدَ
ذٰلِكَ فَقَالَ لِلْخِبِّ قَدِ احْتَجْتُ إِلَى نَفَقَةٍ فَانْطَلِقْ بِنَا نَأْخُذْ حَاجَتِي .
فَقَامَ الْخِبُّ مَعَهُ وَذَهَبَا إِلَى الْمَكَانِ فَحَفَرَا فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا . فَأَقْبَلَ
الْخِبُّ عَلَى وَجْهِهِ يَلْطِمُهُ وَيَقُولُ لَا تَغْتَرَّ بِصُحْبَةِ صَاحِبٍ . خَالَفْتَنِي
إِلَى الدَّنَانِيرِ فَأَخَذْتَهَا . فَجَعَلَ الْمُغَفَّلُ يَحْلِفُ وَيَلْعَنُ آخِذَهَا وَلَا
يَزْدَادُ الْخِبُّ إِلَّا شِدَّةً فِي اللَّطْمِ وَقَالَ مَا أَخَذَهَا غَيْرُكَ وَهَلْ
شَعَرَ بِهَا أَحَدٌ سِوَاكَ * ثُمَّ طَالَ بَيْنَهُمَا ذٰلِكَ فَتَرَافَعَا إِلَى الْقَاضِي
فَاقْتَصَّ الْقَاضِي قِصَّتَهُمَا (٢) . فَادَّعَى الْخِبُّ أَنَّ الْمُغَفَّلَ أَخَذَهَا
وَجَحَدَ (٣) الْمُغَفَّلُ . فَقَالَ لِلْخِبِّ أَلَكَ عَلَى دَعْوَاكَ بَيِّنَةٌ . قَالَ
نَعَمِ الشَّجَرَةُ الَّتِي كَانَتِ الدَّنَانِيرُ عِنْدَهَا تَشْهَدُ لِي أَنَّ الْمُغَفَّلَ قَدْ
أَخَذَهَا * وَكَانَ الْخِبُّ قَدْ أَتَى أَبَاهُ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ وَطَلَبَ إِلَيْهِ

١ قصدها مخالفاً له ٢ طلب ان يقصاها عليه ٣ انكر

أَنْ يَذْهَبَ فَيَتَوَارَى (١) فِي الشَّجَرَةِ بِحَيْثُ إِذَا سُئِلَ أَجَابَ .
فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ رُبَّ مُتَحَيِّلٍ أَوْقَعَهُ تَحَيُّلُهُ فِي وَرْطَةٍ (٢) عَظِيمَةٍ لَا
يَقْدِرُ عَلَى الْخَلَاصِ مِنْهَا . فَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ مَثَلُكَ مَثَلَ الْعُلْجُومِ .
قَالَ الْخِبُّ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ أَبُوهُ زَعَمُوا أَنَّ عُلْجُومًا جَاوَرَ حَيَّةً فَكَانَ كُلَّمَا أَفْرَخَ
جَاءَتْ إِلَى عُشِّهِ وَأَكَلَتْ فِرَاخَهُ . فَفَزِعَ (٣) فِي ذٰلِكَ إِلَى
السَّرَطَانِ فَقَالَ لَهُ السَّرَطَانُ إِنَّ بِقُرْبِكَ جُحْرًا يَسْكُنُهُ ابْنُ
عِرْسٍ وَهُوَ يَأْكُلُ الْحَيَّاتِ . فَاجْمَعْ سَمَكًا كَثِيرًا وَفَرِّقْهُ مِنْ
جُحْرِ ابْنِ عِرْسٍ إِلَى جُحْرِ الْحَيَّةِ فَإِنَّهُ إِذَا بَدَأَ فِي أَكْلِ
السَّمَكِ انْتَهَى إِلَى جُحْرِ الْحَيَّةِ فَأَكَلَهَا . فَفَعَلَ وَكَانَ كَذٰلِكَ
ثُمَّ تَدَرَّجَ ابْنُ عِرْسٍ إِلَى جُحْرِ الْحَيَّةِ فِي طَلَبِ غَيْرِهَا حَتَّى بَلَغَ
إِلَى جُحْرِ الْعُلْجُومِ فَأَكَلَهُ أَيْضًا وَفِرَاخَهُ جَمِيعًا

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَثَبَّتْ (٤) فِي
الْحِيَلِ وَيَتَدَبَّرْهَا وَيَنْظُرْ فِيهَا أَوْقَعَتْهُ حِيلَتُهُ فِي أَشَدِّ مِمَّا يَحْتَالُ
لَهُ * فَقَالَ الْخِبُّ قَدْ فَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ وَلٰكِنْ لَا تَخَفْ فَإِنَّ الْأَمْرَ
يَسِيرٌ حَقِيرٌ . وَلَمْ يَزَلْ بِهِ (٥) حَتَّى طَاوَعَهُ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَدَخَلَ

١ يختفي ٢ مهلكة ٣ التجأ ٤ يتأنَّ ٥ اي لم يزل يحاوله

جوف الشجرة * ثم إن القاضي لما سمع من الخب حديث
شهادة الشجرة أكبره (1) وانطلق هو وأصحابه والخب والمغفل
معه حتى وافى الشجرة فسألها عن الخبر فقال الشيخ من جوفها
نعم المغفل أخذها. فلما سمع القاضي ذلك اشتد تعجبه وجعل
يطوف بالشجرة (2) حتى بان له خرق فيها فتأمله فلم ير فيه شيئاً
فدعا بحطب وأمر أن تحرق الشجرة فأضرمت حولها النيران.
فاستغاث أبو الخب عند ذلك فأخرج وقد أشرف على الهلاك.
فسأله القاضي عن القصة فأخبره بالخبر. فأوقع بالخب ضرباً
وبأبيه صفعاً (3) وأركبه مشهوراً وغرم الخب الدنانير
فأخذها وأعطاها المغفل

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الخب والخديعة
ربما كان صاحبهما هو المغبون. وإنك يا دمنة جامع للخب
والخديعة والفجور. وإني أخشى عليك ثمرة عملك مع أنك
لست بناج من العقوبة لأنك ذو لونين ولسانين. وإنما
عذوبة ماء الأنهار ما لم تبلغ إلى البحار. وصلاح أهل
البيت ما لم يكن بينهم المفسد. وإنه لا شيء أشبه بك من

١ أعده كبيراً ٢ يدور حولها ٣ ضرباً على مؤخر العنق ٤ زمه دمه

الحية ذات اللسانين التي فيها السم فإنه قد يجري من
لسانك كسمها. وإني لم أزل لذلك السم من لسانك خائفاً
ولما يحل بك متوقعاً (1). والمفسد بين الإخوان والأصحاب
كالحية التي يربيها الرجل ويطعمها ويمسحها ويكرمها ثم لا
يكون له منها غير اللدغ. وقد يقال الزم ذا العقل وذا الكرم
وذا الأصل الطيب واسترسل إليهم (2) وإياك ومفارقتهم.
واصحب الصاحب إذا كان عاقلاً كريماً أو عاقلاً غير كريم
أو كريماً غير عاقل. فالعاقل الكريم كامل والعاقل غير الكريم
اصحبه وإن كان غير محمود الخليقة (3) واحذر من سوء أخلاقه
وانتفع بعقله. والكريم غير العاقل الزمه ولا تدع مواصلته وإن
كنت لا تحمد عقله وانتفع بكرمه وانفعه بعقلك. والفرار
كل الفرار من اللئيم الأحمق. وإني بالفرار منك لجدير.
وكيف يرجو إخوانك عندك كرماً وودّاً وقد صنعت بملكك
الذي أكرمك وشرفك ما صنعت. وإن مثلك مثل
التاجر الذي قال إن أرضاً تأكل جرذانها مئة منّ (4)

١ منتظراً ٢ التعمق في مودتهم ٣ الطبيعة ٤ المنّ رطلان شاميان

حديدًا ليس بمستنكرٍ لبزاتها أن تختطف الفيلة . قال دمنة
وكيف كان ذلك

قال كليلة زعموا أنه كان بأرض كذا تاجر . فأراد
الخروج إلى بعض الوجوه [١] لابتغاء [٢] الرزق وكان عنده مئة
منّ حديدًا فأودعها رجلاً من إخوانه وذهب في وجهه [٣] .
ثم قدم بعد ذلك بمدة فجاء والتمس الحديد فقال له قد
أكلته الجرذان . فقال قد سمعت أن لا شيء أقطع من
أنيابها للحديد . ففرح الرجل بتصديقه على ما قال وادّعى .
ثم إن التاجر خرج فلقي ابنًا للرجل فأخذه وذهب به إلى
منزله . ثم رجع إليه الرجل من الغد فقال له هل عندك
علمٌ من ابني . فقال له التاجر إني لما خرجت من عندك
بالأمس رأيت بازيًا قد اختطف صبيًا صفته كذا ولعله
ابنك . فلطم الرجل رأسه وقال يا قوم هل سمعتم أو رأيتم
أن البزاة تختطف الصبيان . فقال نعم وإن أرضًا تأكل
جرذانها مئة منّ حديدًا ليس بعجب أن تختطف بزاتها الفيلة .
قال له الرجل أنا أكلت حديدك وهذا ثمنه فاردد

١ الجهات ٢ طلب ٣ ما توجه له

عليّ ابني

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنّ من غدر
بملكه وصاحب نعماه [١] فليس بعجب أن يغدر بغيره . وإذا
صاحب أحدٌ صاحبًا وغدر بمن سواه فقد علم صاحبه أنه
ليس عنده للمودة موضع . فلا شيء أضيع من مودة تمنح
من لا وفاء له . وحباء [٢] يصطنع عند من لا شكر له .
وأدب يحمل إلى من لا يتأدب به ولا يسمعه . وسرّ يستودع
من لا يحفظه * وإن الشجرة المرة لو طليت بالعسل لم يجدها [٣]
ذلك شيئًا . وإن صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار
تورث الشر . كالريح إذا مرت بالطيب حملت طيبًا وإذا
مرت بالنتن حملت نتنًا * وقد طال وثقل كلامي عليك

فانتهى كليلة من كلامه إلى هذا المكان وقد فرغ
الأسد من الثور [٤] * ثم فكر في قتله بعد أن قتله وذهب عنه
الغضب وقال لقد فجعني [٥] شتربة بنفسه وكان ذا عقل ورأي
وخلق كريم . ولا أدري لعله كان بريئًا أو مكذوبًا عليه .

١ نعمته ٢ عطاء ٣ ينفعها ٤ اي فرغ من قتله ٥ رزأني وصابني

فحزن وندم على ما كان منه. وتبين ذلك في وجهه وبصر به دمنة فترك محاورة كليلة وتقدم إلى الأسد فقال له ليهنئك الظفر. إذ أهلك الله أعداءك فماذا يحزنك أيها الملك * قال أنا حزين على عقل شتربة ورأيه وأدبه * قال له دمنة لا ترحمه أيها الملك فإن العاقل لا يرحم من يخافه. وإن الرجل الحازم ربما أبغض الرجل وكرهه ثم قربه وأدناه لما يعلم عنده من الغناء[1] والكفاءة[2]. فعل الرجل المتكاره على الدواء الشنيع[3] رجاء منفعته. وربما أحب الرجل وعز عليه فأقصاه[4] وأهلكه مخافة ضرره كالذي تلدغه الحية في إصبعه فيقطعها ويتبرأ منها مخافة أن يسري سمها إلى بدنه. فرضي الأسد بقول دمنة * ثم علم بعد ذلك بكذبه وغدره فقتله شر قتلة

١ المنفعة ٢ مصدر فلانٌ كفوءٌ لكذا اي اهل له وجدير به ٣ الشاربه كرهًا ٤ ابعده

تم القسم الاول ويليه القسم الثاني ومن اراد الحصول عليهما او على اي كتب كانت فليطلبها من المكتبة الجامعة لخليل الخوري في بيروت

القسم الثاني

من كتاب كليلة ودمنة

باب

الفحص عن أمر دمنة

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد حدثتني عن الواشي[1] الماهر المحتال كيف يفسد بالنميمة المودة الثابتة بين المتحابين. فحدثني ان رأيت بما كان من حال دمنة وإلام آل ماله[2] بعد قتل شتربة وما كان من معاذيره عند الأسد وأصحابه حين راجع الأسد رأيه في الثور وأدخل النميمة على دمنة وما كانت حجته التي احتج بها

قال الفيلسوف اني وجدت في حديث دمنة ان الأسد حين قتل شتربة ندم على قتله وذكر قديم صحبته وجسيم[3] خدمته وانه كان أكرم أصحابه عليه وأخصهم منزلة لديه وأقربهم وأدناهم إليه وكان يواصل المشورة دون خواصه * وكان من أخص أصحابه عنده بعد الثور النمر. فاتفق انه

١ المفسد ٢ رجع مرجعه ٣ عظيم

أمسى النمر ذات ليلة(1) عند الأسد فخرج من عنده جوف الليل(2) يريد منزله. فاجتاز(3) على منزل كليلة ودمنة. فلما انتهى إلى الباب سمع كليلة يعاتب دمنة على ما كان منه ويلومه في النميمة واستعمالها مع الكذب والبهتان(4) في حق الخاصة(5) وعرف النمر عصيان دمنة وترك القبول منه فوقف يستمع ما يجري بينهما. وكان فيما قال كليلة لدمنة لقد ارتكبت مركبا صعبا ودخلت مدخلا ضيقا وجنيت(6) على نفسك جناية(7) موبقة(8) وعاقبتها وخيمة(9) وسوف يكون مصرعك(10) شديدا إذا انكشف للأسد أمرك واطلع عليه وعرف غدرك ومحالك(11) وبقيت لا ناصر لك. فيجتمع عليك الهوان والقتل مخافة شرك وحذرا من غوائلك(12) فلست بمتخذك بعد اليوم خليلا ولا مفش لك سرا. لأن العلماء قد قالوا تباعد ممن لا رغبة لك فيه. وأنا جدير(13) بمباعدتك والتماس الخلاص لي مما وقع في نفس الأسد من هذا الأمر. فلما سمع النمر هذا من كلامهما

١ احدى الليالي ٢ اي وسطه ٣ مرّ ٤ القول على الناس ما لم يفعلوه وقد مرّ ٥ خلاف العامة ٦ جنى الذنب عليه جرّه اليه ٧ ذنبا ٨ مهلكة ٩ اي سيئة ١٠ اي مقتلك ١١ كيدك ومكرك ١٢ اي شرورك ١٣ حقيق

قفل(1) راجعا فدخل على أم الأسد فأخذ عليها العهود والمواثيق(2) أنها لا تبوح بما يسر إليها فعاهدته على ذلك. فأخبرها بما سمع من كلام كليلة ودمنة. فلما أصبحت دخلت على الأسد فوجدته كئيبا(3) حزينا مهموما لما ورد عليه من قتل شتربة* فقالت له ما هذا الهم الذي أخذ منك(4) وغلب عليك* قال يحزنني قتل شتربة إذا تذكرت صحبته ومواظبته معي وما كنت أسمع من مؤامرته(5) وأسكن(6) إليه في مشاورته وأقبل من مناصحته(7) *قالت أم الأسد إن كنت ترى أن لك في قتله فرجا فلا ينبغي لك أن تحزن. وإلا فقلبك يشهد أن عملك الذي عملته لم يكن صوابا ولا عدلا. لأن العلماء قد قالوا إذا أردت أن تعلم عدوك من صديقك ففكر في نفسك فإن لم يكن قلبك له سليما فاعلم أنه لك كذلك

فانظر الآن وابحث في ذات نفسك(8) هل ترى ضميرك يشهد لك أن الذي فعلته بالثور كان عدلا أم ظلما* فقال الأسد إن صح ما تقولين فإني لم أقتل الثور إلا ظلما لأني

١ بمعنى رجع ٢ اي عاهدها ٣ مغموما ٤ اي اشتد عليك ٥ بمعنى مشاورته ٦ اركن واطمئن ٧ اي نصحه ٨ سريرتك المضمرة

قد بحثت في نفسي كما تقولين فلم أجد فيها إلا ما يدل على
براءة شتربة وقتله ظلما وبغيا[1] مكذوبا عليه من الأشرار.
وإن كثرة البحث عن الأمور تحق الحق وتبطل الباطل.
وإن حديثك ليدل على مكنون[2] أمر. أفبلغك شيء عن هذا
الأمر * فقالت أم الأسد إن أشد ما شهد امرؤ على نفسه
وهذا خطؤه عليه. كيف أقدمت على قتل الثور بلا علم ولا
يقين. ولولا ما قالت العلماء من إذاعة الأسرار وما فيها
من الإثم والشنار[3] لذكرت لك وأخبرتك بما علمت. إن
العلماء قد قالوا إن أحمد الناس عقبة في الدنيا والآخرة
أكتمهم للسر * قال الأسد إن أقوال العلماء لها وجوه
كثيرة ومعان مختلفة. فإنهم قد قالوا أيضا من اطلع على ذنوب
المذنبين فكتمها عن السلطان فلم يعاقبوا على ذنوبهم عوقب
هو يوم القيامة. وإن الذي أطلعك على هذا السر العظيم لم
يطلعك عليه إلا لتعلميني به فأطلعيني على ما أسر إليك من
ذلك وأخبريني به ولا تطويه عني * فأخبرته بجميع ما ألقاه
إليها النمر من غير أن تخبره باسمه وقالت إني لم أجهل قول

١ بمعنى ظلما ٢ مستور ٣ اقبح العيب

العلماء في تعظيم العقوبة وتشديدها وما يدخل على الرجل
من العار في إذاعة الأسرار. ولكنني أحببت أن أخبرك
بما فيه المصلحة[1] لك. فقد قالت العلماء إن فساد عامة
الأشياء يكون من حالتين إحداهما إفشاء السر والأخرى
ترك عقوبة من يستوجب العقوبة. ولإفشاء السر خير من
أن يبقى على هذا الخائن[2] دمنة الذي أدخل الفساد بينك
وبين الثور بمكره وفجوره. فلو كتمت أمره لجاء من العقاب
على فعله والحيف منه أكبر من هذه النقمة من عمله. وقد
أمر العلماء بالعفو عن الجاني[3] والصفح عن المذنب ولكنهم
قد نهوا عن اغتفار الجرم[4] العظيم والذنب الكبير

فلما قضت أم الأسد هذا الكلام صح[5] عند الأسد
فعل دمنة فاستدعى أصحابه وجنده فدخلوا عليه. ثم أمر
أن يؤتى بدمنة. فلما حضر دمنة نكس الأسد رأسه[6]
إلى الأرض مليا[7] * فالتفت دمنة إلى بعض الحاضرين فقال
ما الذي حدث وعلام اجتمعتم وما الذي أحزن الملك *

١ المنفعة والفائدة ٢ اي يبقى في الحياة ٣ المذنب
٤ بمعنى الذنب ٥ ثبت ٦ اي اطرق ٧ طويلاً

فالتفت أم الأسد إليه وقالت له أحزن الملك بقاؤك ولو طرفة عين ولن يدعك بعد اليوم حياً * قال دمنة وما حدث من أمري حتى وجب به قتلي. قالت انه قد بان للملك كذبك وفجورك[1] وخديعتك في قتل الثور من غير ذنب كان منه فلست حقيقاً[2] أن تترك بالحياة طرفة عين * قال دمنة ما ترك الأول للآخر شيئاً لأنه يقال أشد الناس في توقي الشر يصيبه الشر قبل المستسلم[3] له فلا يكونن الملك وخاصته وجنوده المثل السوء. ولقد صدق من قال كلما ازداد الإنسان في الخير اجتهاداً كان الشر إليه أسرع. وقد قيل من صحب الأشرار وهو يعلم حالهم كان أذاه من نفسه. ولذلك انقطعت[4] النساك بأنفسها عن الخلق واختارت الوحدة على المخالطة وحب العمل لله على حب الدنيا وأهلها. ومن يجزي بالخير خيراً وبالإحسان إحساناً إلا الله. ومن طلب الجزاء على الخير من الناس كان حقيقاً أن يحظى بالحرمان إذ يخطئه الصواب[5] في خلوص العمل لغير الله وطلب الجزاء من الناس. ولكن

١ يعني الكذب والشر ٢ مستحقاً ٣ المنقاد ٤ اي خلت ٥ لا يصيبه

عاقبة ما ينبغي أن يعاقب به الفجار يصاب به الأخيار. وهذا الأمر شبيه بشأني لأنني حملني حب الملك ونصحي له وإشفاقي[1] عليه أن أطلعه على سر عدوه الخائن. وإن الملك قد شاهد منه ذلك عياناً وظهرت له منه العلامات التي ذكرتها له. أفهذا جزائي منه أن أقتل

فلما سمع الأسد ذلك من كلام دمنة أمر أن يخرج من عنده حتى ينظر في أمره ليجتهد في الفحص عنه لئلا يعود إلى العجلة والندامة * فعند ذلك سجد دمنة للأسد شكراً له ودعا له وقال أيها الملك لا تعجل في قتلي ولا تسمع في كلام الأشرار وليبحث الملك عن أمري حتى يتبين له صدقي. وقد قالت الحكماء إن النار أخفيت في الحجارة فلا تخرج منها إلا بالمعالجة والقدح ولو كنت أعلم لنفسي ذنباً فيما بيني وبين الملك لم أقم بين يديك. وأنا أرغب[2] إلى الملك إن كان في شك من أمري أن يأمر بالنظر فيه ويكون من يتولى ذلك لا تأخذه في الله لومة لائم[3] وإلا

١ خوفي وحذري ٢ ابتهل واتضرع ٣ اي لا يخاف فيه اللوم

فلا ملجأ لي في ذلك إلا الله وهو الذي يعلم سرائر العباد وما
تكن[1] صدورهم. وإن أحق ما رغبت فيه رعية الملك هو
محاسن الأخلاق ومواقع الصواب وجميل السير[2] وإن
الباطل قد يلتبس[3] بالحق حتى يتشابها كما أصاب الخازن
الذي فضح سره بالتلبيس[4] عليه. قال الأسد وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أنه كان في بعض المدن تاجر وكان
له خازن لبيت ماله. وإن الخازن أراد اختلاس شيء من
المال فلم يستطع لأن التاجر كان إذا دخل الخازن بيت
المال أقفل عليه الباب. فإذا أراد الخروج أتى ففتح له
وفتشه قبل أن يخرج. وكان إلى جنب التاجر رجل مصور
ماهر وكان هو للخازن صديقا. فقال له الخازن يوما هل
لك[5] أن تواطئني[6] على الاختلاس من هذا المال. قال
نعم. قال وما الحيلة ولا سبيل لي إلى الخروج إليك ولا
سبيل لك إلى الدخول إلي وذكر له حاله مع التاجر.
قال المصور أو ما لبيت المال كوة إلى الخارج تناولني

١ تضمر وتخفي ٢ جمع سيرة الانسان وهي طريقته التي يسير عليها بين الناس ٣ يختلط ٤ الخلط ٥ اي هل تريد ٦ توافقني

منها شيئا في الظلام. قال بلى ولكن أخشى أن يرانا أحد.
قال فأنا آمر قريبا من الكوة إذا ابتدأ الظلام فأصفر
لك أو أومئ إليك فترمي لي بصرة فآخذها ولا يشعر بنا.
فرضي الخازن بذلك وأتبعه وأقاما عليه حينا * ثم إن
الخازن قال ذات يوم للمصور إن استطعت أن تحتال بحيلة
أعلم بها مجيئك من غير صفر ولا إيماء ولا ما يرتاب به من
نعتك وفعلي فإني قد تخوفت أن يحس بنا أحد. قال المصور
عندي من الحيلة ما سألت. إن عندي ملاءة[1] فيها من
تهاويل الصور[2] وتماثيل الصنعة فإني ألبسها حين مجيئي
وأتراءى لك فيها * ثم إن المصور لبس الملاءة وتراءى
له فرمى له بالصرة فتناولها. ولم يزالا على ذلك حتى بصر
بهما في تلك الحالة جار للمصور. وكان بينه وبين خادم
المصور صداقة. فطلب الملاءة منه وقال أريد أن أريها
صديقا لي لآمره بذلك وأسرع الكرة[3] بردها قبل أن
يعلم بذلك مولاك فأعطاه إياها. ولما أتى الليل أسرع فلبسها
ومر من حيث كان يمر المصور فلما رآه الخازن لم يشك

١ ثوب يلتحف به ٢ ألوانها ونقوشها ٣ العجل المجيء

في مجيئه فرمى له بالصرة فتناولها وانطلق فرجع بالملاءة
إلى خادم المصور فدفعها إليه فوضعها موضعها وكان المصور
عن بيته غائبا * فلما عاد إلى منزله لبس الملاءة على عادته
وتراءى للخازن فعجب من رجوعه ولم يكن لديه ما يرمي له
به وانصرف المصور بلا شيء. ثم تلاقيا بعد ذلك فقال
له المصور لم لم ترم لي بالصرة. قال أولم تمر قبيل مرورك
ورميت لك بها. فرجع المصور إلى منزله فدعا خادمه وتوعده[1]
بالقتل أو يخبره بالحقيقة فأخبره بالقصة فأخذ الملاءة وحرقها
وإنما ضربت لك هذا المثل إرادة أن لا يجعل الملك
في أمري بشبهة. ولست أقول هذا كراهة للموت فإنه وإن
كان كريها لا منجى منه وكل حي هالك. وإن العلماء
قد قالوا من اقترف[2] خطيئة أو إثما ثم أسلم نفسه إلى
القتل من غير ضرورة تدعوه إلى ذلك عفا الله عنه وأنجاه
في الآخرة من عذاب النار. ولو كانت لي مئة نفس وأعلم أن
هوى الملك في إتلافهن طبت له بذلك نفسا * فقال بعض
الجند لم ينطق بهذه الحجة الملك ولكن لخلاص نفسه والتماس

١ تهدده ٢ ارتكب

العذر لها. فقال له دمنة ويلك وهل علي في التماس العذر
لنفسي عيب وهل أحد أقرب إلى الإنسان من نفسه. وإذا لم
يلتمس لها العذر فمن يلتمسه. لقد ظهر منك ما لم تكن
تملك كتمانه من الحسد والبغضاء. ولقد عرف من سمع
منك أنك لا تحب لأحد خيرا وأنك عدو نفسك فمن سواها
بالأولى. فمثلك لا يصلح أن يكون مع البهائم فضلا عن
أن يكون مع الملك وأن يكون ببابه * فلما أجابه دمنة
بذلك خرج مكتئبا[1] حزينا مستحيا. فقالت أم الأسد لدمنة
قد عجبت منك أيها المحتال في قلة حيائك وكثرة قحتك[2]
وسرعة جوابك لمن كلمك. قال دمنة لأنك تنظرين إلي بعين
واحدة وتسمعين بأذن واحدة مع أن شقاوة جدي[3] قد
زوت[4] عني كل شيء حتى لقد سعوا إلى الملك بالنميمة علي
وإني أرى كل شيء قد تنكر[5] حتى صار الناس لا
ينطقون بالحق وصار من بباب الملك لاستخفافهم به وطول
كرامته إياهم وما هم فيه من العيش والنعمة[6] لا يدرون

١ مغتما ٢ وقاحتك ٣ حظي ٤ نحت ٥ تغير عن حاله ٦ النعم

في أي وقت ينبغي لهم الكلام ولا متى يجب عليهم السكوت * قالت ألا تنظرون إلى هذا الخبيث مع عظم ذنبه كيف يجعل نفسه بريئا كمن لا ذنب له * قال دمنة إن الذين يعملون غير أعمالهم ليسوا على شيء كالذي يضع الرماد موضعا ينبغي أن يضع فيه الرمل ويستعمل فيه السرجين [1] والرجل الذي يلبس لباس المرأة والمرأة التي تلبس لباس الرجل . والضيف الذي يقول أنا رب البيت . والذي ينطق بين الجماعة بما لا يسأل عنه . وإنما الخبث من لا يعرف الأمور ولا أحوال الناس ولا يقدر على دفع الشر عن نفسه ولا يستطيع ذلك * قالت أم الأسد ألا ترى أيها الغادر المحتال بقولك هذا أنك تخدع الملك ولا يخدعك * قال دمنة الغادر هو الذي لا يأمن عدوه مكره وإذا استمكن من عدوه قتله على غير ذنب * قالت أم الأسد أيها الغادر الكذوب أتظن أنك ناج من عاقبة كذبك وأن محالك [2] هذا ينفعك مع عظم جرمك [3] * قال دمنة الكذوب هو

١ الزبل ٢ كيدك ومكرك وقد مر ٣ ذنبك

الذي يقول ما لم يكن ويأتي بما لم يقل ولم يفعل . وأما أنا فكلامي حق والملك يعلم أني لو كنت كاذبا لم يكن لي جرأة أن أتكلم هذا الكلام بين يديه لأنه قد قيل ليس أشجع من بريء ولا أذلق [1] لسانا من ذي حق * قالت أم الأسد العلماء منكم هم الذين يوضحون أمره بفصل الخطاب [2] . ثم نهضت فخرجت * فدفع الأسد دمنة إلى القاضي فأمر القاضي بسجنه فألقي في عنقه غل [3] وانطلق به إلى السجن

فلما انتصف الليل أخبر كليلة أن دمنة في السجن . فأتاه مستخفيا فلما رآه وما هو عليه من ضيق القيود وحرج [4] المكان بكى . وقال ما وصلت إلى ما وصلت إليه إلا لاستعمالك الخديعة والمكر وإضرابك [5] عن العظة والنصح . ولكن لم يكن لي بد فيما مضى من إنذارك والنصيحة لك والمسارعة إليك في خلوص الرغبة فيك . فإنه لكل مقام مقال ولكل موضع مجال . ولو كنت قصرت في عظتك حين

١ أحد ٢ الفصل بين الحق والباطل ٣ طوق ٤ ضيق ٥ اعراضك

كنت في عافية لكنت اليوم شريكك في ذنبك . غير أن العجب (١) دخل منك مدخلاً قهر رأيك وغلب على عقلك . وكنت أضرب لك الأمثال كثيرًا وأذكرك قول العلماء وقد قالت العلماء إن المحتال يموت قبل أجله * قال دمنة قد عرفت صدق مقالك . وقد قالت العلماء لا تجزع من العذاب إذا وقفت منك على خطيئة ولأن تعذب في الدنيا بجرمك خير من أن تعذب في الآخرة بجهنم مع الإثم * قال كليلة قد فهمت كلامك . ولكن ذنبك عظيم وعقاب الأسد شديد أليم * وكان بقربهما في السجن فهد معتقل (٢) يسمع كلامهما ولا يريانه . فعرف معاتبة كليلة لدمنة على سوء فعله وما كان منه وأن دمنة مقر بسوء عمله وعظيم ذنبه فحفظ المحاورة بينهما وكتمها ليشهد بها إن سئل عنها * ثم إن كليلة انصرف إلى منزله ودخلت أم الأسد حين أصبحت على الأسد فقالت له يا سيد الوحوش حوشيت (٣) أن تنسى ما قلت بالأمس وأنك أمرت به لوقته وأرضيت

١ الكبرياء ٢ مقيد ٣ اي نزهت

به رب العباد . وقد قالت العلماء لا ينبغي للإنسان أن يتوانى (١) في الجد للتقوى . بل لا ينبغي أن يدافع عن ذنب الأثيم * فلما سمع الأسد كلام أمه أمر أن يحضر النمر وهو صاحب القضاء . فلما حضر قال له وللجواس (٢) العادل اجلسا في موضع الحكم وناديا في الجند صغيرهم وكبيرهم أن يحضروا وينظروا في حال دمنة ويبحثوا عن شأنه ويفحصوا عن ذنبه ويثبتوا (٣) قوله وعذره في كتب القضاء وارفعا إلي ذلك يومًا فيومًا . فلما سمع النمر ذلك والجواس العادل وكان هذا الجواس عم الأسد قالا سمعًا وطاعة لما أمر الملك وخرجا من عنده فعملا بمقتضى ما أمرهما به . حتى إذا مضى من اليوم الذي جلسوا فيه ثلاث ساعات أمر القاضي أن يؤتى بدمنة فأتي به فوقف بين يديه والجماعة حضور *

فلما استقر به المكان نادى سيد الجمع بأعلى صوته أيها الجمع إنكم قد علمتم أن سيد السباع لم يزل منذ قتل شتربة خاثر (٤) النفس كثير الهم والحزن يرى أنه قد قتل

١ يتباطأ ويتقاعد ٢ من اسماء الاسد ٣ يدونوا ٤ اي منقبض

شتربة بغير ذنب وأنه أخذه بكذب دمنة ونميمته. وهذا
القاضي قد أمر أن يجلس مجلس القضاء ويبحث عن شأن
دمنة. فمن علم منكم شيئاً في أمر دمنة من خير أو شر
فليقل ذلك وليتكلم به على رؤوس الجمع والأشهاد[1]
ليكون القضاء في أمره بحسب ذلك. فإذا استوجب القتل
فالتثبت[2] في أمره أولى والعجلة من الهوى[3] ومتابعة
الأصحاب على الباطل ذل * فعندها قال القاضي أيها الجمع
اسمعوا قول سيدكم ولا تكتموا ما عرفتم من أمره.
واعتبروا في تجنب الستر عليه ثلاث خصال. أما إحداهن
وهي أهمهن فألا[4] تزدروا[5] فعله ولا تعدوه يسيراً فإنه
من أعظم الخطايا قتل البريء الذي لا ذنب له بالكذب
والنميمة. ومن علم من أمر هذا الكذاب الذي اتهم البريء
بكذبه ونميمته شيئاً فستر عليه فهو شريكه في الإثم والعقوبة*
والثانية أنه إذا اعترف المذنب بذنبه كان أسلم له.
والأخرى[6] بالملك وجنده أن يعفوا عنه ويصفحوا*

١ الشهود ٢ التأني ٣ ميل النفس من جهة الطبع ٤ ان لا
٥ تحتقروا ٦ اي الأولى

والثالثة ترك مراعاة أهل الذم والفجور وقطع أسباب
مواصلتهم ومودتهم عن الخاصة والعامة * فمن علم من أمر
هذا المحتال شيئاً فليتكلم به على رؤوس الأشهاد ممن حضر
ليكون ذلك حجة[1] عليه. وقد قيل إنه من كتم شهادة ميت
ألجم بلجام من نار يوم القيامة. فليقل كل واحد منكم ما
علم * فلما سمع ذلك الجمع كلامه أمسكوا عن القول.
فقال دمنة ما يسكتكم تكلموا بما علمتم واعلموا أن لكل
كلمة جواباً. وقد قالت العلماء من يشهد بما لم ير ويقل
ما لا يعلم يصيبه ما أصاب الطبيب الذي قال لما لا يعلمه إني
أعلمه. قالت الجماعة وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أنه كان في بعض المدن طبيب له رفق[2]
وعلم. وكان ذا فطنة فيما يجري على يده من المعالجات. فكبر
ذلك الطبيب وضعف بصره. وكان لملك تلك المدينة ابن
وحيد. فأصابه مرض فجيء بهذا الطبيب. فلما حضر سأل
الفتى عن وجعه وما يجد فأخبره فعرف داءه ودواءه وقال

١ برهاناً ودليلاً ٢ اي حذق ومهارة

لو كنتُ أبصرُ لجمعتُ الأخلاطَ[1] على معرفتي بأجناسها ولا
أثقُ في ذلك بأحدٍ غيري. وكان في المدينةِ رجلٌ جاهلٌ
فبلغهُ الخبرُ فأتاهم وادَّعى علمَ الطبِّ وأعلمهم أنهُ خبيرٌ بمعرفةِ
أخلاطِ الأدويةِ والعقاقيرِ[2] عارفٌ بطبائعِ الأدويةِ المركَّبةِ
والمفردةِ. فأمرهُ الملكُ أن يدخلَ خزانةَ الأدويةِ فيأخذَ
من أخلاطِ الدواءِ حاجتهُ. فلما دخلَ الجاهلُ الخزانةَ وعُرضت
عليهِ الأدويةُ ولا يدري ما هي ولا لهُ بها معرفةٌ أخذ في
جملةِ ما أخذَ منها صُرَّةً فيها سمٌّ قاتلٌ لوقتهِ ودافَهُ[3] بالأدويةِ
ولا علمَ لهُ بهِ ولا معرفةَ عندهُ بجنسهِ. فلما تمَّت أخلاطُ
الأدويةِ سقى الفتى منهُ فماتَ لوقتهِ. فلما عرفَ الملكُ ذلك
دعا بالجاهلِ فسقاهُ من ذلك الدواءِ فماتَ من ساعتهِ

وإنما ضربتُ لكم هذا المثلَ لتعلموا ما يدخلُ على
القائلِ والعاملِ من الذلةِ بالشبهةِ في الخروجِ عن الحدِّ. فمن
خرجَ منكم عن حدهِ أصابهُ ما أصابَ ذلك الجاهلَ ونفسهُ
الملومةُ * وقد قالت العلماءُ ربما جُزيَ المتكلمُ بقولهِ.

١ يريد الادوية المختلطة ٢ النباتات التي يتداوى بها ٣ خلطه

والكلامِ بين أيديكم فانظروا لأنفسكم * فتكلمَ سيدُ الخنازيرِ
لإدلالهِ[1] وتيههِ[2] بمنزلتهِ عندَ الأسدِ. فقال يا أهلَ الشرفِ
من العلماءِ اسمعوا مقالتي وعوا[3] بأحلامكم[4] كلامي. فالعلماءُ
قالوا في شأنِ الصالحينَ إنهم يعرفون بسيماهم[5]. وأنتم
معشرَ ذوي الاقتدارِ بحسنِ صنعِ اللهِ لكم وتمامِ نعمتهِ عليكم
تعرفون الصالحينَ بسيماهم وصورهم وتختبرون[6] الشيءَ الكبيرَ
بالشيءِ الصغيرِ. وههنا أشياءُ كثيرةٌ تدلُّ على هذا الخبيثِ
دمنةَ وتخبرُ عن شرهِ فاطلبوها على ظاهرِ جسمهِ لتستيقنوا
وتسكنوا[7] إلى ذلك. قال القاضي لسيدِ الخنازيرِ قد علمتَ
وعلمَ الجماعةُ الحاضرون أنكَ عارفٌ بما في الصورِ من
علاماتِ السوءِ ففسِّر لنا ما تقولُ وأطلعنا على ما ترى في صورةِ
هذا الخبيثِ. فأخذ سيدُ الخنازيرِ يذمُّ دمنةَ وقال إنَّ العلماءَ
قد كتبوا وأخبروا أنهُ من كانت عينهُ اليسرى أصغرَ من
عينهِ اليمنى وهي لا تزالُ تختلجُ[8] وكان أنفهُ مائلاً إلى

١ اي جرأته ودالّته ٢ كبريائه ٣ احفظوا ٤ جمع حلم بمعنى الاناة والتأني ٥ هيئتهم ٦ تحققون وتعرفون ٧ تطمئنوا ٨ تضطرب

جنبه الأيمن فهو خبيث جامع للخب (١) والفجور. وكان دمنة
على هذه الصفة. فلما سمع دمنة ذلك قال من هنا تقيسون
الكلام وتتركون العلم فاسمعوا مني ما أقوله لكم وتدبروا (٢)
بعقولكم فقد وعيتم (٣) ما قال هذا. فإن كان يزعم أن ما في
جسمي من هذه العلامات هو الدليل على صدق ما رميت (٤) به
فإني إذن أكون قد وسمت (٥) بسمات (٦) وعلامات اضطرتني (٧)
إلى الإثم فعملت بها ما عملت. ففي ذلك براءة لي وعذر مما
عملته. ثم التفت إلى سيد الخنازير وقال فقد بان لمن حضر
قلة عقلك وما مثلك في ذلك إلا مثل رجل قال لامرأته
انظري إلى عريك وبعد ذلك انظري إلى عري غيرك. قيل
له وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أن مدينة أغار عليها العدو فقتل
وسبى (٨) وغنم وانطلق إلى بلاده. فاتفق أنه كان مع جندي
مما وقع في قسمته رجل حراث ومعه امرأتان له. وكان هذا
الجندي يسيء إليهم في الطعام واللباس. فذهب الحراث

١ المكر والخداع ٢ تأملوا واعتبروا ٣ اي فهمتم ٤ اي اتهمت
٥ علمت ٦ يعني العلامات ٧ دفعتني جبراً ٨ اسر

ذات يوم ومعه امرأتاه يحتطبون (١) للجندي وهم عراة.
فأصابت (٢) إحدى المرأتين في طريقها خرقة بالية فاستترت
بها ثم قالت لزوجها ألا تنظر إلى هذه القبيحة كيف لا تستحي
ولا تستتر. قال لها زوجها لو بدأت بالنظر إلى نفسك وأن
جسمك كله عار لما عيرت صاحبتك بما هو بعينه فيك
وشأنك عجب أيها القذر ذو العلامات الفاضحة القبيحة.
ثم العجب من جرأتك على طعام الملك وقيامك بين يديه مع
ما بجسمك من القذر والقبح ومع ما تعرفه أنت ويعرفه
غيرك من عيوب نفسك. أفتتكلم في النقي الجسم الذي
لا عيب فيه. ولست أنا وحدي أطلع على عيبك لكن جميع
من حضر قد عرف ذلك. وقد كان يحجزني عن إظهاره ما
بيني وبينك من الصداقة. فأما إذ قد كذبت علي (٣) وبهتني
في وجهي وقمت بعداوتي فقلت ما قلت في بغير علم وعلى
رؤوس الحاضرين فإني أقتصر على إظهار ما أعرف من عيوبك
وتعرفه الجماعة. وحق على من عرفك حق معرفتك أن يمنع

١ يجمعون حطباً ٢ وجدت ٣ قلت عليّ ما ليس فيّ

الملك من استعماله إياك على طعامه . فلو كلفت أن تعمل الزراعة لكنت جديرًا بالخذلان (1) فيها . فالأحرى بك أن لا تدنو إلى عمل من الأعمال وأن لا تكون دباغًا ولا حجامًا لعامي فضلًا عن خاص خدمة الملك * قال سيد الخنازير أولي تقول هذه المقالة وتلقاني بهذا الملقى . قال دمنة نعم وحقًا قلت فيك وإياك أعني أيها الأعرج المكسور الذي في وركه الناسور الأفدع (2) الرجل المنفوخ البطن الأفلح (3) الشفتين السيء المنظر والمخبر (4) * فلما قال دمنة ذلك تغير وجه سيد الخنازير واستعبر (5) واستحى وتلجلج (6) لسانه واستكان (7) وفتر نشاطه . فقال دمنة حين رأى انكساره وبكاءه إنما ينبغي أن يطول بكاؤك إذا أطلع الملك على قذرك وعيوبك فعزلك عن طعامه وحال (8) بينك وبين خدمته وأبعدك عن حضرته * ثم إن شعهرًا كان الأسد قد جربه فوجد فيه أمانة وصدقًا فرتبه في خدمته وأمره

١ الخيبة ٢ الذي يميل عند المشي الى الجانب الانسي من قدمه ٣ المشقوق ٤ اي الذات ٥ جرت عبرته اي دمعته ٦ تردد في الكلام ٧ ذل ٨ اعترض

أن يحفظ ما يجري بينهم ويطلعه عليه . فقام الشعهر فدخل على الأسد فحدثه بالحديث كله على جليته . فأمر الأسد بعزل سيد الخنازير عن عمله وأمر أن لا يدخلا عليه ولا يرى وجهه . وأمر بدمنة أن يرد إلى السجن وقد مضى من النهار أكثره وجميع ما جرى وقالوا وقال كتب وختم عليه بخاتم النمر ورجع كل واحد منهم إلى منزله

ثم إن شعهرًا يقال له روزبه كان بينه وبين كليلة إخاء (1) ومودة وكان عند الأسد وجيهًا وعليه كريمًا . واتفق أن كليلة أخذه الوجد (2) إشفاقًا (3) من أن يلتطخ بشيء من أمر أخيه وحذرًا عليه وكان به مرض فهاج به مرضه (4) ومات * فانطلق هذا الشعهر إلى دمنة فأخبره بموت كليلة فبكى وحزن وقال ما أصنع بالدنيا بعد مفارقة الأخ الصفي (5) واحر قلباه (6) إن الإنسان إذا ابتلي ببلية أتاه الشر من كل جانب واكتنفه (7) الهم والحزن من كل مكان . ولكن أحمد الله تعالى إذ لم يمت

١ صداقة ٢ اي الهم الشديد ٣ خوفًا ٤ اي اشتد عليه ٥ اي الصادق المودة ٦ كلمة تشك ٧ احاط به

كليلة حتى أبقى لي من ذوي قرابتي[1] أخا مثلك. فإني قد وثقت بنعمة الله تعالى وإحسانه إلي فيما رأيت من اهتمامك بي ومراعاتك لي وقد علمت أنك رجائي وركني[2] فيما أنا فيه. فأريد من إنعامك أن تنطلق إلى مكان كذا فتنظر إلى ما جمعته أنا وأخي بحيلتنا وسعينا ومشيئة الله تعالى فتأتيني به. ففعل الشعهر ما أمره به دمنة * فلما وضع المال بين يديه أعطاه شطره[3] وقال له إنك على الدخول والخروج على الأسد أقدر من غيرك. فتفرغ لشأني[4] واصرف اهتمامك إلي واسمع ما أذكر به عند الأسد إذا رفع إليه ما يجري بيني وبين الخصوم. وما يبدو من أم الأسد في حقي وما ترى من متابعة الأسد لها ومخالفته إياها في أمري واحفظ ذلك كله. فأخذ الشعهر ما أعطاه دمنة وانصرف عنه على هذا العهد فانطلق إلى منزله فوضع المال فيه.

ثم إن الأسد بكر من الغد فجلس. حتى إذا مضى من النهار ساعتان استأذن عليه أصحابه في الدخول فأذن لهم فدخلوا عليه ووضعوا الكتاب بين يديه. فلما عرف قولهم

١ اقاربي ٢ اي سندي وعمدتي ٣ نصفه ٤ لامري

وقول دمنة دعا بأمه فقرأ عليها ذلك. فلما سمعت ما في الكتاب نادت بأعلى صوتها إن أنا أغلظت في القول فلا تلمني فإنك لست تعرف ضرك من نفعك. أليس هذا مما كنت أنهاك عن سماعه لأنه كلام هذا المجرم المسيء إلينا الغادر بذمتنا. ثم إنها خرجت مغضبة وذلك بعين الشعهر الذي آخاه دمنة وبسمعه فخرج في إثرها[1] مسرعا حتى أتى دمنة فحدثه بالحديث. فبينما هو عنده إذ جاء فيج[2] الأسد فانطلق بدمنة إلى المجمع عند القاضي

فلما مثل بين يدي القاضي استفتح سيد المجلس فقال يا دمنة قد أنبأني عن خبرك الأمين الصادق وليس ينبغي لنا أن نفحص عن شأنك أكثر من هذا لأن العلماء قالوا إن الله تعالى جعل الدنيا سببا[3] إلى الآخرة ومصداقا[4] لها لأنها دار الرسل والأنبياء الدالين على الخير الهادين إلى الجنة الداعين إلى معرفة الله تعالى. وقد ثبت شأنك عندنا وأخبرنا عنك من وثقنا بقوله. إلا أن سيدنا أمرنا بالعود إلى أمرك والفحص عن شأنك وإن كان عنده ظاهرا بينا. قال دمنة

١ وراءها ٢ رسول السلطان القادم على رجليه ٣ وسيلة ٤ مصدقة

أرأك أيها القاضي لم تتعود العدل في القضاء. وليس في
عدل الملوك دفع المظلومين ومن لا ذنب له الى قاض غير
عادل بل المخاصمة لهم والذود[1] عن حقوقهم. فكيف ترى أن
أقتل ولم أخاصم وتعجل ذلك موافقة لهواك ولم تمض بعد
ثلاثة أيام. ولكن صدق الذي قال إن الذي تعود عمل
البر هين عليه عمله وإن أضر به * قال القاضي إنا نجد في
كتب الأولين أن القاضي العدل[2] ينبغي له أن يعرف
عمل المحسن والمسيء ليجازي المحسن بإحسانه والمسيء
بإساءته. فإذا ذهب إلى هذا ازداد المحسنون حرصا على
الإحسان والمسيئون اجتنابا للذنوب. والرأي إليك[3] يا دمنة
أن تنظر الذي وقعت فيه وتعترف بذنبك وتقر به وتتوب.
فلأن يعاقب المرء في الدنيا خير من عقاب الآخرة. فأجابه
دمنة إن صالحي القضاة لا يقطعون[4] بالظن ولا يعملون به لا
في الخاصة ولا في العامة لعلمهم أن الظن لا يغني من الحق[5]
شيئا. وأنتم إن ظننتم أني مجرم فيما فعلت فإني أعلم بنفسي

١ الدفاع ٢ العادل ٣ اي مفوض اليك ٤ اي يتأكدون
٥ اي لا يؤثر فيه ولا يدفعه

منكم وعلمي بنفسي يقين لا شك فيه وعلمكم بي غاية الشك *
وإنما قبح أمري عندكم أني سعيت بغيري[1] فما عذري
عندكم إذا سعيت بنفسي كاذبا عليها فأسلمتها إلى القتل
والعطب على معرفة مني ببراءتي وسلامتي مما قرفت[2] به
ونفسي أعظم الأنفس علي حرمة[3] وأوجبها حقا. فلو فعلت
هذا بأقصاكم[4] وأدناكم[5] لما وسعني[6] في ديني ولا حسن
بي في مروءتي ولا حق لي[7] أن أفعله فكيف أفعله بنفسي.
فاكفف أيها القاضي عن هذه المقالة فإنها إن كانت
نصيحة فقد أخطأت موضعها[8]. وإن كانت خديعة فإن أقبح
الخداع ما كان من غير أهله. مع أن الخداع والمكر ليسا
من أعمال صالحي القضاة ولا ثقات[9] الولاة. واعلم أن قولك
مما يتخذه الجهال والأشرار سنة[10] [illegible] به لأن أمور
القضاء يأخذ بصوابها أهل الصواب وبخطائها أهل الخطاء
والباطل والقليلو الورع[11]. وأنا خائف عليك أيها القاضي من
مقالتك هذه أعظم الرزايا والبلايا. وليس من البلاء والمصيبة

١ بلغت عنه بالفساد ٢ اتهمت ٣ عهدا ورعاية ٤ ابعدكم
٥ اقربكم ٦ اي لما جاز لي ٧ كنت حقيقا اي اهلا ٨ لم تصبه
٩ جمع ثقة اي موثوق به مؤتمن ١٠ طريقة ١١ التقوى

أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِ ٱلْمَلِكِ وَٱلْجُنْدِ وَٱلْخَاصَّةِ وَٱلْعَامَّةِ فَاضِلًا
فِي رَأْيِكَ مُقْنِعًا فِي عَقْلِكَ مُرَغِّبًا فِي حُكْمِكَ وَعَفَافِكَ
وَفَضْلِكَ. وَإِنَّمَا ٱلْبَلَاءُ كَيْفَ أُنْسِيتَ ذٰلِكَ فِي أَمْرِي. أَوَمَا
بَلَغَكَ عَنِ ٱلْعُلَمَاءِ أَنَّهُمْ قَالُوا مَنِ ٱدَّعَى عِلْمَ مَا لَا يَعْلَمُ
وَشَهِدَ عَلَى ٱلْغَيْبِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ٱلْبَازِ بَارَ [1]. قَالَ ٱلْقَاضِي
وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْمُدُنِ رَجُلٌ مِنَ
ٱلْمَرَازِبَةِ [2] مَذْكُورٌ. وَكَانَ لَهُ ٱمْرَأَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ وَعَفَافٍ.
وَكَانَ لِلرَّجُلِ بَازِ بَارٌ مَاهِرٌ خَبِيرٌ بِعِلَاجِ ٱلْبُزَاةِ وَسِيَاسَتِهَا. وَكَانَ
هٰذَا ٱلْبَازِ بَارُ عِنْدَ هٰذَا ٱلرَّجُلِ بِمَكَانٍ خَايِلٍ بِحَيْثُ أَدْخَلَهُ
دَارَهُ وَجَعَلَهُ كَوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِهَا. فَٱتَّفَقَ أَنْ وَقَعَتْ كَلِمَةٌ مِنَ
ٱلْبَازِ بَارِ فَتَسَخَّطَتْ لَهَا زَوْجَةُ مَوْلَاهُ وَنَفَرَتْ فَغَضِبَ وَعَمِلَ [3] فِي
أَنْ يَكِيدَهَا بِمَكِيدَةٍ. فَخَرَجَ يَوْمًا إِلَى ٱلصَّيْدِ عَلَى عَادَتِهِ فَأَصَابَ
فَرْخَيْ بَبْغَاءَ. فَأَخَذَهُمَا وَجَاءَ بِهِمَا إِلَى مَنْزِلِهِ وَرَبَّاهُمَا. فَلَمَّا كَبِرَا
فَرَّقَ بَيْنَهُمَا وَجَعَلَهُمَا فِي قَفَصَيْنِ وَعَلَّمَ أَحَدَهُمَا أَنْ يَقُولَ رَأَيْتُ رَبِيئَةً
فِي بَيْتِ مَوْلَايَ وَعَلَّمَ ٱلْآخَرَ أَنْ يَقُولَ أَمَّا أَنَا فَلَا أَقُولُ شَيْئًا.

١ مربي البازي ٢ جمع مرزبان وهو رئيس الفرس ٣ سعى في

ثُمَّ أَدَّبَهُمَا عَلَى ذٰلِكَ حَتَّى أَتْقَنَاهُ وَحَذَقَاهُ [1] فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ.
فَلَمَّا بَلَغَ ٱلَّذِي أَرَادَ مِنْهُمَا حَمَلَهُمَا إِلَى مَوْلَاهُ فَلَمَّا رَآهُمَا أَعْجَبَاهُ
وَنَطَقَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَطْرَبَاهُ. إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ مَا يَقُولَانِ لِأَنَّ
ٱلْبَازِ بَارَ كَانَ قَدْ عَلَّمَهُمَا بِلُغَةِ ٱلْبَلْخِيِّينَ. وَإِنَّ ٱلْمَرْزُبَانَ أُعْجِبَ
بِهِمَا إِعْجَابًا شَدِيدًا وَحَظِيَ ٱلْبَازِ بَارُ عِنْدَهُ بِذٰلِكَ حُظْوَةً [2] كَرِيمَةً
وَأَمَرَ ٱمْرَأَتَهُ بِٱلِٱحْتِيَاطِ عَلَيْهِمَا وَٱلِٱحْتِفَاظِ بِهِمَا فَفَعَلَتِ ٱلْمَرْأَةُ
ذٰلِكَ. فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ بَعْدَ مُدَّةٍ قَدِمَ عَلَى ٱلرَّجُلِ قَوْمٌ مِنْ عُظَمَاءِ
بَلْخَ فَأَتَى لَهُمْ فِي ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ وَجَمَعَ مِنْ أَصْنَافِ ٱلْفَوَاكِهِ
وَٱلتُّحَفِ شَيْئًا كَثِيرًا وَحَضَرَ ٱلْقَوْمُ. فَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ ٱلطَّعَامِ
وَشَرَعُوا فِي ٱلْحَدِيثِ أَشَارَ ٱلْمَرْزُبَانُ إِلَى ٱلْبَازِ بَارِ أَنْ يَأْتِيَ
بِٱلْبَبْغَاءَيْنِ فَأَحْضَرَهُمَا. فَلَمَّا وُضِعَتَا بَيْنَ يَدَيْهِ صَاحَتَا بِمَا
كَانَتَا عُلِّمَتَاهُ. فَعَرَفَ أُولٰئِكَ ٱلْعُظَمَاءُ مَا قَالَتَا فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ
إِلَى بَعْضٍ وَنَكَّسُوا رُؤُوسَهُمْ حَيَاءً وَخَجَلًا وَجَعَلَ يَغْمِزُ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا. فَقَالَ ٱلرَّجُلُ مَا أَعْلَمُ مَا تَقُولَانِ وَلٰكِنِّي يُعْجِبُنِي ذٰلِكَ
مِنْهُمَا وَسَأَلَهُمْ عَمَّا تَقُولَانِ فَٱمْتَنَعُوا أَنْ يَقُولُوا مَا قَالَتَا فَأَلَحَّ
عَلَيْهِمْ وَأَكْثَرَ ٱلسُّؤَالَ عَمَّا قَالَتَا. فَقَالُوا إِنَّمَا تَقُولَانِ كَذَا

١ مهرا فيه ٢ اي وجد عنده كرامة ومكانة

وكذا وليس من شأننا أن نأكل من بيت يعمل فيه الفجور .
فلما قالوا ذلك سألهم الرجل أن يكلموهما بلسان البلخية
بغير ما نطقتا به . ففعلوا ذلك فلم يجدوهما تعرفان غير ما
تكلمتا به وبان لهم وللجماعة براءة البيت مما رمي به ووضح
كذب البازيار . فأمر بالبازيار أن يدخل عليه وكان على يده
باز أشهب (1) فصاحت به امرأة المرزبان من داخل البيت
أيها العدو لنفسه أنت رأيت في البيت ما ذكرت وعلمت
به الببغاءين . قال نعم أنا رأيت فيه مثل ما تقولان . فوثب
البازي إلى وجهه ففقأ عينه بمخالبه (2) . فقالت المرأة بحق
أصابك هذا إنه لجزاء من الله تعالى لشهادتك بما لم تره عينك

وإنما ضربت لك هذا المثل أيها القاضي لتزداد علماً
بوخامة (3) عاقبة الشهادة بالكذب في الدنيا والآخرة . فلما
سمع القاضي ذلك من لفظ دمنة نهض فرفعه إلى الأسد
على وجهه (4) فنظر فيه الأسد فدعا أمه فعرضه عليها . فقالت
حين تدبرت (5) كلام دمنة لقد صار اهتمامي بما أخوف

---

١ أبيض في سواد ٢ أظافره ٣ أي سوء ٤ أي على حكه
٥ أي اعتبرت وتأملت

من احتيال دمنة لك بمكره ودهائه (1) حتى يقتلك أو يفسد
عليك أمرك أعظم من اهتمامي بما سلف من ذنبه إليك في
الغش والسعاية (2) حتى قتلت صديقك بغير ذنب . فوقع قولها
في نفسه (3) فقال لها أخبريني عن الذي أخبرك عن دمنة
بما أخبرك فيكون حجة لي في قتلي دمنة . فقالت لأكره
إفشاء سر من استكتمنيه (4) . فلا يهنئني سروري (5) بقتل دمنة إذا
تذكرت أني استظهرت (6) عليه بركوب (7) ما نهت عنه العلماء
من كشف السر . ولكني أطلب الذي استودعنيه أن يحلني من
ذكره (8) ويقوم هو بعلمه وما سمع منه . ثم انصرفت وأرسلت
إلى النمر وذكرت له ما يحق عليه من التزيين للأسد وحسن
معاونته على الحق وإخراج نفسه من الشهادة التي لا يكتمها
مثله مع ما يحق عليه من نصر المظلومين وتثبيت حجة الحق
في الحياة والممات . فإن العلماء قد قالت من كتم حجة
ميت أخطأ حجته (9) يوم القيامة . فلم تزل به حتى قام
فدخل على الأسد فشهد عنده بما سمع من إقرار دمنة

---

١ أي احتياله ٢ النميمة والإفساد ٣ أي أثر فيها ٤ سألني
كتمه ٥ أهنأ به ٦ استعنت ٧ ارتكاب ٨ من حل القيد أي
يعفيني ٩ لم يقمها

فلمّا شهد النمر بذلك أرسل الفهد المسجون الذي سمع إقرار دمنة وحفظه إلى الأسد فقال إنّ عندي شهادة فأخرجوه فشهد بما سمع من إقراره. فقال لهما الأسد ما منعكما أن تقوما بشهادتكما وقد علمتما أمرنا واهتمامنا بالفحص عن أمر دمنة. فقال كلّ واحد منهما قد علمت أنّ شهادة الواحد لا توجب حكمًا فكرهت التعرّض لغير ما يمضي به الحكم. حتى إذا شهد أحدنا قام الآخر. فقبل الأسد قولهما وأمر بدمنة أن يقتل ويصلب على رؤوس الأشهاد. ونادى المنادي هذا جزاء من يسعى بين الملوك وبين أخدانهم وبطانتهم[1] بالكذب والبهتان

فمن نظر في هذا فليعلم أنّ من أراد منفعة نفسه بضرّ غيره بالخلابة[2] والمكر فإنّه سيجزى على خلابته ومكره

———

١ حاشيتهم واتباعهم ٢ الخديعة

باب

الحمامة المطوّقة

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت مثل المتحابّين كيف قطع بينهما الكذوب وإلى ماذا صار[1] عاقبة أمره من بعد ذلك. فحدّثني إن رأيت عن إخوان الصفاء كيف يبتدئ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض. قال الفيلسوف إنّ العاقل لا يعدل بالإخوان شيئًا. فالإخوان هم الأعوان على الخير كلّه والمؤاسون[2] عندما ينوب[3] من المكروه. ومن أمثال ذلك مثل الحمامة المطوّقة والجرذ والظبي[4] والغراب. قال الملك وكيف كان ذلك

قال بيدبا زعموا أنّه كان بأرض سكاوندجين عند مدينة داهر مكان كثير الصيد ينتابه[5] الصيّادون. وكان في ذلك المكان شجرة كثيرة الأغصان ملتفّة الورق فيها وكر غراب. فبينما هو ذات يوم ساقط في وكره إذ بصر بصيّاد قبيح المنظر سيّء الخلق وقبح منظره يدلّ على سوء مخبره[6]

١ انتهى ٢ اي المعينون ٣ يصيب ٤ الغزال ٥ يتردّد عليه ٦ ما يخبر منه اي ذاته

على عاتقه [1] شبكة وفي يده عصا مقبلاً نحو الشجرة. فذعر منه الغراب وقال لقد ساق هذا الرجل إلى هذا المكان إما حيني [2] وإما حين غيري فلأثبتن مكاني حتى أنظر ماذا يصنع. ثم إن الصياد نصب شبكته ونثر عليها الحب وكمن قريبا منها فلم يلبث إلا قليلا حتى مرت به حمامة يقال لها المطوقة وكانت سيدة الحمام ومعها حمام كثير فعميت هي وصاحباتها عن الشرك [4] فوقعن على الحب يلتقطنه فعلقن في الشبكة كلهن وأقبل الصياد فرحا مسرورا. فجعلت كل حمامة تتلجلج [5] في حبائلها [6] وتلتمس الخلاص لنفسها. قالت المطوقة لا تخاذلن [7] في المعالجة [8] ولا تكن نفس إحداكن أهم إليها من نفس صاحبتها. ولكن نتعاون جميعا نطير كطائر واحد فينجو بعضنا ببعض. فجمعن أنفسهن ووثبن وثبة واحدة فقلعن الشبكة جميعهن بتعاونهن وعلون بها في الجو. ولم يقطع الصياد رجاءه منهن وظن أنهن لا يجاوزن [9] إلا قريبا حتى يقعن. فقال الغراب لأتبعهن وأنظر ما يكون منهن.

١ ما بين الكتف والعنق ٢ حتف ٣ هلاكي ٤ [illegible] ٥ [illegible]
٦ اشراكها ٧ لا تتركن التعاون ٨ اي المحاولة ٩ [illegible]

فالتفتت المطوقة فرأت الصياد يتبعهن فقالت للحمام هذا الصياد جاد في طلبكن فإن نحن أخذنا في الفضاء لم يخف عليه أمرنا ولم يزل يتبعنا. وإن نحن توجهنا إلى العمران [1] خفي عليه أمرنا وانصرف. وبمكان كذا جرذ هو لي أخ فلو انتهينا إليه قطع عنا هذا الشرك. ففعلن ذلك وأيس [2] الصياد منهن وانصرف. وتبعهن الغراب لينظر إليهن لعله يتعلم منهن حيلة تكون له عدة [3] عند الحاجة. فلما انتهت الحمامة المطوقة إلى الجرذ أمرت الحمام أن يقعن فوقعن وكان للجرذ مئة جحر أعدها للمخاوف. فنادته المطوقة باسمه وكان اسمه زيرك فأجابها الجرذ من جحره من أنت. قالت أنا خليلتك المطوقة. فأقبل إليها الجرذ يسعى فقال لها ما أوقعك في هذه الورطة. قالت له ألم تعلم أنه ليس من الخير والشر شيء إلا وهو مقدر على من تصيبه المقادير وهي التي أوقعتني في هذه الورطة. فقد لا يمتنع من القدر من هو أقوى مني وأعظم أمرا. وقد تنكسف الشمس وينخسف القمر إذا قضي ذلك عليهما * ثم إن الجرذ أخذ في قرض

١ الاماكن المعمورة ٢ يئس ٣ عدة الشيء ما تحتاج اليه فيه وقدم

العقد(1) الذي فيه المطوقة. فقالت له المطوقة أبدأ بقطع
عقد سائر الحمام وبعد ذلك أقبل على عقدي. فأعادت عليه
ذلك مرارًا وهو لا يلتفت إلى قولها. فلما أكثرت عليه
القول وكررت قال لها لقد كررت القول علي كأنك ليس
لك في نفسك حاجة ولا لك عليها شفقة ولا ترعين لها حقًا.
قالت إني أخاف إن أنت بدأت بقطع عقدي أن تمل
وتكسل عن قطع ما بقي. وعرفت أنك إن بدأت بهن
قبلي وكنت أنا الأخيرة لم ترض وإن أدركك الفتور
أن أبقى في الشرك. قال الجرذ هذا مما يزيد الرغبة فيك
والمودة لك. ثم إن الجرذ أخذ في قرض الشبكة حتى
فرغ منها. فانطلقت المطوقة وحمامها معها

فلما رأى الغراب صنع الجرذ رغب في مصادقته فجاء
وناداه باسمه فأخرج الجرذ رأسه فقال له ما حاجتك.
قال إني أريد مصادقتك. قال الجرذ ليس بيني وبينك
تواصل وإنما العاقل ينبغي له أن يلتمس ما يجد إليه سبيلا
ويترك التماس ما ليس له إليه سبيل. كمن أراد أن يجري

١ أي حبل الشرك

السفن في البر والعجل(2) في البحر فإن(3) أنت إلا آكل
وأنا طعام لك. قال الغراب إن أكلي إياك وإن كنت
لي طعامًا مما لا يغني عني(4) شيئًا. وإن مودتك آنس(5) لي
مما ذكرت. ولست بحقيق إذا جئت أطلب مودتك أن
تردني خائبًا. فإنه قد ظهر لي منك من حسن الخلق ما
رغبني فيك وإن لم تكن تلتمس إظهار ذلك. فإن العاقل لا
يخفى فضله وإن هو أخفاه كالمسك الذي يكتم ثم لا يمنعه
ذلك من النشر(6) الطيب والأرج(7) الفائح. قال الجرذ إن
أشد العداوة عداوة الجوهر وهي عداوتان منها ما هو متكافئ(8)
كعداوة الفيل والأسد. فإنه ربما قتل الأسد الفيل أو
الفيل الأسد. ومنها ما قوته من أحد الجانبين على الآخر
كالتي بيني وبين السنور(9) وبينك وبيني. فإن العداوة التي
بيننا ليست تضرك وإنما ضررها علي. فإن الماء لو أطيل
إسخانه لم يمنعه ذلك من إطفائه النار إذا صب عليها
وإنما مصاحب العدو ومصالحه كصاحب الحية يحملها في

١ الدواليب ٢ فما ٣ يفيدني ويدفع عني ٤ تتصل من الانس
٥ الرائحة العطرة ٦ ذكاء الرائحة ٧ متماثل ٨ الهر

كمه. والعاقل لا يستأنس إلى العدو الأريب[1] * قال الغراب قد فهمت ما تقول وأنت خليق[2] أن تأخذ[3] بفضل خليقتك[4] وتعرف صدق مقالي ولا تصعب علي الأمر بقولك ليس إلى التواصل بيننا سبيل. فإن العقلاء الكرام لا يبتغون[5] على معروف جزاء. والمودة بين الصالحين سريع اتصالها بطيء انقطاعها. ومثل ذلك مثل الكوز الذهب بطيء الإنكسار سريع الإعادة هين الإصلاح إن أصابه ثلم أو كسر. والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها. ومثل ذلك مثل الكوز الفخار سريع الإنكسار ينكسر من أدنى شيء ولا وصل له أبدا. والكريم يود الكريم واللئيم لا يود أحدا إلا عن رغبة أو رهبة[6]. وأنا إلى ودك ومعروفك محتاج لأنك كريم. وأنا ملازم لبابك غير ذائق طعاما حتى تواخيني[7] * واعلم أني لو كنت أشاء ضرك لفعلت حين كنت محلقا[8] فوق رأسك عندما كنت تقطع حبائل الحمام. قال الجرذ قد قبلت إخاءك فإني لم أردد أحدا عن

١ العاقل. ٢ أهل ٣ أي تعمل ٤ طبيعتك ٥ يطلبون
٦ خوف ٧ تصادقني ٨ مرتفعا

حاجة قط وإنما بلوتك[1] بما بلوتك به إرادة التوثق[2] لنفسي فإن أنت غدرت بي لم تقل إني وجدت الجرذ ضعيف الرأي سريع الإنخداع. ثم خرج من جحره فوقف عند الباب * فقال له الغراب ما يمنعك من الخروج إلي والاستئناس بي أو في نفسك بعد مني ريبة[3]. قال الجرذ إن أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ويتواصلون عليهما وهما ذات النفس[4] وذات اليد[5]. فالمتبادلون ذات النفس هم الأصفياء[6]. وأما المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض. ومن كان يصنع المعروف لبعض منافع الدنيا فإنما مثله فيما يبذل ويعطي كمثل الصياد وإلقائه الحب للطير لا يريد بذلك نفع الطير وإنما يريد نفع نفسه. فتعاطي ذات النفس أفضل من تعاطي ذات اليد. وإني وثقت منك بذات نفسك ومنحتك من نفسي مثل ذلك. وليس يمنعني من الخروج إليك سوء ظن بك. ولكن قد عرفت أن لك أصحابا جوهرهم كجوهرك وليس رأيهم في كرأيك * قال الغراب إن من علامة

١ امتحنتك واختبرتك ٢ أخذ الوثيقة أي الاحتياط والتحفظ ٣ شك وحذر ٤ السريرة المضمرة والعاطفة ٥ المال ٦ الأصدقاء

الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ولعدو صديقه عدوا. وليس لي بصاحب ولا صديق من لا يكون لك محبا. وإنه يهون علي قطيعة[1] من كان كذلك من جوهري فإن زارع الريحان إذا رأى بينه عشبا يفسده قلعه ورمى به * ثم إن الجرذ خرج إلى الغراب فتصافحا[2] وتصافيا وأنس كل واحد منهما بصاحبه * حتى إذا مضت لهما أيام قال الغراب للجرذ إن جحرك قريب من طريق الناس وأخاف أن يرميك بعض الصبيان بحجر. ولي مكان في عزلة[3] ولي فيه صديق من السلاحف وهو مخصب من السمك ونحن واجدون هناك ما نأكل فأريد أن أنطلق بك إلى هناك لنعيش آمنين. قال الجرذ وإني أيضا كاره لمكاني هذا ولي أخبار وقصص سأقصها عليك إذا انتهينا حيث تريد فافعل ما تشاء. فأخذ الغراب بذنب الجرذ وطار به حتى بلغ حيث أراد. فلما دنا من العين التي فيها السلحفاة بصرت السلحفاة بغراب ومعه جرذ فذعرت منه ولم تعلم أنه صاحبها. فناداها فخرجت إليه وسألته من أين أقبلت فأخبرها بقصته حين تبع الحمام وما كان من أمره وأمر

١ مقاطعة ومعاداة ٢ اي تعانقا ٣ تنحٍّ وانفراد

الجرذ حتى انتهى إليها. فلما سمعت السلحفاة شأن الجرذ عجبت من عقله ووفائه ورحبت به وقالت له ما ساقك إلى هذه الأرض. قال الغراب للجرذ اقصص علي الأخبار التي قلت إنك تحدثني بها فأخبرني بها مع جواب ما سألت السلحفاة فإنها عندك بمنزلتي. فبدأ الجرذ وقال

كان منزلي أول أمري بمدينة ماروت في بيت رجل ناسك وكان خاليا من الأهل والعيال. وكان يؤتى في كل يوم بجونة[1] من الطعام فيأكل منها حاجته ويعلق الباقي. وكنت أرصد[2] الناسك حتى يخرج وأثب إلى الجونة فلا أدع فيها طعاما إلا أكلته ورميت منه إلى الجرذان. فجهد الناسك مرارا أن يعلق الجونة في مكان لا أناله فلم يقدر على ذلك * حتى نزل به ذات ليلة ضيف فأكلا جميعا ثم أخذا في الحديث. فقال الناسك للضيف من أي أرض أقبلت وأين تريد الآن. وكان الرجل قد جاب[3] الآفاق[4] ورأى عجائب فأنشأ[5] يحدث الناسك عما وطئ[6] من البلاد ورأى

١ سلة صغيرة مغطاة بجلد ٢ ارقب ٣ قطع ٤ النواحي
٥ شرع ٦ داس

من العجائب وجعل الناسك خلال(1) هذا يصفق بيديه لينفرني
عن الجونة . فغضب الضيف وقال أنا أحدثك وأنت تهزأ
بحديثي فما حملك على أن سألتني . فاعتذر إليه الناسك وقال
إنما أصفق بيدي لأنفر جرذا قد تحيرت في أمره ولست
أضع في البيت شيئا إلا أكله . فقال جرذ واحد يفعل
ذلك أم جرذان كثيرة . فقال الناسك جرذان البيت كثيرة
لكن فيها جرذا واحدا هو الذي غلبني فما أستطيع له
حيلة . قال الضيف لقد ذكرتني قول الذي قال لأمر ما
باعت هذه المرأة سمسما مقشورا بغير مقشور . قال الناسك
وكيف كان ذلك

قال الضيف نزلت مرة على رجل بمكان كذا فتعشينا ثم
فرش لي وانقلب على فراشه . فسمعته يقول في آخر الليل
لامرأته إني أريد أن أدعو غدا رهطا(2) ليأكلوا عندنا
فاصنعي لهم طعاما . فقالت المرأة كيف تدعو الناس إلى
طعامك وليس في بيتك فضل عن عيالك وأنت رجل لا
تبقي شيئا ولا تدخره(3) . قال الرجل لا تندمي على شيء

١ في ضمن ٢ اي جماعة ٣ تخبأه

أطعمناه وأنفقناه فإن الجمع والادخار ربما كانت عاقبته
كعاقبة الذئب . قالت المرأة وكيف كان ذلك

قال الرجل زعموا أنه خرج ذات يوم رجل قانص(1)
ومعه قوسه ونشابه . فلم يجاوز غير بعيد حتى رمى ظبيا(2)
فحمله ورجع طالبا منزله فاعترضه خنزير بري فرماه بنشابة
نفذت فيه فأدركه الخنزير وضربه بأنيابه ضربة أطارت من
يده القوس ووقعا ميتين . فأتى عليهم ذئب فقال هذا الرجل
والظبي والخنزير يكفيني أكلهم مدة . ولكن أبدأ بهذا
الوتر فآكله فيكون قوت يومي وأدخر الباقي إلى غد فما
وراءه(3) . فعالج الوتر حتى قطعه فلما انقطع طارت سية
القوس فضربت حلقه فمات

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلمي أن الجمع والادخار
وخيم العاقبة . فقالت المرأة نعما قلت وعندنا من الأرز
والسمسم ما يكفي ستة نفر(4) أو أكثر . فأنا غادية(5) على
صنع الطعام فادع من أحببت . وأخذت المرأة حين
أصبحت سمسما وقشرته وبسطته في الشمس ليجف وقالت

١ صياد ٢ غزالا ٣ طرف ٤ نفر من الثلاثة الى العشرة من الناس ٥ مبكرة

لغلام لهم اطرد عنه الطير والكلاب وتفرغت المرأة لصنعها. وتغافل الغلام عن السمسم فجاء كلب فعاث(1) فيه فاستقذرته المرأة وكرهت أن تصنع منه طعاما. فذهبت به إلى السوق فأخذت به مقايضة(2) سمسما غير مقشور مثلا بمثل وأنا واقف في السوق. فقال رجل لأمر ما باعت هذه المرأة سمسما مقشورا بغير مقشور.

وكذلك قولي في هذا الجرذ الذي ذكرت أنه على غير علة ما يقدر على ما شكوت منه. فالتمس لي فأسا(3) لعلي أحتفر جحره فأطلع على بعض شأنه. فاستعار الناسك من بعض جيرانه فأسا فأتى بها الضيف وأنا حينئذ في جحر غير جحري أسمع كلامهما وفي جحري كيس فيه مئة دينار لا أدري من وضعها. فاحتفر الضيف حتى انتهى إلى الدنانير فأخذها وقال للناسك. كان هذا الجرذ يقوى على الوثوب حيث كان يثب إلا بهذه الدنانير فإن المال جعل له قوة وزيادة في الرأي والتمكن وسترى بعد هذا أنه لا يقدر على الوثوب حيث كان يثب * فلما كان من الغد اجتمعت الجرذان التي

١ افسد ٢ مبادلة ٣ آلة يحفر بها

كانت معي فقالت قد أصابنا الجوع وأنت رجاؤنا. فانطلقت ومعي الجرذان إلى المكان الذي كنت أثب منه إلى الجونة فحاولت ذلك مرارا فلم أقدر عليه فاستبان للجرذان نقص حالي فسمعتهن يقلن انصرفن عنه ولا تطمعن فيما عنده فإنا نرى له حالا لا نحسبه إلا قد احتاج معها إلى من يعوله(1). فتركنني ولحقن بأعدائي وجفونني(2) وأخذن في غيبتي(3) عند من يعاديني ويحسدني وأصبحن كأنهن لم يعرفنني وكأني لم أكن عليهن رئيسا قط

فقلت في نفسي ما الإخوان ولا الأعوان ولا الأصدقاء إلا بالمال. ووجدت من لا مال له إذا أراد أمرا قعد به العدم(4) عما يريده. كالماء الذي يبقى في الأودية من مطر الشتاء لا يمر إلى نهر ولا يجري إلى مكان إلا أن يفسد وينشف ولا ينتفع به * ووجدت من لا إخوان له لا أهل له. ومن لا ولد له لا ذكر له. ومن لا مال له لا عقل له ولا دنيا ولا آخرة له. لأن من نزل به الفقر لا يجد بدا من ترك الحياء. ومن ذهب حياؤه ذهب سروره. ومن ذهب سروره

١ يمونه ويكفيه ٢ خلاف وصلني اي هجرني ٣ ذمي في غيابي ٤ الفقر

مقت نفسه. ومن مقت نفسه كثر حزنه. ومن كثر حزنه قل عقله وارتبك في أمره. ومن قل عقله كان أكثر قوله وعمله عليه لا له. ومن كان كذلك فأحر به[1] أن يكون أنكد الناس حظا في الدنيا والآخرة * ثم إن الرجل إذا افتقر قطعه[2] أقاربه وإخوانه وأهل وده ومقتوه ورفضوه وأهانوه واضطره ذلك إلى أن يلتمس من الرزق ما يغرر فيه بنفسه[3] ويفسد فيه آخرته فيخسر الدارين جميعا. وإن الشجرة النابتة في السباخ[4] المأكولة من كل جانب كحال الفقير المحتاج إلى ما في أيدي الناس

ووجدت الفقر رأس كل بلاء وجالبا إلى صاحبه كل مقت ومعدن النميمة. ووجدت الرجل إذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان يظن به حسنا. فإن أذنب غيره كان هو للتهمة موضعا. وليس من خلة[5] هي للغني مدح إلا وهي للفقير ذم. فإن كان شجاعا قيل أهوج وإن كان جوادا[6] سمي مبذرا وإن كان حليما سمي

١ [illegible] أي ما أجدره وأحقه ٢ ضد وصله ٣ [illegible]
٤ الاراضي ذات النز والملح ٥ خصلة ٦ كريما

ضعيفا وإن كان وقورا سمي بليدا وإن كان صموتا[1] سمي عييا[2] وإن كان لسنا[3] سمي مهذارا[4]. فالموت أهون من الحاجة[5] التي تحوج صاحبها إلى المسألة ولا سيما مسألة الأشحاء[6] واللئام. فإن الكريم لو كلف أن يدخل يده في فم الأفعى فيخرج منه سما فيبتلعه كان ذلك أهون عليه وأحب إليه من مسألة البخيل اللئيم. حتى لقد جاء في قديم الأقاويل إن من ابتلي بمرض في جسده لا يفارقه حتى يتساقط عليه ما هو أشد منه من الحاجة والفقر

وقد كنت رأيت الضيف حين أخذ الدنانير فقاسمها الناسك جعل الناسك نصيبه في خريطة[7] عند رأسه لما جن[8] الليل. فطمعت أن أصيب منها شيئا فأرده إلى جحري ورجوت أن يزيد ذلك في قوتي أو يراجعني بسببه بعض أصدقائي * فانطلقت إلى الناسك وهو نائم حتى انتهيت عند رأسه فوجدت الضيف يقظان وبيده قضيب فضربني على رأسي ضربة موجعة فانقلبت راجعا إلى جحري. فلما سكن

١ كثير الصمت ٢ بليدا عاجزا ٣ فصيح اللسان ٤ كثير الكلام في الخطاء والباطل ٥ الفقر ٦ البخلاء ٧ وعاء من جلد ٨ أظلم

عني الألم هيجني الحرص والشره فخرجت طمعاً كطمعي الأول. وإذا الضيف يرصدني فضربني بالقضيب ضربة أسالت مني الدم فتحاملت على نفسي (1) وتقلبت ظهراً لبطن إلى جحري فخررت (2) مغشياً علي فأصابني من الوجع ما بغض إلي المال حتى لا أسمع بذكره إلا تداخلني من ذكر المال رعدة (3) وهيبة * ثم تذكرت فوجدت البلاء في الدنيا إنما يسوقه الحرص والشره لأنهما لا يزالان يدخلان صاحبهما من شيء إلى شيء والأشياء لا تنفد (4) ولا تنتهي ولا يزال صاحب الدنيا في بلية وتعب ونصب (5). ووجدت ركوب الأهوال وتجشم (6) الأسفار البعيدة في طلب الدنيا أهون علي من بسط اليد إلى السخي بالمال فكيف بالشحيح به. ولم أر كالرضى شيئاً. ووجدت العلماء قد قالوا لا عقل كالتدبير ولا ورع ككف الأذى ولا حسب (7) كحسن الخلق ولا غنى كالرضى وأحق ما صبر الإنسان على الشيء نفسه (8) وأفضل البر الرحمة. ورأس المودة الاسترسال (9). ورأس العقل معرفة ما يكون مما

١ تكلفت على مشقة ٢ اي سقطت ٣ الاسم من الارتعاد من خوف ٤ تفرغ ٥ بمعنى تعب ٦ تكلف ٧ ما يعده الرجل لنفسه من المفاخر ٨ صبر نفسه على الشيء حبسها عليه واقمها به ٩ حسن الثقة بالصديق والاطمئنان اليه وقد لا تعبه

لا يكون. وقالوا الخرس خير من اللسان الكذوب والضر (1) والفقر خير من النعمة (2) والسعة من أموال الناس * فصار أمري إلى أن رضيت وقنعت وانتقلت من بيت الناسك إلى البرية. وكان لي صديق من الحمام فسيقت (3) إلي بصداقته صداقة الغراب. والتفت إلى السلحفاة فقال ثم ذكر لي الغراب ما بينك وبينه من المودة وأخبرني أنه يريد إتيانك فأحببت أن آتيك معه. وكرهت الوحدة فإنه لا شيء من سرور الدنيا يعدل صحبة الإخوان ولا غم فيها يعدل البعد عنهم. وجربت فعلمت أنه لا ينبغي للملتمس (4) من الدنيا غير الكفاف (5) الذي يدفع به الأذى عن نفسه وهو يسير من المطعم والمشرب إذا أعين بصحة وسعة. ولو أن رجلاً وهبت له الدنيا بما فيها لم يكن ينتفع من ذلك إلا بالقليل الذي يدفع به عن نفسه الحاجة وما سوى ذلك فليس له منه إلا ما لغيره من النظر إليه حسب (6)

فلما فرغ الجرذ من كلامه أجابته السلحفاة بكلام

١ بمعنى الفقر ٢ التنعم ٣ مجهول ساق الي كذا اي وجهه ٤ الطالب ٥ مقدار الحاجة ٦ فقط

رفيقي وقال: قد سمعت كلامك وما أحسن ما تكلمت به.
إلا أني رأيتك تذكر بقايا أمور هي في نفسك من حيث قلة
مالك وسوء حالك واغترابك عن موطنك. فاطرح ذلك عن
قلبك واعلم أن حسن الكلام لا يتم إلا بحسن العمل
وأن المريض الذي قد علم دواء مرضه إن لم يتداو به لم
يغن علمه به شيئاً ولم يجد لدائه راحة ولا خفة. فاستعمل
رأيك ولا تحزن لقلة المال فإن الرجل ذا المروءة قد يكرم
على غير مال كالأسد الذي يهاب وإن كان رابضاً[1].
والغني الذي لا مروءة له يهان وإن كان كثير المال
كالكلب لا يحفل[2] به وإن طوق وخلخل بالذهب.
فلا تكبرن عليك غربتك فإن العاقل لا غربة له كالأسد
الذي لا ينقلب[3] إلا ومعه قوته. فلتحسن تعهدك[4] لنفسك
فإنك إذا فعلت ذلك جاءك الخير يطلبك من كل مكان
كما يطلب الماء انحداره. وإنما جعل الفضل للحزم البصير.
وأما الكسلان المتردد فإن الفضل لا يصحبه. وقد قيل
في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء: ظل الغمامة[5] في الصيف.

١ اي قاعداً ٢ يبالى ٣ اي يتحوّل ٤ تفقدك ٥ الغيمة

وخلة[1] الأشرار. وعشق النساء. والنبأ[2] الكاذب.
والمال الكثير. فالعاقل لا يحزن لقلته. ولكن ماله عقله
وما قدم من صالح عمله. فهو واثق أنه لا يسلب ما عمل ولا
يؤاخذ بشيء لم يعمله. وهو خليق أن لا يغفل عن أمر آخرته
فإن الموت لا يأتي إلا بغتة وليس بينه وبين أحد أجل[3]
معلوم. وأنت عن موعظتي غني بما عندك من العلم. ولكن
رأيت أن أقضي من حقك فأنت أخونا وما قبلنا[4]
مبذول لك.

فلما سمع الغراب كلام السلحفاة للجرذ وردها عليه
ولطفها إياه[5] فرح بذلك وقال: لقد سررتني وأنعمت علي
وأنت جديرة أن تسري نفسك بمثل ما سررتني. وإن
أولى أهل الدنيا بشدة السرور من لا يزال ربعه[6] من
إخوانه وأصدقائه من الصالحين معموراً ولا يزال عنده منهم
جماعة يسرهم ويسرونه ويكونون من وراء أموره وحاجاته
بالمرصاد[7]. فإن حسن الثناء لا يزال صاحبه في عاقبته

١ مصادقة ٢ الخبر ٣ ميعاد ٤ اي عندنا ٥ اي ردها به وملاطفتها له ٦ اي منزله ٧ اي مراقباً لها

حيثما توجه. فإن الكريم إذا عثر لا يقيل عثرته[1] ويأخذ بيده إلا الكرام كالفيل إذا وحل لا تخرجه إلا الفيلة.

فبينما الغراب في كلامه والثلاثة مستأنسون بعضهم ببعض إذ أقبل نحوهم ظبي يسعى مذعورا[2]. فذعرت منه السلحفاة فغاصت في الماء ودخل الجرذ بعض الأجحار وطار الغراب فوقع على شجرة وانتهى الظبي إلى الماء فشرب منه يسيرا ثم وقف خائفا يلتفت يمينا وشمالا. ثم إن الغراب حلق في السماء لينظر هل للظبي طالب. فنظر فلم ير شيئا فنادى الجرذ والسلحفاة فخرجا. فقالت السلحفاة للظبي حين رأته ينظر إلى الماء ولا يقربه اشرب إن كان بك عطش ولا تخف فإنه لا خوف عليك. فدنا الظبي فرحبت به السلحفاة وحيته وقالت له من أين أقبلت. قال كنت بهذه الصحارى[3] راتعا[4]. فلم تزل الأساورة[5] تطردني من مكان إلى مكان حتى رأيت اليوم شبحا[6] فخفت أن يكون قانصا. قالت لا تخف فإنا لم نر هنا قانصا قط ونحن في هذا المكان مجتمعون نتحدث

١ ينهضه من سقطته ٢ خائفا ٣ جمع صحراء وهي الفضاء الواسع ٤ آكلا وشاربا في خصب وسعة ٥ جمع اسوار وهو الجيد الرمي بالسهام ٦ شخصا

ونتآنس ونحن نبذل لك ودنا ومكاننا والماء والمرعى كثير عندنا فارغب في صحبتنا. فأقام الظبي معهم وكان لهم عريش[1] يجتمعون فيه ويتساقطون[2] الأحاديث والأخبار. فبينما الغراب والجرذ والسلحفاة ذات يوم في العريش إذ غاب الظبي فتوقعوه[3] ساعة فلم يأت فلما أبطأ[4] أشفقوا[5] أن يكون قد أصابه عنت[6]. فقال الجرذ والسلحفاة للغراب انظر هل ترى مما يلينا[7] شيئا. فحلق الغراب في السماء فنظر فإذا الظبي في الحبائل[8] مقتنصا[9]. فانقض[10] مسرعا فأخبرهما بذلك. فقالت السلحفاة والغراب للجرذ هذا أمر لا يرجى فيه غيرك فأغث[11] أخاك. فسعى الجرذ مسرعا فأتى الظبي فقال له كيف وقعت في هذه الورطة وأنت من الأكياس[12]. قال الظبي ما يغني[13] حذر من قدر[14] ولا يجدي[15] الكيس مع المقادير شيئا.

فبينما هما في الحديث إذ وافتهما السلحفاة فقال لها

١ مكان يستظل به ٢ يتبادلون ويتناوبون ٣ اي انتظروا مجيئه ٤ تأخر ٥ خاف ٦ وقوع في امر شاق ٧ اي مما حوالينا ٨ الاشراك ٩ مصطادا ١٠ وقع بسرعة ١١ اعن ١٢ جمع كيس وهي الظرف الفطن ١٣ اي يدفع ويمنع ١٤ قضاء من الله ١٥ ينفع

الظبي ما أصبت بمجيئك إلينا فإن القانص لو انتهى إلينا وقد
قطع الجرذ الحبائل سبقته عدوا (١) . وللجرذ أجحار كثيرة
والغراب يطير . وأنت ثقيلة لا سعي لك ولا حركة وأخاف
عليك القانص . قالت لا عيش بعد فراق الأحبة . وإذا فرق
الأليف أليفه فقد سلب فؤاده وحرم سروره وغشي على بصره
فلم ينته كلامها حتى وافى (٢) القانص ووافق ذلك فراغ الجرذ
من قطع الشرك . فنجا الظبي بنفسه وطار الغراب محلقا ودخل
الجرذ بعض الأجحار ولم يبق غير السلحفاة ودنا الصياد ووجد
حبائله مقطعة . فنظر يمينا وشمالا فلم يجد غير السلحفاة
تدب فأخذها وربطها . فلم يلبث (٣) الغراب والجرذ والظبي
أن اجتمعوا فنظروا القانص قد ربط السلحفاة فاشتد حزنهم
وقال الجرذ ما أرانا (٤) نجوز عقبة (٥) من البلاء إلا صرنا إلى
أشد منها . ولقد صدق الذي قال لا يزال الإنسان مستمرا
في إقباله ما لم يعثر فإذا عثر لج (٦) به العثار وإن مشى في
جدد (٧) الأرض . وحذري على السلحفاة خير الأصدقاء

١ ركضا ٢ جاء ٣ يبطئ ٤ نرى نفسنا ٥ الاصل فيها الطريق الصعبة في الجبل والمراد بها هنا الورطة ٦ تمادى ٧ الغليظ المستوي من الارض

التي خلتها ليست للمجازاة ولا لالتماس مكافأة ولكنها خلة
الكرم والشرف . خلة هي أفضل من خلة الوالد لولده .
خلة لا يزيلها إلا الموت . ويح (١) لهذا الجسد الموكل (٢) به
البلاء الذي لا يزال في تصرف وتقلب ولا يدوم له شيء
ولا يلبث معه أمر كما لا يدوم للطالع من النجوم طلوع ولا
للآفل (٣) منها أفول لكن لا يزال الطالع منها آفلا والآفل
طالعا . وكما تكون آلام الكلوم (٤) وانتقاض (٥) الجراحات
كذلك حالي أنا الذي ذكرني هذا البلاء سابق إخواني .
كالجرح المندمل (٦) تصيبه الضربة فيجتمع عليه ألمان ألم
الضربة وألم الجرح . وأخلق بمن (٧) فقد إخوانه بعد اجتماعه
بهم أن لا يزال منقصم (٨) الظهر حزين النفس

فقال الظبي والغراب للجرذ إن حذرنا وحذرك وكلامك
وإن كان بليغا لا يغني عن السلحفاة شيئا . وإنه كما يقال إنما
الناس عند البلاء وذو الأمانة عند الأخذ والعطاء والأهل
والولد عند الفاقة والإخوان عند النوائب (٩) . قال الجرذ أرى

١ ويل ٢ المنوط والمتعلق ٣ الغارب ٤ الجراح ٥ انتكاس ٦ الذي برئ ٧ ما أخلقه أي ما أحقه ٨ منكسر ٩ المصائب

من الحيلة أن تذهب أيها الظبي فتقع بمنظر من القانص[1] كأنك جريح ويقع الغراب عليك كأنه يأكل منك. وأسعى أنا فأكون قريبا من القانص مراقبا له لعله يرمي ما معه من الآلة ويدع السلحفاة ويقصدك طامعا فيك راجيا تحصيلك. فإذا دنا منك ففر عنه رويدا بحيث لا ينقطع طمعه فيك وأمكنه[2] من أخذك مرة بعد مرة حتى يبعد عنا. وانح منه هذا النحو[3] ما استطعت فإني أرجو ألا ينصرف إلا وقد قطعت الحبائل عن السلحفاة وأنجو بها. ففعل الظبي والغراب ما أمرهما به الجرذ وتبعهما القانص فاستطرد له[4] الظبي حتى أبعده عن الجرذ والسلحفاة والجرذ مقبل على قطع الحبائل حتى قطعها ونجا بالسلحفاة. وعاد القانص مجهودا لاغبا[5] فوجد حبائله مقطعة. ففكر في أمره مع الظبي فظن أنه خولط في عقله[6]. وفكر في الظبي والغراب الذي كان كأنه يأكل منه[7] وتقريض حبائله. فاستوحش من الأرض وقال هذه أرض جن أو سحرة. فرجع موليا لا يلتمس شيئا ولا

١ بحيث ينظرك ٢ اجعله يتمكن ٣ اي اجر معه هذا المجرى ٤ اظهر له الانهزام مكيدة ٥ تعبا جدا ٦ اختل عقله ٧ الضمير للظبي

يلتفت إليه واجتمع الغراب والظبي والجرذ والسلحفاة إلى عريشهم سالمين آمنين كأحسن ما كانوا عليه

فإذا كان هذا الخلق مع صغره وضعفه قد قدر على التخلص من مرابط الهلكة مرة بعد أخرى بمودته وخلوصها وثبات قلبه عليها واستمتاع[1] بعضه ببعض. فالإنسان الذي قد أعطي العقل والفهم وألهم الخير والشر ومنح التمييز والمعرفة أولى وأحرى بالتواصل والتعاضد[2]

فهذا مثل إخوان الصفاء وائتلافهم في الصحبة

١ التمتع ٢ التعاون

باب

البوم والغربان

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت مثل إخوان الصفاء وتعاونهم. فاضرب لي مثل العدو الذي لا ينبغي أن يغترّ به وإن أظهر تضرعاً وملقاً. وأخبرني عن العدو هل يصير صديقاً وهل يوثق من أمره بشيء وكيف العداوة وما ضررها وكيف ينبغي للملك أن يصنع إذا طلب عدوه مصالحته

قال الفيلسوف من اغترّ بالعدو الذي لا يزال عدواً أصابه ما أصاب البوم من الغربان. قال الملك وكيف كان ذلك

قال بيدبا زعموا أنه كان في جبل من الجبال شجرة من شجر الدوح [1] فيها وكر ألف غراب وعليهن والٍ من أنفسهن. وكان عند هذه الشجرة كهف فيه ألف بومة وعليهن والٍ منهن. فخرج ملك البوم لبعض غدواته [2] وروحاته [3]

١ جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة ٢ خروجه صباحاً ٣ خروجه مساءً

وفي نفسه العداوة لملك الغربان وفي نفس الغربان وملكها مثل ذلك للبوم. فأغار ملك البوم في أصحابه على الغربان في أوكارها فقتل وسبى منها خلقاً كثيراً وكانت الغارة ليلاً. فلما أصبحت الغربان اجتمعت الى ملكها فقلن له قد علمت ما لقينا الليلة من ملك البوم وما منا إلا من أصبح قتيلاً أو جريحاً أو مكسور الجناح أو منتوف الريش أو مهلوب [1] الذنب. وأشد ما أصابنا ضراً جرأتهن علينا وعلمهن بمكاننا وهن عائدات إلينا غير منقطعات عنا لعلمهن بمكاننا فإنما نحن لك أيها الملك فانظر لنا ولنفسك * وكان في الغربان خمسة معترف لهن بحسن الرأي يسند إليهن [2] في الأمور ويلقى إليهن مقاليد [3] الأحوال. وكان الملك كثيراً ما يشاورهن في الأمور ويأخذ آراءهن في الحوادث والنوازل [4] * فقال الملك للأول من الخمسة ما رأيك في هذا الأمر. قال رأي قد سبقتنا إليه العلماء. وذلك أنهم قالوا ليس للعدو الحنق [5] الذي لا طاقة لك به إلا الهرب منه * قال الملك للثاني ما رأيك أنت في هذا الأمر. قال ما رأى هذا من الهرب *

١ منتوف ٢ اي يعتمد عليهن ٣ مفاتيح ٤ الشدائد ٥ ذي الحنق

قال الملك لا أرى لكما ذلك رأيا أن نرحل عن أوطاننا
ونخليها لعدونا من أول نكبة أصابتنا منه ولا ينبغي لنا ذلك
فنكون به لهم عونا علينا. ولكن نجمع أمرنا ونستعد لعدونا
ونذكي[1] نار الحرب فيما بيننا وبين عدونا ونحترس من الغرة[2]
إذا أقبل إلينا فنلقاه مستعدين ونقاتله قتالا غير مراجعين
فيه ولا حامين منه[3] ونتقي أطرافنا أطراف العدو ونتحرز[4]
بحصوننا وندافع عدونا بالأناة[5] مرة وبالجلاد[6] أخرى حيث
نصيب فرصتنا وبغيتنا وقد ثنينا[7] عدونا عنا

ثم قال الملك للثالث ما رأيك أنت. قال لا أرى ما
قالا رأيا ولكن نبث[8] العيون[9] ونبعث الجواسيس ونرسل
الطلائع[10] بيننا وبين عدونا فنعلم هل يريد صلحنا أم يريد
حربنا أم يريد الفدية. فإن رأينا أمره أمر طامع في مال
لم نكره الصلح على خراج نؤديه إليه في كل سنة ندفع به
عن أنفسنا ونطمئن في أوطاننا. فإن من آراء الملوك إذا
اشتدت شوكة[11] عدوهم فخافوا على أنفسهم وبلادهم أن

١ نوقد ٢ الغفلة ٣ آنفين اي متكرهين ٤ اي نتحصن ٥ التأني
٦ اي الحرب ٧ رددنا ٨ نفرق ٩ الرقباء ١٠ جماعات من
الجيش ترسل لتجسس احوال العدو ١١ اي قدرة

يجعلوا الأموال جنة[1] البلاد والملك والرعية * قال الملك
للرابع فما رأيك في هذا الصلح. قال لا أراه رأيا بل أن
نفارق أوطاننا ونصبر على الغربة وشدة المعيشة خير من أن
نضيع أحسابنا[2] ونخضع للعدو الذي نحن أشرف منه مع
أن البوم لو عرضنا ذلك عليهن لما رضين منا إلا بالشطط[3]
ويقال في الأمثال قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك
ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك ويضعف جندك
وتذل نفسك. ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة في الشمس
إذا أملتها قليلا زاد ظلها وإذا جاوزت بها الحد في إمالتها[4]
نقص الظل. وليس عدونا راضيا منا بالدون في المقاربة فالرأي
لنا ولك المحاربة * قال الملك للخامس ما تقول أنت وماذا
ترى القتال أم الصلح أم الجلاء[5] عن الوطن. قال أما
القتال فلا سبيل للمرء إلى قتال من لا يقوى عليه. وقد يقال
إنه من لا يعرف نفسه وعدوه وقاتل من لا يقوى عليه حمل
نفسه على حتفها[6] مع أن العاقل لا يستصغر عدوا. فإن من

١ ترس ٢ اي مفاخرنا ٣ مجاوزة الحد ٤ امالتك اياها
٥ الرحيل ٦ هلاكها

استصغر عدوه اغترّ به ومن اغترّ بعدوه لم يسلم منه. وأنا للبوم شديد الهيبة وإن اضربن عن قتالنا[1] وقد كنت هائبا قبل ذلك. فإن الحازم[2] لا يأمن عدوه على كل حال. فإن كان بعيدا لم يأمن سطوته وإن كان مكثبا[3] لم يأمن وثبته[4] وإن كان وحيدا لم يأمن مكره. وأحزم الأقوام وأكيسهم[5] من كره القتال لأجل النفقة فيه. فإن ما دون القتال النفقة فيه من الأموال والقول والعمل. والقتال النفقة فيه من الأنفس والأبدان وربما اكتفي عنه بالنفقة اليسيرة والكلام اللين. فلا يكوننّ القتال للبوم من رأيك أيها الملك. فإن من قاتل من لا يقوى عليه فقد غرّر بنفسه. فإذا كان الملك محصنا[6] للأسرار متخيرا[7] للوزراء[8] مهيبا في أعين الناس بعيدا من أن يقدر عليه كان خليقا أن لا يسلب صحيح ما أوتي[9] من الخير. وأنت أيها الملك كذلك والملك يزداد برأي وزرائه بصيرة كما يزيد البحر بمجاوره من الأنهار * وقد استشرتني في أمر جوابك مني عنه في بعضه علنيّ وقد أجبتك به وفي بعضه سرّي.

١ اعرضن عنه ٢ الشديد الرأي ٣ قريبا ٤ اي هجمته
٥ من الكيس بمعنى العقل ٦ الذي ٧ اي كاتما ٨ منتقيا ٩ اعطي

وللأسرار منازل منها ما يدخل فيه الرهط[1] ومنها ما يستعان فيه بالقوم ومنها ما يدخل فيه الرجلان. ولست أرى لهذا السرّ على قدر منزلته أن يشارك فيه إلا أربعة آذان ولسانان. فنهض الملك من ساعته وخلا به فاستشاره. فكان أول ما سأله عنه الملك أنه قال هل تعلم ابتداء العداوة ما بيننا وبين البوم. قال نعم كلمة تكلّم بها غراب. قال الملك وكيف كان ذلك

قال الغراب زعموا أن جماعة من الكراكي[2] لم يكن لها ملك فأجمعت أمرها[3] على أن تملّك عليها ملك البوم. فبينما هي في مجمعها إذ وقع لها غراب. فقالت لو جاءنا هذا الغراب لاستشرناه في أمرنا. فلم يلبثن دون أن جاءهن الغراب فاستشرنه. فقال لو أن الطير بادت[4] من الأقاليم[5] وفقد الطاووس والبط والنعام والحمام من العالم لما اضطررتن إلى أن تملّكن عليكن البوم التي هي أقبح الطير منظرا وأسوأها خلقا وأقلها عقلا وأشدها غضبا وأبعدها

١ قوم الرجل وقبيلته ٢ جمع كركي وهو ضرب من الطير ٣ اجتمعت عليه ٤ فنيت وانقطعت ٥ جمع اقليم وهو من البلاد ما اختص باسم وتميز به فمصر اقليم والشام اقليم وقس عليه

من كل رحمة مع عماها وما بها من العشا[1] في النهار ونتن رائحتها حتى لا يطيق طائر أن يتقرب منها. وأشد من ذلك وأقبح أمورها سفهها[2] وسوء أخلاقها. إلا أن ترين أن تملكنها ونكن أنتن تدبرن الأمور دونها برأيكن وعقولكن فإن وزراء الملك إذا كانوا صالحين وكان يطيعهم في آرائهم لم يضر في ملكه كونه جاهلا واستقام أمره. كما فعلت الأرنب التي زعمت أن القمر ملكها وعملت برأيها. قالت الطير وكيف كان ذلك

قال الغراب زعموا أن أرضا من أراضي الفيلة[3] تتابعت عليها السنون[4] وأجدبت[5] وقل ماؤها وغارت عيونها وذوى[6] نبتها ويبس شجرها فأصاب الفيلة عطش شديد. فشكون ذلك إلى ملكهن فأرسل الملك رسله ورواده[7] في طلب الماء في كل ناحية. فرجع إليه بعض الرسل فقال له إني قد وجدت بمكان كذا عينا يقال لها عين القمر كثيرة الماء. فتوجه ملك الفيلة بأصحابه إلى تلك العين ليشرب منها هو

١ ضعف البصر ٢ جهلها وخفتها ٣ جمع فيل ٤ جمع سنة بمعنى الجدب والمحل ٥ امحلت ٦ ذبل ٧ جمع رائد وهو الرجل يرسله القوم ليتخير لهم مكانا

وفيلته. وكانت العين في أرض للأرانب فوطئن[1] الأرانب في أجحارهن فأهلكن منهن كثيرا. فاجتمعت الأرانب إلى ملكها فقلن له قد علمت ما أصابنا من الفيلة. فقال ليحضر منكن كل ذي رأي رأيه. فتقدمت أرنب من الأرانب يقال لها فيروز وكان الملك يعرفها بحسن الرأي والأدب فقالت إن رأى الملك أن يبعثني إلى الفيلة ويرسل معي أمينا ليسمع ويرى ما أقول ويرفعه إلى الملك. فقال لها الملك أنت أمينة ونرضى بقولك فانطلقي إلى الفيلة وبلغي عني ما تريدين. واعلمي أن الرسول برأيه وعقله ولينه وفضله يخبر عن عقل المرسل. فعليك باللين والرفق والحلم والتأني فإن الرسول هو الذي يلين الصدور إذا رفق[2] ويخشن الصدور إذا خرق[3]. ثم إن الأرنب انطلقت في ليلة قمراء[4] حتى انتهت إلى الفيلة. وكرهت أن تدنو منهن مخافة أن يطأنها بأرجلهن فيقتلنها وإن كن غير متعمدات[5] فأشرفت[6] على الجبل ونادت ملك الفيلة

١ دسن ٢ لطف ولان ٣ ضد رفق ٤ مقمرة ٥ قاصدات ٦ اطلت

وقالت له إن القمر أرسلني إليك والرسول غير ملوم فيما يبلغ وإن أغلظ في القول. قال ملك الفيلة فما الرسالة. قالت يقول لك إنه من عرف فضل قوته على الضعفاء فاغتر في ذلك بالأقوياء قياسا لهم على الضعفاء كانت قوته وبالا[1] عليه. وأنت قد عرفت فضل قوتك على الدواب فغرك ذلك فعمدت[2] إلى العين التي تسمى باسمي فشربت منها ورنقتها[3]. فأرسلني إليك فأنذرك أن لا تعود إلى مثل ذلك. وأنه إن فعلت يغشي[4] على بصرك ويتلف نفسك. وإن كنت في شك من رسالتي فهلم إلى العين من ساعتك فإنه موافيك[5] بها. فعجب ملك الفيلة من قول الارنب فانطلق إلى العين مع فيروز الرسول. فلما نظر إليها رأى ضوء القمر فيها فقالت له فيروز الرسول خذ بخرطومك من الماء فاغسل به وجهك واسجد للقمر. فأدخل الفيل خرطومه في الماء فتحرك فخيل إلى الفيل[6] أن القمر ارتعد. فقال ما شأن القمر ارتعد أتراه[7] غضب من إدخالي خرطومي في الماء. قالت

١ سوء عقبى ٢ قصدت ٣ كدرتها ٤ يلقي غشاوة ٥ ملاقيك
٦ توهم ٧ اتظننه

فيروز الارنب نعم. فسجد الفيل للقمر مرة أخرى وتاب إليه مما صنع وشرط أن لا يعود إلى مثل ذلك هو ولا أحد من فيلته

قال الغراب ومع ما ذكرت من أمر البوم فإن فيها الخب[1] والمكر والخديعة وشر الملوك المخادع. ومن ابتلي بسلطان مخادع وخدمه أصابه ما أصاب الارنب والصفرد[2] حين احتكما إلى السنور. قالت الكراكي وكيف كان ذلك

قال الغراب كان لي جار من الصفردة في أصل شجرة قريبة من وكري وكان يكثر مواصلتي. ثم فقدته فلم أعلم أين غاب وطالت غيبته عني. فجاءت أرنب إلى مكان الصفرد فسكنته. فكرهت أن أخاصم الارنب فلبثت فيه زمانا. ثم إن الصفرد عاد بعد زمان فأتى منزله فوجد فيه الارنب فقال لها هذا المكان لي فانتقلي منه. قالت الارنب المسكن لي وتحت يدي وأنت مدع له. فإن كان لك حق فاستعد[3] علي. قال الصفرد القاضي منا قريب فهلمي

١ بمعنى الخداع ٢ طائر يكنى ابا الملح ٣ استعن

بنا إليه. قالت الأرنب ومَن القاضي. قال الصفرد إنّ بساحل البحر سنّورًا متعبّدًا يصوم النهار ويقوم الليل كلّه ولا يؤذي دابّة ولا يهريق[1] دمًا. عيشه من الحشيش وممّا يقذفه إليه البحر. فإن أحببتِ تحاكمنا إليه ورضينا به. قالت الأرنب ما[2] أرضاني به إذا كان كما وصفتَ. فانطلقا إليه. فتبعتهما لأنظر إلى حكومة الصوّام القوّام[3] * ثمّ إنّهما ذهبا إليه فلمّا بصر السنّور بالأرنب والصفرد مقبلين نحوه انتصب قائمًا يصلّي وأظهر الخشوع والتنسّك. فعجبا لما رأيا من حاله ودنوا منه هائبين له وسلّما عليه وسألاه أن يقضي بينهما. فأمرهما أن يقصّا عليه القصّة ففعلا. فقال لهما قد بلغني الكبر وثقلت أذناي[4] فادنوا منّي فأسمعاني ما تقولان. فدنوا منه وأعادا عليه القصّة وسألاه الحكم. فقال قد فهمت ما قلتما وأنا مبتدئكما بالنصيحة قبل الحكومة. فأنا آمركما بتقوى الله وأن لا تطلبا إلّا الحقّ. فإنّ طالب الحقّ هو الذي يفلح وإن قُضي عليه وطالب الباطل مخصوم[5] وإن قُضي له. وليس لصاحب الدنيا من دنياه شيء لا مال

١ يهرق ٢ ما أعجبه ٣ يريد السنور ٤ اي ضعف سمعي ٥ مغلوب في ادعائه

ولا صديق سوى العمل الصالح يقدّمه. فذو العقل حقيق أن يكون سعيه في طلب ما يبقى ويعود نفعه عليه غدًا[1] وأن يمقت بسعيه ما سوى ذلك من أمور الدنيا. فإنّ منزلة المال عند العاقل بمنزلة المدر[2] ومنزلة الناس عنده فيما يحبّ لهم من الخير ويكره من الشرّ بمنزلة نفسه * ثمّ إنّ السنّور لم يزل يقصّ عليهما من جنس هذا وأشباهه حتّى أنسا إليه وأقبلا عليه ودنوا منه فوثب عليهما فقتلهما

قال الغراب ثمّ إنّ البوم تجمع مع ما وصفتُ لكنّ من الشؤم[3] سائر العيوب فلا يكوننّ تمليك البوم من رأيكنّ * فلمّا سمع الكراكيّ ذلك من كلام الغراب أضربن عن تمليك البوم * وكان هناك بوم حاضر قد سمع ما قالوا فقال للغراب لقد وترتني[4] أعظم الترة[5] ولا أعلم أنّه سلف منّي إليك سوء أوجب هذا * وبعد فاعلم أنّ الفأس يقطع بها الشجر فيعود ينبت والسيف يقطع اللحم ثمّ يرجع فيندمل[6]. واللسان لا يندمل جرحه ولا تؤسى[7] مقاطعه[8]. والنصل[9]

١ يوم القيامة ٢ الطين اليابس ٣ خلاف البركة ٤ اصبتني بمكروه ٥ مصدر وتر ٦ يلتحم ٧ تداوى ٨ مواضع قطعه ٩ حديد السهم ونحوه

من السهم يغيب في اللحم ثم ينزع فيخرج . وأشباه النصل من الكلام إذا وصلت إلى القلب لم تنزع ولم تستخرج . ولكل حريق مطفيء . فللنار الماء وللسم الدواء وللحزن الصبر وللعشق الفرقة . ونار الحقد لا تخبو [1] أبدا . وقد غرستم معشر الغربان بيننا وبينكم شجر الحقد والعداوة والبغضاء * فلما قضى البوم مقالته ولى مغضبا فأخبر ملك البوم بما جرى وبكل ما كان من قول الغراب * ثم ان الغراب ندم على ما فرط منه وقال والله لقد خرقت [2] في قولي الذي جلبت به العداوة والبغضاء على نفسي وقومي وليتني لم أخبر الكراكي بهذه الحال ولم أعلمها بهذا الامر . ولعل أكثر الطير قد رأى أكثر مما رأيت وعلم أضعاف ما علمت فمنعها من الكلام بمثل ما تكلمت اتقاء [3] ما لم أتق والنظر فيما لم أنظر فيه من حذار العواقب . ولا سيما إذا كان الكلام أفظع كلام يلقى منه سامعه وقائله المكروه مما يورث الحقد والضغينة . فلا ينبغي أن تسمى أشباه هذا الكلام كلاما ولكن سهاما . وإن الكلام الرديء هو الذي يرمي صحبه

١ تطفأ ٢ من الخرق وهو عدم احسان التصرف في الامور ٣ توقي

في الحقد والعداوة . والعاقل إن كان واثقا بقوته وفضله لا ينبغي أن يحمله ذلك على أن يجلب العداوة على نفسه اتكالا على ما عنده من الرأي والقوة . كما أنه وإن كان عنده الترياق لا ينبغي له أن يشرب السم اتكالا على ما عنده . وصاحب العمل وإن قصر به القول في مستقبل الامر كان فضله بينا واضحا في العاقبة والاختبار . وصاحب حسن القول وإن أعجب الناس منه حسن صفته للامور لم تحمد مغبة [1] أمره . وأنا صاحب القول الذي لا عاقبة له محمودة . أوليس من سفهي [2] اجترائي على التكلم في الامر لم أستشر فيه أحدا ولم أعمل فيه رأيا . ومن لم يستشر النصحاء والاولياء [3] وعمل برأيه من غير تكرار النظر والروية [4] لم يغتبط [5] بمواقع رأيه . فما كان أغناني عما كسبت يومي هذا وما وقعت فيه من الهم * وعاتب الغراب نفسه بهذا الكلام وأشباهه وذهب

هذا ما سألتني عنه من ابتداء العداوة بيننا وبين البوم . وأما القتال فقد علمت رأيي فيه وكراهتي له ولكن عندي من الرأي والحيلة غير القتال ما يكون فيه الفرج إن

١ عاقبة ٢ جهلي ٣ الاصدقاء ٤ اطالة الفكرة ٥ لم يجد نفسه سعيدا

شاء الله تعالى. فإنه رب قوم قد احتالوا بآرائهم حتى
ظفروا بما أرادوا. ومن ذلك حديث الجماعة الذين ظفروا
بالناسك وأخذوا عريضه[1]. قال الملك وكيف كان ذلك

قال الغراب زعموا أن ناسكا اشترى عريضا ضخما
ليجعله قربانا. فانطلق به يقوده فبصر به قوم من المكرة
فائتمروا[2] بينهم أن يأخذوه من الناسك. فعرض له أحدهم
فقال له أيها الناسك ما هذا الكلب الذي معك. ثم عرض
له الآخر فقال لصاحبه ما هذا ناسكا لأن الناسك لا يقود
كلبا. فلم يزالوا مع الناسك على هذا ومثله حتى لم يشك
أن الذي يقوده كلب وأن الذي باعه إياه سحر عينيه.
فأطلقه من يده فأخذه الجماعة المحتالون ومضوا به

وإنما ضربت لك هذا المثل لما أرجو أن نصيب[3] من
حاجتنا بالرفق والحيلة. وإني أريد من الملك أن ينقرني
على رؤوس الأشهاد وينتف ريشي وذنبي ثم يطرحني في
أصل هذه الشجرة ويرتحل الملك وجنوده إلى مكان كذا.
فإني أرجو أني أصبر وأطلع على أحوالهم ومواضع تحصينهم

١ العريض ما أتى عليه سنة من المعز ٢ تشاوروا. ٣ تنال

وأبوابهم فأخادعهم وآتي إليكم لنهجم عليهم وننال منهم
غرضنا إن شاء الله تعالى. قال الملك أتطيب نفسك لذلك.
قال نعم وكيف لا تطيب نفسي لذلك وفيه أعظم الراحات
للملك وجنوده. ففعل الملك بالغراب ما ذكر ثم ارتحل
عنه. فلما جن الليل أقبل ملك البوم وجنده يوقع[1] بالغربان
فلم يجدهم وهمّ بالانصراف. فجعل الغراب يئن ويهمس[2]
حتى سمعه البوم ورأوه يئن فأخبروا ملكهن بذلك.
فقصد نحوه ليسأله عن الغربان. فلما دنا منه أمر بوما أن
يسأله. فقال له من أنت وأين الغربان. فقال أما اسمي
ففلان. وأما ما سألتني عنه فإني أحسبك ترى أن حالي
حال من لا يعلم الأسرار. فقيل لملك البوم هذا وزير ملك
الغربان وصاحب رأيه فنسأله بأي ذنب صنع به ما صنع.
فسئل الغراب عن أمره. فقال إن ملكنا استشار جماعتنا
فيكن وكنت يومئذ بمحضر من الأمر[3]. فقال أيها الغربان ما
ترون في ذلك. فقلت أيها الملك لا طاقة لنا بقتال البوم
لأنهن أشد بطشا وأحد قلبا منا. ولكن أرى أن نلتمس

١ يبطش ٢ يتكلم بصوت خفي ٣ أي حاضرا له

الصلح ثم نبذل الفدية في ذلك فإن قبلت البوم ذلك منا وإلا هربنا في البلاد. وإذا كان القتال بيننا وبين البوم كان خيرا لهن وشرا لنا. فالصلح أفضل من الخصومة. وأمرتهن بالرجوع عن الحرب وضربت لهن الأمثال في ذلك وقلت لهن إن العدو الشديد لا يرد بأسه مثل الخضوع له. ألا ترين إلى الحشيش كيف يسلم من عاصف الريح للينه وميله معها حيث مالت والشجر العاتي[1] يكسر بها ويحطم. فعصينني في ذلك وزعمن أنهن يردن القتال واتهمنني فيما قلت وقلن إنك قد مالأت البوم[2] علينا. ورددن قولي ونصيحتي وعذبنني بهذا العذاب وتركني الملك وجنوده وارتحل ولا علم لي بهن بعد ذلك

فلما سمع ملك البوم مقالة الغراب قال لبعض وزرائه ما تقول في الغراب وما ترى فيه. قال ما أرى إلا المعاجلة له بالقتل فإن هذا أفضل عدد الغربان[3] وفي قتله لنا راحة من مكره وفقده على الغربان شديد. فإذا قتل ثل[4] ملكهم وتقوض[5]. وما أراه إلا فتحا[6] وقد أرسله الله إليك. ويقال

١ المتكبر ٢ اعتصبت معهن ٣ اي ما يعتمدون عليه ٤ هدم
٥ نقض وانهد ٦ اي نصرا وظفرا

من ظفر بالساعة التي فيها ينجح العمل ثم لا يعاجله بالذي ينبغي له فليس بحكيم. فإن الأمور مرهونة بأوقاتها. ومن طلب الأمر الجسيم فأمكنه ذلك فأغفله[1] فاته الأمر. وهو خليق أن لا تعود الفرصة ثانية. ومن وجد عدوه ضعيفا ولم ينجز[2] قتله ندم إذا استقوى ولم يقدر عليه * قال الملك لوزير آخر ما ترى أنت في هذا الغراب. قال أرى أن لا تقتله لأنه قد لقي من أصحابه ما تراه فهو خليق أن يكون دليلا لك على عوراتهم[3] ومعينا لك على ما فيه هلاكهم. وإن العدو الذليل الذي لا ناصر له أهل لأن يؤمن ولا سيما المستجير الخائف. والعدو إذا صدرت منه المنفعة ولو كان غير متعمد لها أهل لأن يصفح عنه بسببها. كالتاجر الذي عطف على سارق لاصطلاحه مع امرأته بسببه. قال الملك وكيف كان ذلك

قال الوزير زعموا أنه كان تاجر كثير المال والمتاع وكان بينه وبين امرأته وحشة[4]. وإن سارقا تسور بيت التاجر[5] فدخل فوجده نائما ووجد امرأته مستيقظة

١ تركه ٢ اي يعجل ٣ مواضع الخلل منهم ٤ نفور ومقاطعة ٥ وثب عن سوره

فذعرت[1] من السارق ووثبت إلى التاجر فالتزمته[2] وايقظته ولم يكن يجري بينهما كلام فاستيقظ التاجر وتكلما وانجلت الوحشة من بينهما. ثم بصر بالسارق فقال أيها السارق أنت في حل مما أخذت[3] من مالي ومتاعي ولك الفضل بما أصلحت بيننا * قال ملك البوم لوزير آخر من وزرائه ما تقول في أمر الغراب. قال أرى أن تستبقيه[4] وتحسن إليه فإنه خليق أن ينصحك. والعاقل يرى معاداة بعض أعدائه بعضا ظفرا حسنا. ويرى اشتغال بعض أعدائه ببعض خلاصا لنفسه منهم ونجاة كنجاة الناسك من اللص والشيطان حين اختلفا عليه. قال الملك وكيف كان ذلك

قال الوزير زعموا أن ناسكا أصاب من رجل بقرة حلوبة فانطلق بها يقودها إلى منزله. فعرض له لص أراد سرقتها وتبعه شيطان يريد اختطافه وقد تزيا له بزي إنسان. فقال الشيطان للص من أنت. قال أنا اللص أريد أن أسرق هذه البقرة من الناسك إذا نام فمن أنت. قال أنا الشيطان أريد اختطافه إذا نام وأذهب به فانتهيا على هذا إلى المنزل

١ خافت ٢ تمسكت به ٣ اي حلال لك ما اخذته ٤ تبقيه حيا

فدخل الناسك منزله ودخلا خلفه وأدخل البقرة فربطها في زاوية المنزل وتعشى ونام. فأقبل اللص والشيطان يأتمران فيه واختلفا على من يبدأ بشغله أولا. فقال الشيطان إن أنت بدأت بأخذ البقرة ربما استيقظ وصاح واجتمع الناس فلا أقدر على أخذه فأنظرني ريثما[1] آخذه وشأنك وما تريد. فأشفق[2] اللص إن بدأ الشيطان باختطافه أن يستيقظ فلا يقدر على أخذ البقرة. فقال لا بل أنظرني[3] أنت حتى آخذ البقرة وشأنك وما تريد. قال الشيطان رويدا[4] حتى يستغرق الناس في النوم فنظفر بهما جميعا. فلم يزالا في المجادلة هكذا حتى نادى اللص أيها الناسك انتبه فهذا الشيطان يريد اختطافك ونادى الشيطان أيها الناسك انتبه فهذا اللص يريد أن يسرق بقرتك. فانتبه الناسك وجيرانه بأصواتهما وهرب الخبيثان

فقال الوزير الأول الذي أشار بقتل الغراب أظن أن الغراب قد خدعكن ووقع كلامه في نفس الغبي منكن موقعه فتردن أن تضعن الرأي غير موضعه. فمهلا مهلا

١ مهلة ما ٢ خاف ٣ امهلني ٤ مهلا

أيها الملكُ عن هذا الرأي ولا تكوننَّ لما تسمع أشدَّ تصديقاً منك لما ترى كالرجلِ الذي كذَّب بما رأى وصدَّق بما سمع وانخدع بالمحال. قال الملكُ وكيف كان ذلك

قال الوزيرُ زعموا أنه كان رجلٌ نائماً وحدهُ إحدى الليالي في بيتهِ وإذا اللصوصُ قد دخلوا عليهِ البيتَ وأخذوا في جمعِ ما فيهِ من المتاعِ حتى أفضوا(1) إلى حيثُ هو نائمٌ. فانتبه عليهم وخاف أن يقوم إليهم حذارَ أن يبطشوا بهِ. وكان للحجرةِ التي هو فيها بابٌ آخرُ إلى الطريقِ. فقال في نفسهِ الرأيُ أن لا أشعرهم بانتباهي ولا أذعرهم حتى يفرغوا مما يريدون أخذهُ ويخرجوهُ إلى حيثُ يريدون احتمالهُ فأخرجُ من البابِ الآخرِ وأدعو الجيرانَ فنفجأهم(2) ونوقعَ(3) بهم. فلبث على فراشهِ متناوماً(4) حتى فرغ اللصوصُ مما أرادوا جمعهُ وخرجوا يريدون حملهُ فهمَّ الرجلُ بالقيامِ فشعروا بحركةٍ منهُ فهمس إليهم رئيسهم(5) أن قفوا ولا ترتاعوا وتعالوا نحتلْ لهُ بحيلةٍ نخدعهُ بها ولا يذهبُ تعبنا ضياعاً. وأنا الآن رافعٌ صوتي ومخاطبكم بشيءٍ فصوِّبوا

١ انتهوا ٢ نبغتهم ٣ نبطش ٤ مظهراً انه نائم ٥ كلمهم بصوت خفيف

فيهِ رأيي وأجيبوني إليهِ. قالوا نعم. فرفع اللصُّ صوتهُ بحيثُ يسمعُ الرجلُ وقال لأصحابهِ إني أرى هذهِ الأحمالَ ثقيلةً شاقةً(1) وما أرى قيمتها تفي بحملها(2) والمخاطرةِ فيها. وقد ظهر لي أنَّ هذا الرجلَ سيِّئُ الحالِ وقد أخذتني عليهِ الشفقةُ والرأفةُ وراجعتُ رأيي فيهِ فرأيتُ أن ندعَ لهُ متاعهُ فإنهُ يُحسبُ علينا سرقةً وما هو بشيءٍ يستحقُّ العناءَ ولا لنا فيهِ كبيرُ فائدةٍ. وقد كنتُ أسمعُ من بعضِ مشاهيرِ اللصوصِ يقولُ من عفَّ عن متاعِ فقيرٍ فلم يسرقهُ وهو قادرٌ عليهِ غفر لهُ ذلك سرقةَ مئةِ غنيٍّ * وإنَّ أولى السرقةِ وأحلَّها سرقةُ الأغنياءِ ولا سيما ذوي البخلِ والحرصِ منهم الذين ما بيوتهم وخزائنهم إلا مدافنُ لأموالٍ حبسوها فلا انتفعوا بها ولا تركوها للناسِ. فهلمَّ بنا إلى أحدِ هؤلاءِ ودعوا ذا الحطامِ(3) الذي لا خيرَ فيهِ واغتنموا أجرَ هذا الرجلِ المسكينِ. فقالوا كلهم صدقتَ وأحسنتَ وتظاهروا أنهم يفكُّون الأحمالَ وخرجوا وكمنوا ينتظرون نومَ الرجلِ. وإنَّ الرجلَ لما سمع كلامهم وثق بهِ واطمأنَّ

١ صعبة ٢ توازيه ٣ اي الشيء الرثيث

إليه واعتقد أنهم خرجوا فسكن ونام . وأبت اللصوص حتى أيقنوا أنه قد نام فثاروا إلى الأحمال فاحتملوها وفازوا بها

وإنما ضربت لك هذا المثل إرادة أن لا تكون كذلك الرجل الذي كذب بما رأى وصدق بما سمع * فلم يلتفت الملك إلى قوله وأمر بالغراب أن يحمل إلى منازل البوم ويكرم ويستوصى به خيرا. ثم إن الغراب قال للملك يوما وعنده جماعة من البوم وفيهن الوزير الذي أشار بقتله أيها الملك قد علمت ما جرى علي من الغربان وإنه لا يستريح قلبي دون الأخذ بثأري منهن . وإني قد نظرت في ذلك فإذا بي لا أقدر على ما رمت لأني غراب . وقد روي عن العلماء أنهم قالوا من طابت نفسه بأن يحرقها فقد قرب لله أعظم القربان لا يدعو عند ذلك بدعوة إلا استجيب له . فإن رأى الملك أن يأمرني فأحرق نفسي وأدعو ربي أن يحولني بوما فأكون أشد عداوة للغربان وأقوى بأسا عليهن لعلي أنتقم منهن . فقال الوزير الذي أشار بقتله ما أشبهك في خير ما تظهر وشر ما تضمر بالخمرة الطيبة الطعم

١ هبوا ونهضوا

والريح المنقع فيها السم . أرأيت لو أحرقنا جسمك بالنار أن جوهرك وطبعك متغير . أوليست أخلاقك تدور معك حيث درت وتصير بعد ذلك إلى أصلك وطينتك . كالفأرة التي خيرت في الأزواج بين الشمس والريح والسحاب والجبل فلم تزل تخيرهم حتى رجعت إلى أصلها وتزوجت الجرذ . قيل له وكيف كان ذلك

قال زعموا أنه كان ناسك مستجاب الدعوة . فبينما هو ذات يوم جالس على ساحل البحر إذ مرت به حدأة في رجلها درص فأرة . فوقعت منها عند الناسك وأدركته لها رحمة فأخذها ولفها في ورقة وذهب بها إلى منزله . ثم خاف أن تشق على أهله تربيتها فدعا ربه أن يحولها جارية فتحولت جارية حسناء . فانطلق بها إلى امرأته فقال لها هذه ابنتي فاصنعي معها صنيعك بولدي * فلما كبرت قال لها الناسك يا بنية اختاري من أحببت حتى أزوجك إياه . فقالت أما إذا خيرتني فإني أختار زوجا يكون أقوى الأشياء . قال الناسك لعلك تريدين الشمس . ثم انطلق إلى الشمس

١ المنقع ٢ تنتقي منهم ٣ طائر ٤ الدرص ولد الفأرة ٥ تصعب

فقال أيها الخلق العظيم لي جارية وقد طلبت زوجا يكون أقوى الأشياء فهل أنت متزوجها. فقالت الشمس أنا أدلك على من هو أقوى مني السحاب الذي يغطيني ويرد حر شعاعي ويكسف أشعة أنواري. فذهب الناسك إلى السحاب فقال له ما قال للشمس. فقال السحاب وأنا أدلك على من هو أقوى مني فاذهب إلى الريح التي تقبل بي وتدبر[1] وتذهب بي شرقا وغربا. فجاء الناسك إلى الريح فقال لها كقوله للسحاب. فقالت وأنا أدلك على من هو أقوى مني وهو الجبل الذي لا أقدر على تحريكه. فمضى إلى الجبل فقال له القول فأجابه الجبل وقال له أنا أدلك على من هو أقوى مني الجرذ الذي لا أستطيع الامتناع منه إذا خرقني واتخذني مسكنا. فانطلق الناسك إلى الجرذ فقال له هل أنت متزوج هذه الجارية. فقال وكيف أتزوجها ومسكني ضيق. وإنما يتزوج الجرذ الفأرة. فدعا الناسك ربه أن يحولها فأرة كما كانت وذلك برضى الجارية. فأعادها الله إلى عنصرها[2] الأول فانطلقت مع الجرذ

١ خلاف تقبل ٢ أصلها

فهذا مثلك أيها المخادع. فلم يلتفت ملك البوم إلى ذلك القول ورفق بالغراب ولم يزدد له إلا إكراما. حتى إذا طاب عيشه ونبت ريشه واطلع على ما أراد أن يطلع عليه راغ[1] روغة فأتى أصحابه بما رأى وسمع * فقال للملك إني قد فرغت مما كنت أريد ولم يبق إلا أن تسمع وتطيع. قال له أنا والجند تحت أمرك فاحتكم[2] كيف شئت. قال الغراب إن البوم بمكان كذا في جبل كثير الحطب. وفي ذلك الموضع قطيع من الغنم مع رجل راع. ونحن مصيبون[3] هناك نارا ونلقيها في أثقاب[4] البوم ونقذف عليها من يابس الحطب ونتراوح عليها[5] ضربا بأجنحتنا حتى تضطرم النار في الحطب فمن خرج منهن احترق ومن لم يخرج مات بالدخان موضعه. ففعل الغربان ذلك فأهلكن البوم قاطبة[6] ورجعن إلى منازلهن سالمات آمنات

ثم إن ملك الغربان قال لذلك الغراب كيف صبرت

١ مال بحيلة مكرا وخديعة ٢ احكم بما تريد ٣ واجدون ٤ جمع ثقب وهو الخرق النافذ ٥ نجلب إليها الريح ٦ أي جميعا

على صحبة البوم ولا صبر للأخيار على صحبة الأشرار. قال الغراب إن ما قلته أيها الملك لكذلك. فإنه يقال لذع النار أيسر على المرء من صحبة الأشرار والإقامة معهم. ولكن العاقل إذا أتاه الأمر الفظيع العظيم الذي يخاف من عدم تحمله الجائحة [1] على نفسه وقومه لم يجزع [2] من شدة الصبر عليه لما يرجو من أن يعقبه صبره حسن العاقبة وكثير الخير. فلم يجد لذلك ألما ولم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه حتى يبلغ حاجته فيغتبط [3] بخاتمة أمره وعاقبة صبره * فقال الملك أخبرني عن عقول البوم. قال الغراب لم أجد فيهن عاقلا إلا الذي كان يحثهن على قتلي وكان حرضهن على ذلك مرارا فكن أضعف شيء رأيا فلم ينظرن في أمري ويذكرن أني قد كنت ذا منزلة في الغربان وأني أعد من ذوي الرأي. ولم يتخوفن مكري وحيلتي ولا قبلن من الناصح الشفيق ولا أخفين دوني أسرارهن. وقد قالت العلماء ينبغي للملك أن يحصن أموره من أهل النميمة ولا يطلع

١ الشدة العظيمة تجتاح الناس اي تهلكهم وتستأصلهم ٢ خلاف يصبر
٣ يعد نفسه سعيدا

أحدا منهم على مواضع سره. وقد قيل ينبغي للمرء أن يتحفظ من عدوه في كل شيء حتى في الماء الذي يشربه ويغتسل به والفراش الذي ينام عليه والحلة [1] التي يلبسها والدابة التي يركبها. ولا يأمن على نفسه إلا الثقة [2] الأمين السالم الباطن والظاهر ويكون بعد ذلك كله على حذر منه لأن عدوه لا يتوصل إليه إلا من جهة ثقاته فربما كان أحدهم لعدوه صديقا فيصل العدو إلى مراده منه * فقال الملك ما أهلك البوم في نفسي [3] إلا البغي [4] وضعف رأي الملك وموافقته وزراء السوء. فقال الغراب صدقت أيها الملك إنه قلما ظفر أحد بغنى ولم يطغ [5]. وقلما حرص الرجل على النساء ولم يفتضح. وقل من أكثر من الطعام ولم يمرض. وقل من وثق بوزراء السوء وسلم من أن يقع في المهالك. وكان يقال لا يطمعن ذو الكبر [6] في حسن الثناء. ولا الخب [7] في حسن الصديق. ولا السيئ الآداب في الشرف. ولا الشحيح في البر. ولا الحريص في قلة الذنوب.

١ الثوب ٢ الموثوق به ٣ اى رايي ٤ الظلم ٥ اي يبطر
٦ الكبرياء ٧ الخداع

وَلَا ٱلْمَلِكُ ٱلْمُخْتَالُ(١) ٱلْمُتَهَاوِنُ بِٱلْأُمُورِ ٱلضَّعِيفُ ٱلْوُزَرَاءِ فِي ثَبَاتِ مُلْكِهِ وَصَلَاحِ رَعِيَّتِهِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ لَقَدِ ٱحْتَمَلْتَ مَشَقَّةً شَدِيدَةً فِي تَصَنُّعِكَ(٢) لِلْبُومِ وَتَضَرُّعِكَ إِلَيْهِنَّ. قَالَ ٱلْغُرَابُ إِنَّهُ مَنِ ٱحْتَمَلَ مَشَقَّةً يَرْجُو نَفْعَهَا وَنَحَّى(٣) عَنْ نَفْسِهِ ٱلْأَنَفَةَ(٤) وَٱلْحَمِيَّةَ(٥) وَوَطَّنَهَا(٦) عَلَى ٱلصَّبْرِ حَمِدَ غِبَّ(٧) رَأْيِهِ. وَإِنَّهُ يُقَالُ لَوْ أَنَّ رَجُلًا حَمَلَ عَدُوَّهُ عَلَى عُنُقِهِ وَهُوَ يَرْجُو هَلَاكَهُ وَرَاحَتَهُ مِنْهُ لَكَانَ ذٰلِكَ عِنْدَهُ خَفِيفًا هَيِّنًا. كَمَا صَبَرَ ٱلْأَسْوَدُ(٨) عَلَى حَمْلِ مَلِكِ ٱلضَّفَادِعِ عَلَى ظَهْرِهِ وَشَبِعَ بِذٰلِكَ وَعَاشَ. قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْغُرَابُ زَعَمُوا أَنَّ أَسْوَدَ مِنَ ٱلْحَيَّاتِ كَبِرَ وَضَعُفَ بَصَرُهُ وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْدًا وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى طَعَامٍ. وَإِنَّهُ ٱنْسَابَ(٩) يَلْتَمِسُ شَيْئًا يَعِيشُ بِهِ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى عَيْنٍ كَثِيرَةِ ٱلضَّفَادِعِ قَدْ كَانَ يَأْتِيهَا قَبْلَ ذٰلِكَ فَيُصِيبُ مِنْ ضَفَادِعِهَا رِزْقَهُ. فَرَمَى نَفْسَهُ قَرِيبًا مِنْهُنَّ مُظْهِرًا لِلْكَآبَةِ وَٱلْحُزْنِ. فَقَالَ لَهُ أَحَدُهَا مَا لِي أَرَاكَ أَيُّهَا ٱلْأَسْوَدُ كَئِيبًا

١ المتكبر ٢ تكلفك حسن الظاهر ٣ ابعد ٤ عزة النفس ٥ بمعنى الانفة ٦ اي ثبتها ٧ عاقبة ٨ الحية العظيمة ٩ الانساب سير الحية

حَزِينًا. قَالَ وَمَنْ أَحْرَى(١) بِطُولِ ٱلْحُزْنِ مِنِّي. وَإِنَّمَا كَانَ أَكْثَرُ مَعِيشَتِي مِمَّا كُنْتُ أُصِيبُ مِنَ ٱلضَّفَادِعِ. فَٱبْتُلِيتُ بِبَلَاءٍ حُرِّمَتْ عَلَيَّ ٱلضَّفَادِعُ مِنْ أَجْلِهِ حَتَّى إِنِّي إِذَا ٱلْتَقَيْتُ بِبَعْضِهَا لَا أَقْدِرُ عَلَى إِمْسَاكِهِ * فَٱنْطَلَقَ ٱلضِّفْدَعُ إِلَى مَلِكِ ٱلضَّفَادِعِ فَبَشَّرَهُ بِمَا سَمِعَ مِنَ ٱلْأَسْوَدِ. فَأَتَى مَلِكُ ٱلضَّفَادِعِ إِلَى ٱلْأَسْوَدِ فَقَالَ لَهُ كَيْفَ كَانَ أَمْرُكَ. قَالَ سَعَيْتُ مُنْذُ أَيَّامٍ فِي طَلَبِ ضِفْدِعٍ وَذٰلِكَ عِنْدَ ٱلْمَسَاءِ فَٱضْطَرَرْتُهُ إِلَى بَيْتِ نَاسِكٍ وَدَخَلْتُ فِي أَثَرِهِ فِي ٱلظُّلْمَةِ وَفِي ٱلْبَيْتِ ٱبْنٌ لِلنَّاسِكِ فَأَصَبْتُ إِصْبَعَهُ فَظَنَنْتُ أَنَّهَا ٱلضِّفْدِعُ فَلَدَغْتُهُ فَمَاتَ. فَخَرَجْتُ هَارِبًا فَتَبِعَنِي ٱلنَّاسِكُ فِي أَثَرِي وَدَعَا عَلَيَّ وَلَعَنَنِي وَقَالَ كَمَا قَتَلْتَ ٱبْنِيَ ٱلْبَرِيءَ ظُلْمًا وَتَعَدِّيًا أَدْعُو عَلَيْكَ أَنْ تَذِلَّ وَتَصِيرَ مَرْكَبًا لِمَلِكِ ٱلضَّفَادِعِ فَلَا تَسْتَطِيعَ أَخْذَهَا وَلَا أَكْلَ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْكَ مَلِكُهَا. فَأَتَيْتُ إِلَيْكَ لِتَرْكَبَنِي مُقِرًّا بِذٰلِكَ رَاضِيًا بِهِ * فَرَغِبَ مَلِكُ ٱلضَّفَادِعِ فِي رُكُوبِ ٱلْأَسْوَدِ وَظَنَّ أَنَّ ذٰلِكَ فَخْرٌ لَهُ وَشَرَفٌ وَرِفْعَةٌ فَرَكِبَهُ وَٱسْتَطَابَ ذٰلِكَ. فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسْوَدُ قَدْ عَلِمْتَ أَيُّهَا

١ اولى

الملك أني محروم فاجعل لي رزقاً أعيش به. قال ملك الضفادع لعمري لا بد لك من رزق يقوم بك إذا كنت مركبي فأمر له بضفدعين يؤخذان في كل يوم ويدفعان إليه. فعاش بذلك ولم يضره خضوعه للعدو الذليل بل انتفع بذلك وصار له رزقاً ومعيشة

وكذلك كان صبري على ما صبرت عليه التماساً لهذا النفع العظيم الذي اجتمع لنا فيه الأمن والظفر وهلاك العدو والراحة منه. ووجدت صرعة [1] اللين والرفق أسرع وأشد استئصالاً للعدو من صرعة المكابرة والعناد. فإن النار لا تزيد بحدتها وحرها إذا أصابت الشجرة على أن تحرق ما فوق الأرض منها. والماء ببرده ولينه يستأصل ما تحت الأرض منها. ويقال أربعة أشياء لا يستقل قليلها النار والمرض والعدو والدين * قال الغراب وكل ذلك كان من رأي الملك [2] وأدبه وسعادة جده [3]. وإنه كان يقال إذا طلب اثنان أمراً ظفر به منهما أفضلهما مروءة. فإن اعتدلا في المروءة فأشدهما عزماً. فإن استويا في العزم

١ اي اهلاك ٢ اي رأيك ٣ حظه وتوفيقه

فأسعدهما جداً * وكان يقال من حارب الملك الحازم الأريب [1] المتضرع [2] الذي لا تبطره السراء ولا تدهشه الضراء كان هو داعي الحتف [3] إلى نفسه. ولا سيما إذا كان مثلك أيها الملك العالم بفروض الأعمال ومواضع الشدة واللين والغضب والرضى والمعاجلة والأناة [4] الناظر في أمر يومه وغده وعواقب أعماله. قال الملك للغراب بل برأيك وعقلك ونصيحتك ويمن [5] طالعك [6] كان ذلك. فإن رأي الرجل الواحد العاقل الحازم أبلغ في هلاك العدو من الجنود الكثيرة من ذوي البأس والنجدة [7] والعدد والعدة [8] * وإن من عجيب أمرك عندي طول لبثك [9] بين ظهراني [10] البوم تسمع الكلام الغليظ ثم لم تسقط بينهن بكلمة. قال الغراب لم أزل متمسكاً بأدبك أيها الملك أصحب البعيد والقريب بالرفق واللين والمبالغة والمواتاة [11]. قال الملك أصبحت وقد وجدتك صاحب العمل

١ العاقل ٢ اي الحسن الاحتيال ٣ الهلاك ٤ التأني ٥ بركة ٦ من اصطلاحات المنجمين والمراد ما يتعلق بالسعد والنحس ٧ الشدة والبطش ٨ المراد عدة الحرب وهي ادواتها ٩ اقامتك ١٠ في وسط ومعظم ١١ الملاينة والموافقة

ووجدت غيرك من الوزراء أصحاب أقاويل ليس لها عاقبة حميدة. فقد من الله علينا بك منة عظيمة لم نكن قبلها نجد لذة الطعام والشراب ولا النوم ولا القرار. وكان يقال لا يجد المريض لذة الطعام والنوم حتى يبرأ. ولا الرجل الشره الذي قد أطمعه سلطانه في مال وعمل في يده حتى ينجزه له. ولا الرجل الذي قد ألح[1] عليه عدوه وهو يخافه صباحا ومساء حتى يستريح منه قلبه. ومن وضع الحمل الثقيل عن يده أراح نفسه ومن أمن عدوه ثلج[2] صدره * قال الغراب أسأل الله الذي أهلك عدوك أن يمتعك بسلطانك وأن يجعل في ذلك صلاح رعيتك ويشركهم في قرة العين[3] بملكك. فإن الملك إذا لم يكن في ملكه قرة عيون رعيته فمثله مثل زنمة[4] العنز التي يمصها الجدي وهو يحسبها حلمة الضرع[5] فلا يصادف فيها خيرا.

قال الملك أيها الوزير الصالح كيف كانت سيرة البوم وملكها في حروبها وفيما كانت فيه من أمورها * قال الغراب

١ اي شدد ٢ اطمأن وحقيقته برد ٣ اي السرور ٤ قطعة لحم طويلة تتدلى من عنق العنز ٥ الضرع لذات الظلف كالثدي للمرأة

كانت سيرته سيرة بطر وأشر[1] وخيلاء[2] وعجز وفخر مع ما فيه من الصفات الذميمة. وكل أصحابه ووزرائه شبيه به إلا الوزير الذي كان يشير عليه بقتلي فإنه كان حكيما أريبا فيلسوفا حازما قلما يرى مثله في علو الهمة وكمال العقل وجودة الرأي * قال الملك وأي خصلة كانت أدل على عقله * قال خلتان إحداهما رأيه في قتلي والأخرى أنه لم يكن يكتم صاحبه نصيحته وإن استثقلها. ولم يكن كلامه كلام عنف وقسوة ولكنه كلام رفق ولين حتى إنه ربما أخبره ببعض عيوبه ولا يصرح بحقيقة الحال بل يضرب له الأمثال ويحدثه بعيب غيره فيعرف عيبه فلا يجد ملكه إلى الغضب عليه سبيلا. وكان مما سمعته يقول لملكه أنه قال لا ينبغي للملك أن يغفل عن أمره فإنه أمر جسيم لا يظفر به من الناس إلا القليل ولا يدرك إلا بالحزم. فإن الملك عزيز فمن ظفر به فليحسن حفظه وتحصينه فإنه قد قيل إنه في قلة بقائه بمنزلة قلة بقاء الظل عن ورق النيلوفر[4] وهو في خفة زواله وسرعة إقباله وإدباره كالريح وفي

١ اشد بطرا ٢ كبرياء ٣ خشونة ٤ ضرب من الرياحين

قلة ثباته كاللبيب (١) مع اللئام وفي سرعة اضمحلاله كحباب (٢) الماء من وقع المطر

فهذا مثل أهل العداوة الذين لا ينبغي أن يغتر بهم وإن هم أظهروا تودداً وتضرعاً

باب
القرد والغيلم (٣)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الرجل الذي يطلب الحاجة فإذا ظفر بها أضاعها

قال الفيلسوف إن طلب الحاجة أهون من الاحتفاظ بها . ومن ظفر بالحاجة ثم لم يحسن القيام بها أصابه ما أصاب الغيلم . قال الملك وكيف كان ذلك

قال بيدبا زعموا أن قرداً كان ملك القردة يقال له

١ العاقل ٢ نفاخات ٣ ذكر السلحفاة

ماهر وكان قد كبر وهرم . فوثب عليه قرد شاب من بيت المملكة فتغلب عليه وأخذ مكانه فخرج هارباً على وجهه حتى انتهى إلى الساحل فوجد شجرة من شجر التين فارتقى إليها وجعلها مقامه (١) . فبينما هو ذات يوم يأكل من ذلك التين إذ سقطت من يده تينة في الماء فسمع لها صوتاً وإيقاعاً (٢) فجعل يأكل ويرمي في الماء فأطربه ذلك فأكثر من تطريح التين في الماء . وثم (٣) غيلم كلما وقعت تينة أكلها . فلما كثر ذلك ظن أن القرد إنما يفعل ذلك لأجله فرغب في مصادقته وأنس إليه وكلمه وألف كل واحد منهما صاحبه . وطالت غيبة الغيلم عن زوجته فجزعت (٤) عليه وشكت ذلك إلى جارة لها وقالت قد خفت أن يكون قد عرض له عارض سوء فاغتاله (٥) . فقالت لها إن زوجك في الساحل قد ألف قرداً وألفه القرد فهو مؤاكله ومشاربه (٦) وهو الذي قطعه عنك ولا يقدر أن يقيم عندك حتى تحتالي بهلاك القرد . قالت وكيف أصنع . قالت جارتها إذا وصل

١ مكان اقامته ٢ من ايقاع الاصوات في الغناء وهو اتفاقها
٣ هناك ٤ اي قلقت ٥ اهلكه ٦ اكل وشارب معه

البيت فتمارضي (1) فإذا سألك عن حالك فقولي إن الأطباء
وصفوا لي قلب قرد. ثم إن الغيلم انطلق بعد مدة إلى منزله
فوجد زوجته سيئة الحال مهمومة فقال لها ما لي أراك هكذا.
فأجابته جارتها وقالت إن زوجتك مريضة مسكينة. وقد
وصف لها الأطباء قلب قرد وليس لها دواء سواه. قال الغيلم
هذا أمر عسير من أين لنا قلب قرد ونحن في الماء وبقي
متحيرا. ثم قال في نفسه ما لي قدرة على ذلك إلا أن أغدر
بخليلي وصاحبي وإثمه (2) عندي شديد وأشد من ذلك هلاك
زوجتي لأن الزوجة الصالحة لا يعدلها شيء لأنها عون على
أمر الدنيا والآخرة.

ثم عاد إلى الساحل حزينا كئيبا مفكرا في نفسه
كيف يصنع. فقال له القرد يا أخي ما حبسك عني. قال
له الغيلم ما حبسني عنك إلا حيائي فلم أعرف كيف
أكافئك على إحسانك إلي. وأريد أن تتم إحسانك إلي
بزيارتك لي في منزلي فإني ساكن في جزيرة طيبة الفاكهة
فاركب ظهري لأسبح بك فإن أفضل ما يلتمسه المرء من

١ أظهري أنك مريضة ٢ ذنبه

أخلائه أن يغشوا (1) منزله ويتناولوا من طعامه وشرابه ويعرفهم
أهله وولده وجيرانه. وأنت لم تطأ (2) منزلي ولم تذق لي
طعاما ولا شرابا وذلك منقصة وعار علي. قال له القرد وما
يريد المرء من خليله إلا أن يبذل له وده ويصفي له قلبه
وما سوى ذلك فضول (3). قال الغيلم نعم غير أن الاجتماع
على الطعام والشراب أكد (4) للمودة والأنس. لأنا نرى
الدواب إذا اعتلفت معا ألف بعضها بعضا. وكان يقال لا
ينبغي للعاقل أن يلح على إخوانه في المسألة فإن العجل إذا
أكثر مص ضرع (5) أمه نطحته. فرغب القرد في الذهاب
معه فقال حبا وكرامة ونزل فركب ظهر الغيلم فسبح به. حتى
إذا تجوز قليلا عرض له قبح ما أضمر في نفسه من الغدر فنكس
رأسه ووقف وقال في نفسه كيف أغدر بخليلي لكلمة قالتها
امرأة من الجاهلات. وما أدري لعل جارتي قد خدعتني
وكذبت بما روت عن الأطباء. فإن الذهب يجرب بالنار
والرجال بالأخذ والعطاء والدواب بالحمل والجري ولا يقدر

١ أي يزوروا ٢ تدس ٣ زيادة بلا فائدة ٤ تفضيل من أكده
يعني أوثقه أي أشد تأكيدا ٥ الضرع مر تفسيره قريبا

أحدٌ أن يجرّب مكرَ النساء ولا يقدرُ على كيدهنّ وكثرةِ حيلهنّ

فقال له القردُ ما لي أراك مهتمًّا . فقال الغيلمُ إنما همّي لأني ذكرتُ أن زوجتي شديدةُ المرضِ وذلك يمنعني من كثيرٍ مما أريدُ أن أبلغَهُ من كرامتك وملاطفتك . قال القردُ إنّ الذي أعرفُ من حرصِك على كرامتي يكفيك مؤونةَ التكلُّف . قال الغيلمُ أجل [1] . ومضى بالقردِ ساعةً ثمّ توقّفَ به ثانيةً . فساءَ ظنُّ القردِ وقال في نفسِه ما احتباسُ الغيلمِ وإبطاؤهُ إلّا لأمرٍ . ولستُ آمنًا أن يكونَ قلبُهُ قد تغيّر لي وحالَ [2] عن مودّتي فأرادَ بي سوءًا . فإنّهُ لا شيءَ أخفُّ وأسرعُ تقلّبًا من القلبِ . وقد يُقالُ ينبغي للعاقلِ أن لا يغفلَ عن التماسِ ما في نفسِ أهلِهِ وولدِهِ وإخوانِهِ وصديقِهِ عند كلِّ أمرٍ وفي كلِّ لحظةٍ وكلمةٍ وعندَ القيامِ والقعودِ وعلى كلِّ حالٍ . فإنّ ذلك كلَّهُ يشهدُ على ما في القلوبِ . وقد قالت العلماءُ إذا دخلَ قلبَ الصديقِ من صديقِهِ ريبةٌ فليأخذْ بالحزمِ في التحفّظِ منهُ وليتفقّدْ ذلك في لحظاتِهِ وحالاتِهِ فإنْ كانَ ما يظنُّ حقًّا ظفرَ بالسلامةِ وإن كانَ

١ نعم ٢ بمعنى التغير

باطلًا ظفرَ بالحزمِ ولم يضرّهُ ذلك

ثمّ قال للغيلمِ ما يحبسُك وما لي أراك مهتمًّا كأنّك تحدّثُ نفسَك مرّةً أخرى . قال يهمّني أنّك تأتي منزلي فلا تجدُ أمري كما أحبُّ لأنّ زوجتي مريضةٌ . قال القردُ لا تهتمَّ فإنّ الهمَّ لا يغني عنك شيئًا . ولكن التمسْ ما يصلحُ زوجتَك من الأدويةِ والأغذيةِ . فإنّهُ يقالُ ليبذلْ ذو المالِ مالَهُ في أربعةِ مواضعَ . في الصدقةِ وفي وقتِ الحاجةِ وعلى البنينَ وعلى الأزواجِ . ولا سيّما إذا كنّ صالحاتٍ . قال الغيلمُ صدقتَ . وقد قالت الأطبّاءُ إنّهُ لا دواءَ لها إلّا قلبُ قردٍ . فقال القردُ في نفسِهِ واسوأتاه [1] لقد أدركني الحرصُ والشرهُ على كبرِ سنّي حتى وقعتُ في شرِّ ورطةٍ . ولقد صدقَ الذي قال يعيشُ القانعُ الراضي مستريحًا مطمئنًّا وذو الحرصِ والشرهِ يعيشُ ما عاشَ في تعبٍ ووصبٍ [2] . وإنّي قد احتجتُ الآنَ إلى عقلي في التماسِ المخرجِ ممّا وقعتُ فيه * ثمّ قال للغيلمِ وما منعك أصلحك اللهُ أن تعلمني عند منزلي حتى كنتُ أحملُ قلبي معي . فإنّ هذه سنّة [3]

١ السوأة الأمر القبيح ٢ بمعنى التعب ٣ ضريبة

فينا معشر القردة (1) إذا خرج أحدنا لزيارة صديق له خلف (2) قلبه عند أهله أو في موضعه لننظر إذا نظرنا إلى حرم (3) المزور وليس قلوبنا معنا. قال الغيلم وأين قلبك الآن قال خلفته في الشجرة فإن شئت فارجع بي إلى الشجرة حتى آتيك به. ففرح الغيلم بذلك وقال لقد وافقني صاحبي بدون أن أغدر به. ثم رجع بالقرد إلى مكانه. فلما قارب الساحل وثب عن ظهره فارتقى الشجرة. فلما أبطأ على الغيلم ناداه يا خليلي احمل قلبك وانزل فقد حبستني. فقال القرد هيهات أتظن أني كالحمار الذي زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب ولا أذنان. قال الغيلم وكيف كان ذلك

قال القرد زعموا أنه كان أسد في أجمة (4) وكان معه ابن آوى يأكل من فضلات طعامه. فأصاب الأسد جرب وضعف شديد وجهد فلم يستطع الصيد. فقال له ابن آوى ما بالك يا سيد السباع قد تغيرت أحوالك. قال هذا الجرب الذي قد جهدني وليس له دواء إلا قلب حمار وأذناه.

١ جمع قرد ٢ ابقى ٣ اي نساء ٤ شجر كثير ملتف

قال ابن آوى ما أيسر هذا. وقد عرفت بمكان كذا حمارا مع قصار (1) يحمل عليه ثيابه وأنا آتيك به. ثم دلف (2) إلى الحمار فأتاه وسلم عليه وقال له مالي أراك مهزولا. قال لسوء تدبير صاحبي فإنه لا يزال يجيع بطني ويثقل ظهري. وما تجتمع هاتان الحالتان على جسم إلا أنحلتاه (3) وأسقمتاه. فقال له كيف ترضى المقام معه على هذا. قال مالي حيلة للهرب منه فلست أتوجه إلى جهة إلا أضر بي إنسان فكدني وأجاعني. قال ابن آوى فأنا أدلك على مكان معزول عن الناس لا يمر به إنسان خصيب المرعى فيه عانة (4) من الحمر (5) ترعى آمنة مطمئنة. قال الحمار وما يحبسنا عنها فانطلق بنا إليها. فانطلق به نحو الأسد وتقدم ابن آوى ودخل الغابة على الأسد فأخبره بمكان الحمار. فخرج إليه وأراد أن يثب عليه فلم يستطع لضعفه وتخلص الحمار منه فأفلت هلعا (6) على وجهه. فلما رأى ابن آوى أن الأسد لم يقدر على الحمار قال له يا سيد السباع أعجزت

١ مبيض الثياب ٢ تقدم ٣ هزلتاه ٤ جماعة من الحمير
٥ الحمير ٦ خائفا جدا

إلى هذه الغاية. فقال له إن جئتني به مرة أخرى فلن ينجو مني أبداً. فمضى ابن آوى إلى الحمار فقال له ما الذي جرى عليك. إن أحد الحمر رآك غريباً فخرج يتلقاك مرحباً بك ولو ثبت لآنسك ومضى بك إلى أصحابه. فلما سمع الحمار ذلك ولم يكن رأى أسداً قط صدق ما قاله ابن آوى وأخذ طريقه إلى الأسد. فسبقه ابن آوى إلى الأسد وأعلمه بمكانه وقال له استعد له فقد خدعته لك فلا يدركنك الضعف في هذه النوبة[1] فإنه إن أفلت لن يعود معي أبداً والفرص لا تصاب في كل وقت. فجاش جأش الأسد[2] لتحريض ابن آوى له وخرج إلى موضع الحمار فلما بصر به عاجله بوثبة افترسه بها. ثم قال قد ذكرت الأطباء أنه لا يؤكل إلا بعد الاغتسال والطهور. فاحتفظ به حتى أعود فآكل قلبه وأذنيه وأترك ما سوى ذلك قوتاً لك. فلما ذهب الأسد ليغتسل عمد ابن آوى إلى الحمار فأكل قلبه وأذنيه رجاء أن يتطير[3] الأسد منه فلا يأكل منه شيئاً. ثم ان الأسد رجع الى مكانه فقال لابن آوى أين قلب الحمار وأذناه.

١ المرة ٢ أي هاج ٣ يتشاءم ويعتقد الشر

قال ابن آوى ألم تعلم أنه لو كان له قلب يعقل به وأذنان يسمع بهما لم يرجع إليك بعد ما أفلت ونجا من الهلكة.

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أني لست كذلك الحمار الذي زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب ولا أذنان. ولكنك احتلت علي وخدعتني فخدعتك بمثل خديعتك واستدركت[1] فارط أمري[2]. وقد قيل ان الذي يفسده الحلم لا يصلحه إلا العلم. قال الغيلم صدقت إلا أن الرجل الصالح يعترف بزلته وإذا أذنب ذنباً لم يستحي أن يؤدب لصدقه في قوله وفعله. وإن وقع في ورطة أمكنه التخلص منها بحيلته وعقله كالرجل الذي يعثر على الأرض وعليها يعتمد في نهوضه

فهذا مثل الرجل الذي يطلب الحاجة فإذا ظفر بها أضاعها

١ تلافيت ٢ أي ما زلت به

باب

الناسك وابن عرس

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الرجل العجلان (١) في أمره من غير روية (٢) ولا نظر في العواقب

قال الفيلسوف إنه من لم يكن في أمره متثبتاً لم يزل نادماً ويصير أمره إلى ما صار إليه الناسك من قتل ابن عرس وقد كان له ودوداً. قال الملك وكيف كان ذلك

قال الفيلسوف زعموا أن ناسكاً من النساك كان بأرض جرجان وكانت له امرأة صالحة لها معه صحبة. فمكثا زماناً لم يرزقا ولداً. ثم حملت بعد الإياس (٣) فسرت المرأة وسر الناسك بذلك وحمد الله تعالى وسأله أن يكون الحمل ذكراً. وقال لزوجته أبشري فإني أرجو أن يكون غلاماً فيه لنا منافع وقرة عين أختار له أحسن الأسماء وأحضر له جميع المؤدبين. فقالت المرأة ما يحملك أيها

١ العجول ٢ طول فكرة ٣ قطع الامل

الرجل على أن تتكلم بما لا تدري أيكون أم لا. ومن فعل ذلك أصابه ما أصاب الناسك الذي أهرق على رأسه السمن والعسل. قال لها وكيف كان ذلك

قالت زعموا أن ناسكاً كان يجري عليه من بيت رجل تاجر في كل يوم رزق من السمن والعسل وكان يأكل منه قوته وحاجته ويرفع الباقي ويجعله في جرة فيعلقها في وتد في ناحية البيت حتى امتلأت. فبينما الناسك ذات يوم مستلقٍ على ظهره والعكازة في يده والجرة معلقة فوق رأسه تفكر في غلاء السمن والعسل فقال سأبيع ما في هذه الجرة بدينار وأشتري به عشر أعنز (١) فيحبلن ويلدن في كل خمسة أشهر مرة. ولا تلبث إلا قليلاً حتى تصير معزاً كثيراً إذا ولدت أولادها. ثم حرر (٢) على هذا النحو بسنين فوجد ذلك أكثر من أربعمئة عنز. فقال أنا أشتري بها مائة من البقر بكل أربعة أعنز ثوراً أو بقرة وأشتري أرضاً وبذراً (٣) وأستأجر أكرة (٤) وأزرع على الثيران وأنتفع بألبان الإناث ونتاجها فلا تأتي علي خمس سنين إلا وقد أصبت

١ جمع عنز وهي الانثى من الماعز ٢ دقق وضبط ٣ حبا يبذر ٤ حراثين

من الزرع مالاً كثيراً فأبني بيتاً فاخراً وأشتري إماء[1] وعبيداً وأتزوج امرأة صالحة جميلة فتحمل ثم تأتي بغلام سري[2] نجيب[3] فأختار له أحسن الأسماء. فإذا ترعرع[4] أدبته وأحسنت تأديبه وأشدد عليه في ذلك فإن قبل مني وإلا ضربته بهذه العكازة وأشار بيده إلى الجرة فكسرها فسال ما فيها على وجهه.

وإنما ضربت لك هذا المثل لكي لا تعجل بذكر ما لا ينبغي ذكره وما لا تدري أيصح أم لا يصح. ولكن ادع ربك وتوسل إليه وتوكل عليه. فإن التصاوير في الحائط إنما هي ما دام بناؤه قائماً فإذا وقع وتهدم لم يقدر عليها. فاتعظ الناسك بما حكت زوجته * ثم إن المرأة ولدت غلاماً جميلاً ففرح به أبوه وبعد أيام حان لها أن تغتسل. فقالت المرأة للناسك اقعد عند ابنك حتى أذهب إلى الحمام فأغتسل وأعود ثم إنها انطلقت إلى الحمام وخلفت زوجها والغلام. فلم يلبث أن جاء رسول الملك يستدعيه ولم يجد من يخلفه عند ابنه غير ابن عرس داجن[5] عنده كان قد رباه صغيراً

١ جمع امة وهي الجارية السوداء ٢ شريف ٣ كريم ٤ نهض ونشأ ٥ اليف

فهو عنده عديل ولده. فتركه الناسك عند الصبي وأغلق عليهما البيت وذهب مع الرسول. فخرج من بعض أحجار البيت حية سوداء فدنت من الغلام فضربها ابن عرس فوثب عليه فقتلها ثم قطعها وامتلأ فمه من دمها * ثم جاء الناسك وفتح الباب فالتقاه ابن عرس كالمبشر له بما صنع من قتل الحية. فلما رآه ملوثاً بالدم وهو مذعور[1] طار عقله وظن أنه قد خنق ولده ولم يتثبت[2] في أمره ولم يترو[3] فيه حتى يعلم حقيقة الحال ويعمل بغير ما ظن من ذلك ولكن عجل على ابن عرس وضربه بعكازة كانت في يده على أم رأسه[4] فمات. ودخل الناسك فرأى الغلام سالماً حياً وعنده أسود[5] مقطع. فلما عرف القصة وتبين له سوء فعله في العجلة لطم على رأسه وقال ليتني لم أرزق هذا الولد ولم أغدر هذا الغدر * ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحال فقالت له ما شأنك. فأخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافأته له. فقالت هذه ثمرة العجلة لأن الأمر إذا فرط[6] مثل الكلام إذا خرج والسهم إذا مرق[7]

١ خائف ٢ يتأنّ ٣ يتفكر ٤ دماغه ٥ حية كبيرة وقد مر ٦ اي جرى ٧ نفذ في الرمية

لا مرد له

فهذا مثل من لا يتثبت في أمره بل يفعل أغراضه بالسرعة

باب

الجرذ والسنور[1]

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل رجل كثر أعداؤه وأحدقوا[2] به من كل جانب فأشرف معهم على الهلاك فالتمس النجاة والمخرج بموالاة[3] بعض أعدائه ومصالحته فسلم من الخوف وأمن ثم وفى لمن صالحه منهم. وأخبرني عن موضع الصلح وكيف ينبغي أن يكون

قال الفيلسوف إن المودة والعداوة لا تثبتان على حالة أبدا. وربما حالت[4] المودة إلى العداوة وصارت العداوة ولاية[5] وصداقة. ولهذا حوادث وعلل وتجارب. وذو الرأي

١ الهر ٢ احاطوا ٣ مصادقة ٤ تغيرت ٥ نصرة ومحبة

يحدث لكل ما يحدث من ذلك رأيا جديدا. أما من قبل العدو فبالبأس[1]. وأما من قبل الصديق فبالاستئناس. ولا تمنع ذا العقل عداوة كانت في نفسه لعدوه من مقاربته والاستنجاد[2] به على دفع مرهوب أو جر مرغوب. ومن عمل في ذلك بالحزم ظفر بحاجته. ومثل ذلك مثل الجرذ والسنور حين وقعا في الورطة فنجوا باصطلاحهما جميعا من الورطة والشدة. قال الملك وكيف كان ذلك

قال بيدبا زعموا أن شجرة عظيمة كان في أصلها جحر سنور يقال له رومي. وكان قريبا منه جحر جرذ يقال له فريدون. وكان الصيادون كثيرا ما يتداولون[3] ذلك المكان يصيدون فيه الوحش والطير. فأتى ذات يوم صياد فنصب حبالته[4] قريبا من موضع رومي فلم يلبث أن وقع فيها. فخرج الجرذ يدب ويطلب ما يأكل وهو حذر من رومي. فبينما هو يسعى إذ بصر به في الشرك فسر واستبشر. ثم التفت فرأى خلفه ابن عرس يريد أخذه وفي الشجرة بوما يريد اخطاطفه. فتحير في أمره وخاف إن رجع وراءه

١ الشدة ٢ التعاون ٣ يأتون مرارا ٤ شركه

أخذه ابن عرس وإن ذهب يميناً أو شمالاً اختطفه
البوم وإن تقدم أمامه افترسه السنور . فقال في نفسه
هذا بلاء قد اكتنفني (١) وشرور تظاهرت (٢) علي ومحن قد
أحاطت بي * وبعد ذلك فمعي عقلي فلا يفزعني أمري ولا
يهولني (٣) شأني ولا يلحقني الدهش (٤) ولا يذهب قلبي شعاعاً (٥) .
فالعاقل لا يفرق (٦) عند سداد (٧) رأيه ولا يعزب (٨) عنه ذهنه
على حال . وإنما العقل شبيه بالبحر الذي لا يدرك غوره (٩) .
ولا يبلغ البلاء من ذي الرأي مجهوده (١٠) فيهلكه . وتحقق
الرجاء لا ينبغي أن يبلغ منه مبلغاً يبطره ويسكره فيعمى (١١)
عليه أمره . ولست أرى لي من هذا البلاء مخلصاً إلا مصالحة
السنور فإنه قد نزل به من البلاء مثل ما قد نزل بي أو
بعضه . ولعله إن سمع كلامي الذي أكلمه به ووعى (١٢) عني
صحيح خطابي ومحض (١٣) صدقي الذي لا خلاف فيه ولا
خداع معه فهمه وطمع في معونتي إياه نخلص جميعاً
ثم إن الجرذ دنا من السنور فقال له كيف

١ احاط بي ٢ تعاونت ٣ تعني يفزعني ٤ الحيرة ٥ متفرقاً وتقدم
٦ يخاف ٧ اصابة ٨ يبعد ٩ قعره ١٠ اي غايته ١١ يلتبس ١٢ حفظ
اي فهم ١٣ خالص

حالك . قال له السنور كما تحب في ضنك (١) وضيق . قال
وأنا اليوم شريكك في البلاء . ولست أرجو لنفسي خلاصاً
إلا بالذي أرجو لك فيه الخلاص وكلامي هذا ليس فيه
كذب ولا خديعة . وابن عرس ها هو كامن لي والبوم يرصدني
وكلاهما لي ولك عدو . وإني وإياك وإن كنا مختلفي
الطباع لكنا متفقا الحالة . والذين حالتهم واحدة وطباعهم
مختلفة تجمعهم الحالة وإن فرقتهم الطباع . فإن أنت جعلت
لي الأمان قطعت حبائلك وخلصتك من هذه الورطة . فإن
كان ذلك تخلص كل واحد منا بسبب صاحبه كالسفينة
والركاب في البحر فبالسفينة ينجون وبهم تنجو السفينة
فلما سمع السنور كلام الجرذ وعرف أنه صادق قال له
إن قولك هذا لشبيه بالحق وأنا أيضاً راغب فيما أرجو لك
ولنفسي به الخلاص . ثم إني إن فعلت ذلك سأشكرك ما
بقيت . قال الجرذ فإني سأدنو منك فأقطع الحبائل كلها إلا
حبلاً واحداً أبقيه لأستوثق لنفسي منك وآخذ في قرض

١ يعني الضيق

حبائله * ثم إن البوم وابن عرس لما رأيا دنو الجرذ من السنور أيسا [1] منه وانصرفا * ثم إن الجرذ أبطأ على رومي في قطع الحبائل . فقال له ما لي لا أراك جادًّا في قطع حبائلي . فإن كنت قد ظفرت بحاجتك فتغيرت عما كنت عليه وتوانيت [2] في حاجتي فما ذلك من فعل الصالحين . فإن الكريم لا يتوانى في حق صاحبه . وقد كان لك في سابق مودتي من الفائدة والنفع ما قد رأيت وأنت حقيق [3] أن تكافئني بذلك ولا تذكر العداوة التي بيني وبينك . فالذي بيني وبينك من الصلح حقيق أن ينسيك ذلك مع ما في الوفاء من الفضل والأجر وما في الغدر من سوء العاقبة . فإن الكريم لا يكون إلا شكورًا غير حقود تنسيه الخلة [4] الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة . وقد يقال إن أعجل العقوبة عقوبة الغدر . ومن إذا تضرع إليه وسئل العفو فلم يرحم ولم يعف فقد غدر * قال الجرذ إن الصديق صديقان طائع ومضطر وكلاهما يلتمسان المنفعة ويحترسان من المضرة . فأما الطائع فيسترسل [5] إليه ويؤمن في

١ قطعا الامل ٢ فترت وتهاونت ٣ اهل ٤ الخصلة ٥ يطمأن

جميع الأحوال . وأما المضطر ففي بعض الأحوال يسترسل إليه وفي بعضها يتحذر منه . ولا يزال العاقل يرتهن منه بعض حاجاته [1] لبعض ما يتقي ويخاف . وليس غاية التواصل من كل من المتواصلين إلا طلب عاجل النفع وبلوغ مأموله . وأنا وافٍ لك بما وعدتك ومحترس منك مع ذلك من حيث أخافك تخوف أن يصيبني منك ما ألجأني خوفه إلى مصالحتك وألجأك إلى قبول ذلك مني فإن لكل عمل حينًا . فما لم يكن منه في حينه فلا حسن لعاقبته . وأنا قاطع حبائلك كلها غير أني تارك عقدة أرتهنك بها ولا أقطعها إلا في الساعة التي أعلم أنت فيها عني مشغول وذلك عند معاينتي الصياد . ثم إن الجرذ أخذ في قطع حبائل السنور . فبينما هو كذلك إذ وافى الصياد . فقال له السنور الآن جاء وقت الجد في قطع حبائلي فجهد الجرذ نفسه في القرض حتى إذا فرغ وثب السنور إلى الشجرة على دهش [2] من الصياد ودخل الجرذ بعض الأجحار وجاء الصياد فأخذ حبائله مقطعة ثم انصرف خائبًا

١ بأخذها رهنًا ٢ حيرة

ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ وَكَرِهَ أَنْ يَدْنُوَ مِنَ السِّنَّوْرِ · فَنَادَاهُ السِّنَّوْرُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ النَّاصِحُ ذُو الْبَلَاءِ (١) الْحَسَنِ عِنْدِي مَا مَنَعَكَ مِنَ الدُّنُوِّ إِلَيَّ لِأُجَازِيَكَ بِأَحْسَنِ مَا أَسْدَيْتَ (٢) إِلَيَّ · هَلُمَّ إِلَيَّ وَلَا تَقْطَعْ إِخَائِي (٣) فَإِنَّهُ مَنِ اتَّخَذَ صَدِيقًا وَقَطَعَ إِخَاءَهُ وَأَضَاعَ صَدَاقَتَهُ حُرِمَ ثَمَرَةَ إِخَائِهِ وَأَيِسَ مِنْ نَفْعِهِ الْإِخْوَانُ وَالْأَصْدِقَاءُ · وَإِنَّ يَدَكَ (٤) عِنْدِي لَا تُنْسَى وَأَنْتَ حَقِيقٌ أَنْ تَلْتَمِسَ مُكَافَأَةَ ذَلِكَ مِنِّي وَمِنْ إِخْوَانِي وَأَصْدِقَائِي وَلَا تَخَافَ مِنِّي شَيْئًا وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قِبَلِي (٥) لَكَ مَبْذُولٌ · ثُمَّ حَلَفَ وَاجْتَهَدَ عَلَى صَدِيقِهِ فِيمَا قَالَ * فَنَادَاهُ الْجُرَذُ رُبَّ صَدَاقَةٍ ظَاهِرَةٍ بَاطِنُهَا عَدَاوَةٌ كَامِنَةٌ وَهِيَ أَشَدُّ مِنَ الْعَدَاوَةِ الظَّاهِرَةِ · وَمَنْ لَمْ يَحْتَرِسْ مِنْهَا وَقَعَ مَوْقِعَ الرَّجُلِ الَّذِي يَرْكَبُ نَابَ الْفِيلِ الْهَائِجِ ثُمَّ يَغْلِبُهُ النُّعَاسُ فَيَسْتَيْقِظُ تَحْتَ فَرَاسِنِ (٦) الْفِيلِ فَيَدُوسُهُ وَيَقْتُلُهُ · وَإِنَّمَا سُمِّيَ الصَّدِيقُ صَدِيقًا لِمَا يُرْجَى مِنْ صِدْقِهِ وَنَفْعِهِ وَسُمِّيَ الْعَدُوُّ عَدُوًّا لِمَا يُخَافُ مِنِ اعْتِدَائِهِ وَضَرَرِهِ · وَالْعَاقِلُ إِذَا رَجَا نَفْعَ الْعَدُوِّ أَظْهَرَ لَهُ الصَّدَاقَةَ

١ الاختبار والامتحان ٢ احسنت ٣ صداقتي ٤ نعمتك
٥ اي عندي ٦ جمع فرسن وهو للجمل والفيل كالقدم للانسان

وَإِذَا خَافَ ضَرَّ الصَّدِيقِ أَظْهَرَ لَهُ الْعَدَاوَةَ · أَلَا تَرَى تَتَبُّعَ الْبَهَائِمِ أُمَّاتِهَا رَجَاءَ أَلْبَانِهَا فَإِذَا انْقَطَعَ ذَلِكَ انْصَرَفَتْ عَنْهَا · وَرُبَّمَا قَطَعَ الصَّدِيقُ عَنْ صَدِيقِهِ بَعْضَ مَا كَانَ يَصِلُهُ مِنْهُ فَلَمْ يَخَفْ شَرَّهُ لِأَنَّ أَصْلَ أَمْرِهِ لَمْ يَكُنْ عَدَاوَةً · فَأَمَّا مَنْ كَانَ أَصْلُ أَمْرِهِ عَدَاوَةً جَوْهَرِيَّةً ثُمَّ أَحْدَثَ صَدَاقَةً لِحَاجَةٍ حَمَلَتْهُ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ إِذَا زَالَتِ الْحَاجَةُ الَّتِي حَمَلَتْهُ عَلَى ذَلِكَ زَالَتْ صَدَاقَتُهُ فَتَحَوَّلَتْ وَصَارَتْ إِلَى أَصْلِ أَمْرِهِ · كَالْمَاءِ الَّذِي يُسَخَّنُ بِالنَّارِ فَإِذَا رُفِعَ عَنْهَا عَادَ بَارِدًا · وَلَيْسَ مِنْ أَعْدَائِي عَدُوٌّ أَضَرَّ لِي مِنْكَ · وَقَدِ اضْطَرَّنِي وَإِيَّاكَ حَاجَةٌ إِلَى مَا أَحْدَثْنَا مِنَ الْمُصَالَحَةِ وَقَدْ ذَهَبَ الْأَمْرُ الَّذِي احْتَجْتَ إِلَيَّ وَاحْتَجْتُ إِلَيْكَ فِيهِ · وَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَعَ ذَهَابِهِ عَوْدُ الْعَدَاوَةِ · وَلَا خَيْرَ لِلضَّعِيفِ فِي قُرْبِ الْعَدُوِّ الْقَوِيِّ وَلَا لِلذَّلِيلِ فِي قُرْبِ الْعَدُوِّ الْعَزِيزِ · وَلَا أَعْلَمُ لَكَ قِبَلِي حَاجَةً إِلَّا أَنْ تَكُونَ تُرِيدُ أَكْلِي · وَلَا أَعْلَمُ لِي قِبَلَكَ حَاجَةً وَلَيْسَ عِنْدِي بِكَ ثِقَةٌ · فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الضَّعِيفَ الْمُحْتَرِسَ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيِّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ إِذَا

أُغْتَرَّ بِالضَّعِيفِ وَٱسْتَرْسَلَ إِلَيْهِ . وَٱلْعَاقِلُ يُصَالِحُ عَدُوَّهُ إِذَا ٱضْطُرَّ إِلَيْهِ وَيُصَانِعُهُ [1] وَيُظْهِرُ لَهُ وُدَّهُ وَيُرِيهِ مِنْ نَفْسِهِ ٱلِاسْتِرْسَالَ إِلَيْهِ إِذَا لَمْ يَجِدْ مِنْ ذٰلِكَ بُدًّا ثُمَّ يُعَجِّلُ ٱلِانْصِرَافَ عَنْهُ حِينَ يَجِدُ إِلَى ذٰلِكَ سَبِيلًا

وَٱعْلَمْ أَنَّ سَرِيعَ ٱلِاسْتِرْسَالِ لَا تُقَالُ عَثْرَتُهُ [2] . وَٱلْعَاقِلُ يَفِي لِمَنْ صَالَحَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ بِمَا جَعَلَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا يَثِقُ بِهِ كُلَّ ٱلثِّقَةِ وَلَا يَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ ٱلْقُرْبِ مِنْهُ وَيَنْبَغِي أَنْ يَبْعُدَ عَنْهُ مَا ٱسْتَطَاعَ . وَأَنَا أَوَدُّكَ مِنْ بَعِيدٍ وَأُحِبُّ لَكَ مِنَ ٱلْبَقَاءِ وَٱلسَّلَامَةِ مَا لَمْ أَكُنْ أُحِبُّهُ لَكَ مِنْ قَبْلُ وَلَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تُجَازِيَنِي عَلَى صَنِيعِي إِلَّا بِمِثْلِ ذٰلِكَ إِذْ لَا سَبِيلَ إِلَى ٱجْتِمَاعِنَا وَٱلسَّلَامُ

---

١ يحاسنهُ ويداريهِ ٢ لا ينهض منها

بَابُ

ٱلْمَلِكِ وَٱلطَّائِرِ فَنْزَةَ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ أَهْلِ ٱلتِّرَاتِ [1] ٱلَّذِينَ لَا بُدَّ لِبَعْضِهِمْ مِنَ ٱتِّقَاءِ بَعْضٍ

قَالَ بَيْدَبَا زَعَمُوا أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ ٱلْهِنْدِ كَانَ يُقَالُ لَهُ بَرِيدُونُ وَكَانَ لَهُ طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ فَنْزَةُ وَكَانَ لَهُ فَرْخٌ . وَكَانَ هٰذَا ٱلطَّائِرُ وَفَرْخُهُ يَنْطِقَانِ بِأَحْسَنِ مَنْطِقٍ وَكَانَ ٱلْمَلِكُ بِهِمَا مُعْجَبًا فَأَمَرَ بِهِمَا أَنْ يُجْعَلَا عِنْدَ ٱمْرَأَتِهِ وَأَمَرَهَا بِٱلْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا . وَٱتَّفَقَ أَنَّ ٱمْرَأَةَ ٱلْمَلِكِ كَانَتْ حَامِلًا فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَأَلِفَ ٱلْفَرْخُ ٱلْغُلَامَ وَكِلَاهُمَا طِفْلَانِ يَلْعَبَانِ جَمِيعًا . وَكَانَ فَنْزَةُ يَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَيَأْتِي بِفَاكِهَةٍ لَا تُعْرَفُ فَيُطْعِمُ ٱبْنَ ٱلْمَلِكِ شَطْرَهَا [2] وَيُطْعِمُ فَرْخَهُ شَطْرَهَا . فَأَسْرَعَ ذٰلِكَ فِي نَشْأَتِهِمَا وَشَبَابِهِمَا وَبَانَ عَلَيْهِمَا أَثَرُهُ عِنْدَ ٱلْمَلِكِ

---

١ الثارات والعداوات ٢ نصفها

وازداد لفنزة إكراماً وتعظيماً ومحبة. حتى إذا كان يوم من
الأيام وفنزة غائب في اجتناء الثمرة وفرخه في حجر (١)
الغلام حدث من الفرخ ما أغضب الغلام فأخذه فضرب
به الأرض فمات * ثم إن فنزة أقبل فوجد فرخه مقتولاً
فصاح وحزن وقال قبحاً للملوك الذين لا عهد لهم ولا وفاء (٢)
وويل لمن ابتلي بصحبة الملوك الذين لا ذمة لهم ولا حرمة
ولا يحبون أحداً ولا يكرم عليهم إلا إذا طمعوا فيما عنده
من غناء (٣) واحتاجوا إلى ما عنده من علم فيكرمونه لذلك.
فإذا ظفروا بحاجتهم منه فلا ود ولا إخاء ولا إحسان ولا
غفران ذنب ولا معرفة حق. ثم هم الذين أمرهم مبني على
الرياء والفجور وهم يستصغرون ما يرتكبونه من عظيم
الذنب ويستعظمون اليسير إذا خولفت فيه أهواؤهم.
ومنهم هذا الكفور (٤) الذي لا رحمة له الغادر بإلفه وأخيه *
ثم وثب في شدة حنقه على وجه الغلام ففقأ عينيه. ثم
طار فوقف على شجرة عالية.

وبلغ الملك ذلك فجزع (٥) أشد الجزع ثم طمع أن

١ حضن ٢ عهد ٣ منفعة ٤ الجاحد النعمة ٥ حزن

يحتال له فيهلكه. فركب من ساعته وتوجه إلى ناحية الطائر
حتى وقف قريباً منه وناداه وقال له إنك آمن فانزل يا فنزة
فقال له أيها الملك إن الغادر مأخوذ بغدره وإنه إن
أخطأه (١) عاجل العقوبة لم يخطئه الآجل (٢) حتى إنه يدرك
الأعقاب (٣) وأعقاب الأعقاب. وإن ابنك غدر بابني
فعجلت له العقوبة * قال الملك قد لعمري (٤) غدر ابني بابنك
وقد تناصفنا (٥) جميعاً فليس لك قبلنا (٦) وليس لنا قبلك وتر (٧)
مطلوب فارجع إلينا آمناً ولا تخف * قال فنزة لست براجع
إليك أبداً فإن ذوي الرأي قد نهوا عن قرب الموتور (٨).
فإنه لا يزيدك لطف الحقود ولينه وتكرمته إياك إلا وحشة
منه وسوء ظن به. فإنك لا تجد للحقود الموتور أمناً هو أوثق
لك من الذعر (٩) منه ولا أجود من البعد عنه والاتقاء (١٠)
له أولى. وقد كان يقال إن العاقل يعد أبويه أصدقاء والإخوة
رفقاء والأزواج ألفاء (١١) والبنين ذكراً والبنات خصماء
والأقارب غرماء (١٢) ويعد نفسه فريداً وحيداً. وأنا الفريد

١ لم يصبه ٢ خلاف العاجل ٣ الخلفاء ٤ قسماً بعمري ٥ انصف كل منا الآخر من نفسه ٦ اي عندنا ٧ ثار ٨ من قتل له قتيل ولم يؤخذ بثاره ٩ الخوف ١٠ التوقي ١١ جمع الف اي خليط وعشير ١٢ نحو خصماء

الوحيد الغريب الطريد[1] قد تزودت من عندكم عبأ[2] ثقيلا لا يحمله معي أحد وأنا ذاهب فعليك مني السلام * قال له الملك انك لو لم تكن قد اجتزيت[3] منا فيما صنعناه بك أو كان صنيعك بنا من غير ابتداء منا بالغدر كان الأمر كما ذكرت. وأما إذ كنا نحن قد بدأناك فما ذنبك وما الذي يمنعك من الثقة بنا. هلم فارجع فانك آمن * قال فنزة اعلم أن الأحقاد لها في القلوب مواضع ممكنة موجعة. فالألسن لا تصدق في خبرها عن القلوب والقلب أعدل شهادة على اللسان من اللسان على القلب. وقد علمت أن قلبي لا يشهد للسانك بصدقه ولا قلبك للساني

قال الملك ألا تعلم أن الضغائن[4] والأحقاد تكون بين كثير من الناس. فمن كان ذا عقل كان على اماتة الحقد أحرص منه على تربيته * قال فنزة ان ذلك لكما ذكرت. ولكن لا ينبغي لذي الرأي مع ذلك أن يظن أن الموتور الحقود ناس ما وتر به أو مصروف عنه. وذو الرأي يتخوف المكر والخديعة والحيل ويعلم أن كثيرا من العدو لا يستطاع

١ المطرود ٢ حملاً ٣ اخذت الجزاء ٤ بمعنى الاحقاد

بالشدة والمكابرة[1] حتى يصاد بالرفق والملاينة كما يصطاد الفيل الوحشي بالفيل الداجن[2] * قال الملك إن العاقل الكريم لا يترك إلفه ولا يقطع إخوانه ولا يضيع الحفاظ[3] وان هو خاف على نفسه. حتى إن هذا الخلق يكون في أوضع الدواب منزلة. فقد علمت أن اللعابين يلعبون بالكلاب ثم يذبحونها ويأكلونها ويرى الكلب الذي قد ألفهم ذلك فيمنعه من مفارقتهم ألفته إياهم

قال فنزة إن الأحقاد مخوفة حيث كانت وأخوفها وأشدها ما كان في أنفس الملوك. فان الملوك يدينون بالانتقام[4] ويرون الدرك[5] والطلب بالوتر مكرمة وفخرا. وان العاقل لا يغتر بسكون الحقد إذا سكن. فانما مثل الحقد في القلب اذا لم يجد محركا مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطبا. فليس ينفك الحقد متطلعا[6] إلى العلل[7] كما تبتغي النار الحطب. فاذا وجد علة استعر[8] استعار النار فلا يطفئه حسن كلام ولا لين ولا رفق ولا خضوع ولا تضرع ولا

١ المعاندة والمغالبة ٢ الأليف ٣ المحافظة ٤ من الدين اي يجعلون دينهم الانتقام ٥ الادراك ٦ اي متجها ٧ الاسباب ٨ اضطرم

مُصانَعةً (١) ولا شيءَ دون تلفِ الأنفسِ وذهابِ الأرواحِ .
مع أنَّهُ رُبَّ واتِرٍ يطمعُ في مراجعةِ الموتورِ لِما يرجو أن
يقدرَ عليهِ من النفعِ لهُ والدفعِ عنهُ ولكنّي أنا أضعفُ من
أن أقدرَ على شيءٍ يذهبُ بهِ ما في نفسكَ * وبعدُ فلو كانت
نفسكَ لي على ما تقولُ ما كان ذلك عنّي مغنياً (٢) أيضاً
ولا أزالُ في خوفٍ ووحشةٍ وسوءِ ظنٍّ ما اصطحبنا (٣) . فليس
الرأيُ بيني وبينكَ إلا الفراقَ وأنا أقرأُ عليكَ السلامَ (٤)

قال الملكُ لقد علمتُ أنَّهُ لا يستطيعُ أحدٌ لأحدٍ
ضرّاً ولا نفعاً . وأنَّهُ لا شيءَ من الأشياءِ صغيراً ولا كبيراً
يصيبُ أحداً إلا بقضاءٍ وقدرٍ معلومٍ . وكما أنَّ خلقَ ما
يخلقُ وولادةَ ما يولدُ وبقاءَ ما يبقى ليس للخلائقِ منهُ شيءٌ .
كذلك فناءُ ما يفنى وهلاكُ ما يهلكُ . وليس لكَ في الذي
فعلتَ بابني ذنبٌ ولا لابني فيما صنعَ بابنكَ ذنبٌ . انما
كان ذلك كلُّهُ قدراً مقدوراً وكلانا لهُ علّةٌ وسببٌ فلا
تؤاخذْ بما أتانا بهِ القدرُ * قال فنزةُ إنَّ القدرَ لكما ذكرتَ

---

١ مداراة ومداهنة ٢ اي مانعاً ٣ مدة اصطحابنا ٤ ابلغك اياه

لكن لا يمنعُ ذلك الحازمَ من توقّي المخاوفِ والاحترازِ
من المكارهِ . وإلا كان المريضُ غيرَ مصيبٍ في طلبهِ الطبيبَ
وكان أهلُ المصائبِ يتركون النظرَ فيما فيهِ الفرجُ لهم .
ولا ينفعُ الحذرُ والاحتراسُ مع القضاءِ لكنَّ العقلَ يجمعُ مع
التصديقِ بالقدرِ الأخذَ بالحزمِ والقوّةِ لعلَّ ما يستسلمُ (١)
إليهِ لا يكونُ مقدوراً عليهِ . وأنا أعلمُ أنَّكَ تكلّمني بغيرِ
ما في نفسكَ . والأمرُ بيني وبينكَ غيرُ صغيرٍ لأنَّ ابنكَ
قتلَ ابني وأنا فقأتُ عينَ ابنكَ . وأنتَ تريدُ أن تشتفيَ
بقتلي وتختلني (٢) عن نفسي والنفسُ تأبى الموتَ . وقد كان يقالُ
الفاقةُ (٣) بلاءٌ والحزنُ بلاءٌ وقربُ العدوِّ بلاءٌ وفراقُ الأحبةِ
بلاءٌ والسقمُ بلاءٌ والهرمُ (٤) بلاءٌ ورأسُ البلايا كلِّها الموتُ .
وليس أحدٌ بأعلمَ بما في نفسِ الموجعِ الحزينِ ممن ذاقَ
مثلَ ما بهِ . فأنا مما في نفسي عالمٌ بما في نفسكَ للمثلِ الذي
عندي من ذلك ولا خيرَ لي في صحبتكَ . فإنَّكَ لن تذكرَ
صنيعي بابنكَ ولن أتذكّرَ صنيعَ ابنكَ بابني إلا أحدثَ
ذلك لقلوبنا تغييراً * قال الملكُ لا خيرَ في من لا يستطيعُ

---

١ ينقاد ٢ تخدعني ٣ الفقر ٤ الشيخوخة

الإعراض عما في نفسه ولا ينساه ويهمله بحيث لا يذكر منه شيئا ولا يكون له في نفسه موقع * قال فنزة إن الرجل الذي في باطن قدمه قرحة إن هو حرص على المشي لا بد أن تتكأ[1] قرحته . والرجل الأرمد العين إذا استقبل بها الريح تعرض لأن تزداد رمدا . وكذلك الواتر إذا دنا من الموتور فقد عرض نفسه للهلاك . ولا ينبغي لصاحب الدنيا الا توقي المهالك والمتالف[2] وتقدير[3] الامور وقلة الاتكال على الحول[4] والقوة وقلة الاغترار بمن لا يأمن . فإنه من اتكل على قوته فحمله ذلك على أن يسلك الطريق المخوف فقد سعى في حتف[5] نفسه . ومن لا يقدر لطاقته طعامه وشرابه وحمل نفسه ما لا تطيق ولا تحمل فقد قتل نفسه . ومن لم يقدر لقمته وعظمها فوق ما يسع فوه فربما غص بها فمات . ومن اغتر بكلام عدوه وانخدع له وضيع الحزم فهو أعدى[6] لنفسه من عدوه . وليس لأحد النظر في القدر الذي لا يدري ما يأتيه منه ولا ما يصرف عنه . ولكن عليه العمل بالحزم والأخذ بالقوة ومحاسبة

١ تنقشر ٢ بمعنى المهالك ٣ قياس ٤ القدرة ٥ هلاك ٦ تفضيل من العداوة

نفسه في ذلك . والعاقل لا يثق بأحد ما استطاع ولا يقيم على خوف يجد عنه مذهبا . وأنا كثير المذاهب وأرجو أن لا أذهب وجها إلا أصبت فيه ما يغنيني . فإن خلالا[1] خمسا من تزودهن كفينه في كل وجه وآنسنه في كل غربة وقربن له البعيد وأكسبنه المعاش والإخوان * أولاهن كف الأذى * والثانية حسن الأدب * والثالثة مجانبة الريب[2] * والرابعة كرم الخلق * والخامسة النبل[3] في العمل * وإذا خاف الإنسان على نفسه شيئا طابت نفسه عن المال[4] والأهل والولد والوطن فإنه يرجو الخلف من ذلك كله ولا يرجو عن النفس خلفا . وشر المال ما لا إنفاق منه . وشر الأزواج التي لا تؤاتي[5] بعلها . وشر الولد العاصي العاق لوالديه[6] وشر الإخوان[7] الخاذل[8] لأخيه عند النكبات والشدائد والذي يحصي[9] السيئات ويترك الحسنات . وشر الملوك الذي يخافه البريء ولا يواظب على حفظ أهل مملكته . وشر البلاد بلاد لا خصب فيها ولا أمن * وإنه لا

١ اي امورا ٢ اي الشكوك ونحوها ٣ الذكاء ونحوه ٤ اي تخلى عنه غير آسف ٥ تطاوع وتلاين ٦ الذي لا يفيهما حق التربية ٧ الاصدقاء ٨ الغير الناصر ٩ يعد

أَمْنَ لِي عِنْدَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَلَا طُمَأْنِينَةَ لِي فِي جِوَارِكَ. ثُمَّ وَدَّعَ ٱلْمَلِكَ وَطَارَ

فَهٰذَا مَثَلُ ذَوِي ٱلْأَوْتَارِ ٱلَّذِينَ لَا يَنْبَغِي لِبَعْضِهِمْ أَنْ يَثِقَ بِبَعْضٍ

بابُ
ٱلْأَسَدِ وَٱبْنِ آوَى ٱلنَّاسِكِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ ٱلْمَلِكِ ٱلَّذِي يُرَاجِعُ مَنْ أَصَابَتْهُ مِنْهُ عُقُوبَةٌ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ أَوْ جَفْوَةٌ[1] مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِنَّ ٱلْمَلِكَ لَوْ لَمْ يُرَاجِعْ مَنْ أَصَابَتْهُ مِنْهُ جَفْوَةٌ عَنْ ذَنْبٍ أَوْ عَنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ظُلِمَ أَوْ لَمْ يُظْلَمْ لَأَضَرَّ ذٰلِكَ بِٱلْأُمُورِ. وَلٰكِنَّ ٱلْمَلِكَ حَقِيقٌ أَنْ يَنْظُرَ فِي حَالِ مَنِ ٱبْتُلِيَ بِذٰلِكَ وَيَخْبُرَ[2] مَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلْمَنَافِعِ فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يُوثَقُ بِهِ فِي رَأْيِهِ وَأَمَانَتِهِ فَإِنَّ ٱلْمَلِكَ حَقِيقٌ بِٱلْحِرْصِ عَلَى مُرَاجَعَتِهِ. فَإِنَّ ٱلْمَلِكَ لَا يُسْتَطَاعُ ضَبْطُهُ إِلَّا

١ خلاف انس ومواصلة   ٢ يختبر

مَعَ ذَوِي ٱلرَّأْيِ وَهُمُ ٱلْوُزَرَاءُ وَٱلْأَعْوَانُ. وَلَا يُنْتَفَعُ بِٱلْوُزَرَاءِ وَٱلْأَعْوَانِ إِلَّا بِٱلْمَوَدَّةِ وَٱلنَّصِيحَةِ. وَلَا مَوَدَّةَ وَلَا نَصِيحَةَ إِلَّا لِذَوِي ٱلرَّأْيِ وَٱلْعَفَافِ. وَأَعْمَالُ ٱلسُّلْطَانِ كَثِيرَةٌ وَٱلَّذِينَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِمْ مِنَ ٱلْعُمَّالِ وَٱلْأَعْوَانِ كَثِيرُونَ. وَمَنْ يَجْمَعُ مِنْهُمْ مَا ذَكَرْتُ مِنَ ٱلنَّصِيحَةِ وَٱلْعَفَافِ قَلِيلٌ. فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَخْبُرَ وُزَرَاءَهُ وَذَوِي رَأْيِهِ وَيَرَى مَا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنَ ٱلرَّأْيِ وَٱلتَّدْبِيرِ وَمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ. فَإِذَا ٱسْتَقَرَّ ذٰلِكَ عِنْدَهُ جَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يَصْلُحُ أَنْ يُفَكِّرَ فِيهِ وَيُدَبِّرَهُ. وَأَنْ لَا يُوَجِّهَ إِلَى ٱلْأَعْمَالِ إِلَّا مَنْ يَثِقُ بِدِينِهِ وَأَمَانَتِهِ وَعِفَّتِهِ. ثُمَّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذٰلِكَ ٱنْفَاذُ[1] مَنْ يَثِقُ بِهِ لِلْكَشْفِ عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَتَفَقُّدِ أُمُورِهِمْ بِٱلسِّرِّ ٱلْخَفِيِّ حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ إِحْسَانُ مُحْسِنٍ وَلَا إِسَاءَةُ مُسِيءٍ. فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ تَهَاوَنَ ٱلْمُحْسِنُ وَٱجْتَرَأَ ٱلْمُسِيءُ وَفِي عُرْضٍ[2] ذٰلِكَ تَهْلِكُ ٱلرَّعِيَّةُ وَيَفْسُدُ ٱلْمُلْكُ. وَٱلْمَثَلُ فِي ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْأَسَدِ وَٱبْنِ آوَى ٱلنَّاسِكِ.

قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ ٱبْنَ آوَى كَانَ يَسْكُنُ فِي بَعْضِ

١ ارسال   ٢ جانب

الدِّحال (1) وكان متزهدًا متعففًا مع بنات آوى وذئاب وثعالب ولم يكن يصنع ما يصنعن ولا يغير (2) كما يغرن ولا يهريق (3) دمًا ولا يأكل لحمًا ولا يظلم طرفة عين * فخاصمته تلك السباع (4) وقلن نحن لا نرى (5) سيرتك (6) ولا رأيك الذي أنت عليه من تزهدك مع أن تزهدك لا يغني (7) عنك شيئًا * وأنت لا تستطيع أن تكون إلا كأحدنا تسعى معنا وتفعل فعلنا. وأي شيء يشبه كفك عن الدماء وعن أكل اللحم * قال ابن آوى إن صحبتي إياكن لا تؤثمني (8) إذا لم أؤثم نفسي لأن الآثام ليست من قبل الأماكن والأصحاب ولكنها من قبل القلوب والأعمال. ولو كان صاحب المكان الصالح يكون عمله فيه صالحًا وصاحب المكان السيء يكون عمله فيه سيئًا كان حينئذ من قتل الناسك في محرابه (9) لم يأثم ومن استحياه (10) في معركة القتال أثم. وإني إنما صحبتكن بنفسي ولم أصحبكن بقلبي وأعمالي لأني أعرف ثمرة الأعمال فلزمت حالي * وإنما صحبتكن مودة مني لكن.

١ جمع دحل وهو ثقب فمه ضيق واسفله متسع ٢ يغزو ٣ يهرق ٤ الحيوانات المفترسة ٥ من الرأي اي لا نستحسن ٦ اي من تصرفك ٧ اي لا ينفع ٨ تجعلني ذا اثم اي ذنب ٩ مقام الامام في المسجد ١٠ البقدحيا

وإن كانت صحبتي تضر بكن فلا، لكن والمواضع كثيرة *

وثبت ابن آوى على حاله تلك واشتهر بالنسك والتزهد حتى بلغ ذلك أسدًا كان ملك تلك الناحية. فرغب فيه لما بلغه عنه من العفاف والنزاهة والزهد والأمانة فأرسل إليه يستدعيه. فلما حضر كلمه وآنسه فوجده في جميع أموره على رضاه. ثم دعاه بعد أيام إلى صحبته وقال له تعلم أن عمالي كثير (1) وأعواني جم (2) غفير (3) وأنا مع ذلك إلى الأعوان محتاج. وقد بلغني عنك عفاف وأدب وعقل ودين وقد اختبرتك فوجدتك كذلك فازددت فيك رغبة. وأنا موليك من عملي جسيمًا (4) ورافعك إلى منزلة شريفة وجاعلك من خاصتي * قال ابن آوى إن الملوك أحقاء (5) باختيار الأعوان فيما يهتمون به من أعمالهم وأمورهم ممن لهم الخبرة بذلك. وهم أحرى (6) أن لا يكرهوا (7) على ذلك أحدًا فإن المكره لا يستطيع المبالغة في العمل. وإني لعمل السلطان كاره وليس لي به تجربة ولا بالسلطان رفق. وأنت

١ جمع ٢ كثير ٣ عطياً ٤ جمع حقيق بمعنى جدير ٥ اولى ٦ يجبروا
٧ حسن تصرف

ملك السباع وعندك من أجناس الوحوش عدد كثير فيهم أهل نبل وقوة ولهم على العمل حرص وعندهم به وبالسلطان رفق. فإن استعملتهم أغنوا عنك[1] واغتبطوا[2] لأنفسهم بما أصابهم من ذلك * قال الأسد دع عنك هذا فإني غير معفيك من العمل * قال ابن آوى إنما يقدم على خدمة السلطان غير هائب رجلان لست بواحد منهما اما مصانع[3] ينال حاجته بفجوره ويسلم بمصانعته. وإما هين[4] لا يحسده أحد. وأما من أراد أن يخدم السلطان بالصدق والعفاف غير خالط ذلك بمصانعته فقل أن يسلم على ذلك. لأنه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد. أما الصديق فينافسه[5] في منزلته ويبغي عليه[6] فيها ويعاديه لأجلها ويشي[7] عليه كذبا. فإذا لقيت الوشاية أذنا واعية[8] من الملك كان في ذلك هلاكه. وأما عدو السلطان فيضطغن[9] عليه لنصيحته لسلطانه واغنائه عنه فيعمل على هلاكه[10] ويتربص به ريب المنون[11] فإذا اجتمع

١ اي نفعوك ٢ عدّوا انفسهم سعداء ٣ مداهن مدلس ٤ من الهون
٥ يغالبه في ان يكون انفس منه ٦ يظلمه ٧ من الوشاية وهي الافتراء ٨ اي قابلة لما تسمع ٩ يحقد ١٠ يسعى به ١١ ينتظر به حوادث الدهر ليتمكن منه

عليه هذان الصنفان فقد تعرض للهلاك

قال الأسد لا يكونن بغي أصحابي عليك وحسدهم إياك وعداوة أعدائي لك مما يعرض في نفسك[1] فأنت معي وأنا أكفيك ذلك[2] وأبلغ بك من درجات الكرامة والإحسان على قدر همتك * قال ابن آوى إن كان الملك يريد الإحسان إلي فليدعني في هذه البرية أعيش آمنا قليل الهم راضيا بعيشي من الماء والعشب. فإني قد علمت أن صاحب السلطان يصل إليه من الأذى والخوف في ساعة واحدة ما لا يصل إلى غيره في طول عمره وأنه يتصل إليه النفع ساعة واحدة ثم هو في الخوف سرمدا[3] وإن قليلا من العيش في أمن وطمأنينة خير من كثير من العيش في خوف ونصب[5] * قال الأسد قد سمعت مقالتك فلا تخف شيئا مما أراك تخاف منه. ولست أجد بدا من الاستعانة بك في أمري * قال ابن آوى أما إذا أبى الملك إلا ذلك فليجعل الملك لي عهدا إن بغى علي أحد من أصحابه ممن هو فوقي مخافة على منزلته أو ممن هو دوني ليزاحمني

١ اي يخطر في بالك ٢ اي ادفعه عنك ٣ ابدا ٤ [illegible] ٥ [illegible]

على منزلتي . فذكر عند الملك منهم ذاكر بلسانه أو على لسان غيره ما يريد به تحريش(1) الملك علي . أن لا يعجل في أمري وأن يتثبت فيما رفع إليه ويذكر عنده من ذلك ويفحص عنه ثم ليصنع ما بدا له . فإذا وثقت منه بذلك أعنته بنفسي فيما يجب له طاعة له وعملت له فيما ولاني(2) بنصيحة واجتهاد وحرصت على أن لا أجعل له على نفسي سبيلا(3) ٭ قال الأسد لك علي ذلك وزيادة . ثم ولاه خزائنه(4) واختص به دون أصحابه وزاد في كرامته

فلما رأى أصحاب الأسد ذلك غاظهم وساءهم فأجمعوا كيدهم(5) واتفقوا كلهم على أن يحرشوا عليه الأسد ٭ وكان الأسد قد استطاب لحما فعزل(6) منه مقدارا وأمر ابن آوى بالاحتفاظ به وأن يرفعه في أحصن موضع طعامه وأحرزه(7) ليعاد عليه . فأخذوه من موضعه وحملوه إلى بيت ابن آوى فخبأوه فيه ولا علم له به . ثم حضروا ليكذبوه إذا جرت في ذلك حال . فلما كان

١ تهييج ٢ خولني واعطاني ٣ اي وجها للوم ٤ جعل له عليه الولاية والسلطة ٥ اجتمعوا عليه ٦ نحى ٧ بمعنى احصن

من الغد دعا الأسد بغدائه ففقد ذلك اللحم والتمسه فلم يجده . وابن آوى لم يشعر بما صنع في حقه من المكيدة وهو غائب في خدمة الأسد وأشغاله . فحضر الذين عملوا المكيدة وقعدوا في المجلس . ثم إن الأسد سأل عن اللحم وشدد فيه وفي السؤال عنه فنظر بعضهم إلى بعض فقال أحدهم قول المخبر الناصح إنه لا بد لنا من أن نخبر الملك بما يضره وينفعه وإن شق ذلك على من يشق عليه ٭ وإنه بلغني أن ابن آوى هو الذي ذهب باللحم إلى منزله ليأكله دون الملك ٭ قال الآخر ما أراه يفعل هذا ولكن انظروا وافحصوا فإن معرفة الخلائق(1) شديدة ٭ وقال الآخر لعمري ما تلبث السرائر أن تعرف . وأظنكم إن فحصتم عن هذا وجدتم اللحم في بيت ابن آوى . وكل شيء يذكر من عيوبه وخيانته نحن أحق أن نصدقه(2) ٭ قال الآخر لئن وجدنا هذا حقا لم تكن(3) بالخيانة فقط ولكن مع الخيانة كفر(4) النعمة والجراءة على الملك ٭ قال الآخر أنتم

١ خلائق الله ٢ تأتي بما يكون معه قابلة اي شاهدا على صدقه ٣ اي هذه الفعلة ٤ انكار وجحد

أهل الفضل لا أستطيع أن أكذبكم . ولكن سيبين هذا
لو أرسل الملك إلى بيته من يفتشه * قال الآخر إن كان
الملك مفتشا منزله فليعجل فإن عيونه[1] وجواسيسه مبثوثة[2]
بكل مكان * ولم يزالوا في هذا الكلام وأشباهه حتى وقع[3]
في نفس الأسد ذلك . فأمر بابن آوى فحضر

فقال له أين اللحم الذي أمرتك بالاحتفاظ به . قال
دفعته[4] إلى صاحب الطعام ليقربه إلى الملك . فدعا الأسد
بصاحب الطعام وكان ممن شايع وبايع[5] مع القوم على
ابن آوى فقال ما دفع إلي شيئا . فأرسل الأسد أمينا إلى
بيت ابن آوى ليفتشه فوجد فيه ذلك اللحم فأتى به
الأسد . فدنا من الأسد ذئب لم يكن يتكلم في شيء من
ذلك وكان يظهر أنه من العدول[6] الذين لا يتكلمون فيما
لا يعلمون حتى يتبين لهم الحق . فقال بعد[7] أن اطلع الملك
على خيانة ابن آوى لا يعفون عنه فإنه إن عفا عنه
لم يطلع الملك بعدها على خيانة خائن ولا ذنب مذنب .

١ بمعنى الجواسيس ٢ منتشرة ٣ اثر ٤ اي اعطيته ٥ اي تعصب
٦ جمع عدل بمعنى عادل ٧ وفي وما بعدها مفعول قال

فأمر الأسد بابن آوى أن يخرج وإن لم يحتفظ به[1] .
فقال بعض جلساء الملك إني لأعجب من رأي الملك
ومعرفته بالأمور كيف يخفى عليه أمر هذا ولم يعرف خبه[2]
ومخادعته . وأعجب من هذا أني أراه سيصفح عنه بعد الذي
ظهر منه . فأرسل الأسد بعضهم رسولا إلى ابن آوى
يلتمس منه العذر عن أمره . فرجع إليه الرسول برسالة كاذبة
اختلقها[3] . فغضب الأسد من ذلك وأمر بابن آوى أن
يقتل * فعلمت أم الأسد أنه قد عجل في أمره فأرسلت إلى
الذين أمروا بقتله أن يؤخروه[4] . ودخلت على ابنها فقالت
يا بني بأي ذنب أمرت بقتل ابن آوى فأخبرها بالأمر .
فقالت يا بني عجلت وإنما يسلم العاقل من الندامة بترك
العجلة وبالتثبت . والعجلة لا يزال صاحبها يجتني ثمرة
الندامة بسبب ضعف الرأي . ومن لم ينظر في أموره نظر
منكر كان نظره كنظر الذي يكون بعينيه سبل[5] فيخيل
له[6] أن أمامها كهيئة شعرة وكان كالرجل الجاهل الذي

١ اي يجعل تحت الحفظ ٢ بمعنى الخداع ٣ صنعها ٤ يؤخروه
٥ شبه غشاوة تعرض للعين ٦ يتوهم

يسمع صوت البعوضة في الليل فيظنها لشدة صوتها شيئا فإذا وصلت إليه علم أنها ليست بشيء. وليس أحد أحوج إلى التؤدة [1] والتثبت من الملوك. فإن المرأة بزوجها والولد بوالديه والمتعلم بالمعلم والجند بالقائد والناسك بالدين والعامة بالملوك والملوك بالتقوى والتقوى بالعقل والعقل بالتثبت والأناة [2]. ورأس الحزم للملك معرفة أصحابه وإنزالهم منازلهم على طبقاتهم واتهامه بعضهم [3] على بعض فإنه لو وجد بعضهم إلى هلاك بعض سبيلا لفعل

وقد جربت ابن آوى وبلوت [4] رأيه وأمانته ومروءته ثم لم تزل مادحا له راضيا عنه. وقد اتهمته بشيء لا صحة له ولا تعلم صدقه من كذبه ولعل ذلك عمل أهل الكذب والحسد والخيانة من وزرائك. لأن الملك إذا تهاون في أمر وزرائه وتغافل عنهم دخل عليه في ذلك ما تكره عاقبته. والملك أخبر من طريق العقل أن الأشرار يحسدون الأخيار ويرقبونهم ليوقعوا بهم. وليس ينبغي للملك

---

١ التأني ٢ التأني ايضاً ٣ اي شكه بهم ٤ اختبرت

أن يستخينه بعد ارتضائه إياه واتخاذه له. ومنذ مجيئه إلى الآن لم يطلع له على خيانة إلا على العفة والنصيحة. وما كان من رأي الملك أن يعجل عليه لأجل طابق [1] لحم. وأنت أيها الملك حقيق أن تنظر في حال ابن آوى. وتعلم أنه لم يكن يتعرض للحم ولا يأكله. كيف لحم استودعه إياه. ولعل الملك إن فحص عن ذلك ظهر له أن ابن آوى له خصماء هم الذين ائتمروا بهذا الأمر وهم الذين ذهبوا باللحم إلى بيته فوضعوه فيه. وإن الحدأة إذا كان في رجلها قطعة لحم اجتمع عليها سائر الطير وكذا الكلب إذا كان معه عظم اجتمعت عليه الكلاب. وابن آوى منذ كان إلى اليوم نافع وكان محتملا لكل ضرر في جنب منفعة تصل إليك ولكل عناء [2] يكون لك فيه راحة ولم يكن يطوي دونك سرا

فبينما أم الأسد تقص عليه هذه المقالة إذ دخل عليه بعض ثقاته فأخبره ببراءة ابن آوى. فقالت أم الأسد إن الملك بعد أن اطلع على براءة ابن آوى حقيق أن لا

---

١ وعاء يطبخ به ٢ تعب

يتساهل مع من سعى به[1] لئلا يتجرأوا على ما هو أعظم من ذلك. ولكن يعاقبهم عليه لكي لا يعود إلى مثله. ولا تحتقر ما فعلوا معك فإن العشب وإن كان لا قوة له يصنع منه الحبل الذي يوثق[2] به الفيل. فإنه لا ينبغي للعاقل أن يراجع[3] في أمر الكفور للحسنى والجريء على الغدر والزاهد في الخير والذي لا يوقن بالآخرة ويتيقن أنه يجزى بعمله. وقد عرفت سرعة الغضب وفرط[4] الهفوة ومن سخط باليسير لم يبلغ رضاه بالكثير. والأولى لك أن تراجع ابن آوى وتعطف عليه ولا يؤيسنك[5] من مناصحته ما فرط منك إليه من الإساءة. فإن من الناس من لا ينبغي تركه على حال من الأحوال وهو من عرف بالصلاح والكرم وحسن العهد والشكر والوفاء والمحبة للناس والسلامة من الحسد والبعد من الأذى والاحتمال للإخوان والأصحاب وإن ثقلت عليه منهم المؤونة[6]. وأما من ينبغي تركه فهو من عرف بالشراسة ولؤم العهد وقلة الشكر والوفاء والبعد عن الرحمة

١ اي افسد عليه ٢ يقيّد ٣ اي يقاوم ٤ مصدر فرط منه الكلام مثلاً اي سقط ٥ يقطع املك ٦ اي الكلفة

والورع[1] واتصف بالجحود[2] لثواب الآخرة وعقابها. وقد عرفت ابن آوى وجربته وأنت حقيق بمواصلته.

فدعا الأسد بابن آوى واعتذر إليه مما كان منه ووعده خيراً وقال إني معتذر إليك ورادك إلى منزلتك. فقال ابن آوى أوليس هذا الذي خفت منه في أول ما طلبت والذي لأجله امتنعت مما عرضته عليّ من صحبتك وتولي خدمتك. وإن شر الأخلاء من التمس منفعة نفسه بضر أخيه ومن كان غير ناظر له كنظره لنفسه أو كان يريد أن يرضيه بغير الحق لأجل اتباع هواه وكثيراً ما يقع ذلك بين الأخلاء. وقد كان من أمرك إليّ ما علمت ولا ينبغي للملك أن يطمئن إلى من عاقبه أشد العقوبة من نزعه عن عمله أو أخذ ماله بغير ذنب. أو من كان للكرامة أهلاً فلم يعرف له ذلك ولم يعطه ما هو أهله. أو كان مظلوماً ولم ينظر في أمره. أو كان من أهل الطمع فلم يصب ما يرجوه. أو كان بين قوم قد اجترموا جريمة[3] هو منها بريء فأخذ هو بها من بينهم وخلي

١ التقوى ٢ الانكار ٣ اذنبوا ذنباً

سبيلهم * فمثل هؤلاء لا ينبغي للملك أن يصحبهم. ولست
أيها الملك أحد هؤلاء. فلعل الملك يقول إن ابن آوى لا
ينسى الذي لقيه من الهوان فيقتص مني. وأنا يعلم الله
أن ليس في قلبي شيء من قبل هذا وإنما خوفي أن يفعلوا في
ذلك مرة أخرى. فلا يغلظن على نفس الملك ما أخبره
أني به غير واثق وأنه لا ينبغي لي أن أصحبه * وإن الملك
لا ينبغي له أن يصحب من كان مثلي ولا ينبغي له أن يرفضه
أصلا. فإن ذا السلطان [1] إذا عزل كان مستحقا للكرامة
في حالة إبعاده والإقصاء [2] له * فلم يلتفت الأسد إلى كلامه
ثم قال له إني قد بلوت طباعك وأخلاقك وجربت أمانتك
ووفاءك وعرفت كذب من محل بك [3] وإني منزلك من نفسي
منزلة الأخيار الكرماء والكريم تنسيه الخلة [4] الواحدة
من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة. وقد عدنا إلى
الثقة بك فعد إلى الثقة بنا فإنه كائن لنا ولك بذلك غبطة
وسرور * فعاد ابن آوى إلى ولاية ما كان يلي [5] وضاعف له
الأسد الكرامة ولم تزده الأيام إلا تقربا منه

١ اي السلطة ٢ بمعنى الابعاد ٣ سعى ومكر ٤ اي الامر ٥ يتولى عمله

بابُ
اللبوة [1] والإسوار [2] والشعهر

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا
المثل فاضرب لي مثلا في شأن من يدع ضر غيره إذا قدر
عليه بما يصيبه من الضرر ويكون له مما ينزل به واعظ
وزاجر عن ارتكاب الظلم والعدوان لغيره

قال الفيلسوف إنه لا يقدم على طلب ما يضر بالناس
ويسوءهم إلا أهل الجهالة والسفه [3] وسوء النظر في العواقب
من أمور الدنيا والآخرة وقلة العلم بما يدخل عليهم في
ذلك من حلول النقمة وبما يلزمهم من تبعة [4]. [illegible]
مما لا تحيط به العقول. وإن سلم بعضهم من ضرر بعض
باتفاق عرض له قبل أن ينزل به وبال [5] ما صنع لم يسلم
في كل مرة. فإن من لم يفكر في العواقب لم يأمن
المصائب وكان حقيقا أن لا يسلم من المعاطب [6] وربما

١ أنثى الاسد ٢ الصياد ٣ بمعنى [illegible] الطيش ٤ [illegible] العاقبة
سيئة ٥ سوء عاقبة ٦ المهالك

اتعظ الجاهل واعتبر[1] بما يصيبه من المضرة من الغير فارتدع
عن أن يغشى[2] أحداً بمثل ذلك من الظلم والعدوان وحصل
له نفع ما كف عنه من ضرره لغيره في العاقبة * ومثل ذلك
حديث اللبوة والإسوار والشعهر · قال الملك وكيف
كان ذلك

قال الفيلسوف زعموا أن لبوة كانت في غيضة ولها
شبلان[3] · وإنها خرجت في طلب الصيد وخلفتهما في كهفهما ·
فمر بهما إسوار فحمل[4] عليهما ورماهما فقتلهما وسلخ جلديهما
فاحتقبهما[5] وانصرف بهما إلى منزله · ثم إنها رجعت فلما
رأت ما حل بهما من الأمر الفظيع اضطربت ظهراً لبطن
وصاحت وضجت · وكان إلى جنبها شعهر فلما سمع ذلك من
صياحها قال لها ما هذا الذي تصنعين وما نزل بك أخبريني
به · قالت اللبوة شبلاي مر بهما إسوار فقتلهما وسلخ جلديهما
فاحتقبهما ونبذهما[6] في العراء[7] · قال لها الشعهر لا تضجي
وأنصفي من نفسك[8] واعلمي أن الدنيا دار مك[illegible]ة

١ من العبرة وهو ما تحذره من أمثاله ٢ أي يصيب ٣ [illegible] الاسد ٤ عطف وهجم ٥ ربطهما خلفه على ركوبته ٦ طرحهما ٧ الفضاء ٨ خذي حقك منها

ففاعل الخير يحمده وفاعل الشر يجني ثمره · وإن هذا الإسوار
لم يأت إليك[1] شيئاً إلا وقد كنت تفعلين بغيرك مثله
وتأتين مثل ذلك إلى غير واحد ممن كان يجد بحميمه[2] ومن
يعز عليه مثل ما تجدين بشبليك · فاصبري من غيرك على ما
صبر غيرك عليه منك · فإنه قد قيل كما تدين تدان ولكل
عمل ثمرة من الثواب والعقاب وهما على قدره في الكثرة
والقلة كالزرع إذا حضر الحصاد أعطى على حسب بذره

قالت اللبوة بين لي ما تقول وأفصح لي عن إشارته ·
قال الشعهر كم أتى لك من العمر قالت اللبوة كذا وكذا
سنة · قال الشعهر ما كان قوتك فيه · قالت اللبوة لحم
الوحش · قال الشعهر ومن كان يطعمك إياه · قالت اللبوة
كنت أصيد الوحش وآكله · قال الشعهر أرأيت الوحوش
التي كنت تأكلين أما كان لها آباء وأمهات · قالت بلى ·
قال الشعهر فما بالي لا أرى ولا أسمع لأولئك الآباء
والأمهات من الجزع ما أرى وأسمع لك · أما إنه لم ينزل
بك ما نزل إلا لسوء نظرك في العواقب وقلة تفكرك فيها

١ لم يعمل بك ٢ الحميم القريب الذي تهتم لامره ٣ حرف [illegible]

وَجِهَالَتِكَ بِمَا يَرْجِعُ عَلَيْكَ مِنْ ضَرِّهَا . فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱللَّبُؤَةُ ذٰلِكَ مِنْ كَلَامِ ٱلشَّعْهَرِ عَرَفَتْ أَنَّ ذٰلِكَ مِمَّا جَنَتْ عَلَى نَفْسِهَا[1] وَأَنَّ عَمَلَهَا كَانَ جَوْرًا وَظُلْمًا . فَتَرَكَتِ ٱلصَّيْدَ وَٱنْصَرَفَتْ عَنْ أَكْلِ ٱللَّحْمِ إِلَى أَكْلِ ٱلثِّمَارِ وَٱلنُّسْكِ وَٱلْعِبَادَةِ . فَلَمَّا رَأَى ذٰلِكَ وَرَشَانٌ[2] كَانَ صَاحِبَ تِلْكَ ٱلْغَيْضَةِ وَكَانَ عَيْشُهُ مِنَ ٱلثِّمَارِ . قَالَ لَهَا قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ ٱلشَّجَرَ عَامَنَا[3] هٰذَا لَمْ تَحْمِلْ لِقِلَّةِ ٱلْمَاءِ . فَلَمَّا أَبْصَرْتُكِ تَأْكُلِينَهَا وَأَنْتِ آكِلَةُ ٱللَّحْمِ فَتَرَكْتِ رِزْقَكِ وَطَعَامَكِ وَمَا قَسَمَ ٱللّٰهُ لَكِ وَتَحَوَّلْتِ إِلَى رِزْقِ غَيْرِكِ فَٱنْتَقَصْتِهِ[4] وَدَخَلْتِ عَلَيْهِ فِيهِ[5] . عَلِمْتُ أَنَّ ٱلشَّجَرَ ٱلْعَامَ أَثْمَرَتْ كَمَا كَانَتْ تُثْمِرُ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ وَإِنَّمَا أَتَتْ قِلَّةُ ٱلثَّمَرِ مِنْ جِهَتِكِ . فَوَيْلٌ لِلشَّجَرِ وَوَيْلٌ لِلثِّمَارِ وَوَيْلٌ لِمَنْ عَيْشُهُمْ مِنْهَا مَا أَسْرَعَ هَلَاكَهُمْ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ وَغَلَبَهُمْ عَلَيْهَا مَنْ لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَظٌّ وَلَمْ يَكُنْ مُعْتَادًا لِأَكْلِهَا . فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱللَّبُؤَةُ ذٰلِكَ مِنْ كَلَامِ ٱلْوَرَشَانِ تَرَكَتْ أَكْلَ ٱلثِّمَارِ وَأَقْبَلَتْ عَلَى أَكْلِ ٱلْعُشْبِ وَٱلْعِبَادَةِ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ ٱلْجَاهِلَ رُبَّمَا

1 اجرّت اليها من الذنب 2 طائر 3 اي في عامنا 4 اي اخذت منه 5 اي غالبته عليه

ٱنْصَرَفَ بِضَرِّ يُصِيبُهُ عَنْ ضَرِّ ٱلنَّاسِ كَٱللَّبُؤَةِ ٱلَّتِي ٱنْصَرَفَتْ لِمَا لَقِيَتْ فِي شِبْلَيْهَا عَنْ أَكْلِ ٱللَّحْمِ ثُمَّ عَنْ أَكْلِ ٱلثِّمَارِ بِقَوْلِ ٱلْوَرَشَانِ وَأَقْبَلَتْ عَلَى ٱلنُّسْكِ وَٱلْعِبَادَةِ

وَٱلنَّاسُ أَحَقُّ بِحُسْنِ ٱلنَّظَرِ فِي ذٰلِكَ فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ مَا لَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ لَا تَصْنَعْهُ لِغَيْرِكَ فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ ٱلْعَدْلَ وَفِي ٱلْعَدْلِ رِضَى ٱللّٰهِ تَعَالَى وَرِضَى ٱلنَّاسِ

بَابُ
إِيلَاذَ وَبِلَاذَ وَإِيرَاخْتَ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي ٱلْأَشْيَاءِ ٱلَّتِي يَجِبُ عَلَى ٱلْمَلِكِ أَنْ يَلْزَمَ بِهَا نَفْسَهُ وَيَحْفَظَ مُلْكَهُ وَيُثَبِّتَ بِهَا سُلْطَانَهُ وَيَكُونَ ذٰلِكَ رَأْسَ أَمْرِهِ وَمِلَاكَهُ[1] . أَٱلْحِلْمُ أَمِ ٱلْمُرُوءَةُ أَمِ ٱلشَّجَاعَةُ أَمِ ٱلْجُودُ . قَالَ بَيْدَبَا إِنَّ أَحَقَّ مَا يَحْفَظُ بِهِ ٱلْمَلِكُ مُلْكَهُ ٱلْحِلْمُ وَبِهِ تَثْبُتُ ٱلسَّلْطَنَةُ . وَٱلْحِلْمُ رَأْسُ ٱلْأُمُورِ وَمِلَاكُهَا

1 قوامه

وأجود ما كان في الملوك

كالذي زعموا أنه كان ملك يدعى بلاذ وكان له وزير يدعى إيلاذ وكان متعبدا ناسكا. وإن الملك نام ذات ليلة فرأى في منامه ثمانية أحلام أفزعته فاستيقظ مرعوبا. فدعا بالبراهمة وهم النساك ليعبروا رؤياه. فلما حضروا بين يديه قص عليهم ما رأى فقالوا بأجمعهم لقد رأى الملك عجبا. فإن أمهلنا سبعة أيام جئناه بتأويله. قال الملك قد أمهلتكم فخرجوا من عنده ثم اجتمعوا في منزل أحدهم وأتمروا بينهم. وقالوا قد وجدتم علما واسعا تدركون به ثأركم وتنتقمون من عدوكم وقد علمتم أنه قتل منا بالأمس اثني عشر ألفا. وها هو قد أطلعنا على سره وسألنا تفسير رؤياه. فهلم نغلظ له القول ونخيفه حتى يحمله الفرق[1] والجزع[2] على أن يفعل الذي نريد. ونأمره فنقول ادفع إلينا أحباءك ومن يكرم عليك حتى نقتلهم. فإنا قد نظرنا في كتبنا فلم نر أن يدفع عنك ما رأيت لنفسك وما وقعت فيه من هذا الشر إلا بقتل من نسمي لك. فإن قال الملك

١ الخوف ٢ خلاف الصبر

ومن تريدون أن تقتلوا سموهم لي. قلنا نريد الملكة إيراخت أم جوير المحمودة أكرم نسائك عليك. ونريد جوير أحب بنيك إليك وأفضلهم عندك. ونريد كال الكاتب صاحب سرك وسيفك الذي لا يوجد مثله والفيل الأبيض الذي لا تلحقه الخيل والفرس الذي هو مركبك في القتال. ونريد الفيلين العظيمين اللذين يكونان مع الفيل الذكر. ونريد البختي[1] السريع القوي. ونريد كباريون الحكيم الفاضل العالم بالأمور لننتقم منه بما فعل بنا * ثم نقول له إنما ينبغي لك أيها الملك أن تقتل هؤلاء الذين سميناهم لك ثم تجعل دماءهم في حوض تملأه ثم تقعد فيه. فإذا خرجت من الحوض اجتمعنا نحن معشر البراهمة من الآفاق الأربعة نجول حولك فنرقيك[2] ونتفل عليك ونمسح عنك الدم ونغسلك بالماء والدهن الطيب. ثم تقوم إلى منزلك البهي فيدفع الله بذلك البلاء الذي تتخوفه عليك * فإن صبرت أيها الملك وطابت نفسك عن أحبائك الذين ذكرنا لك وجعلتهم فداءك تخلصت من البلاء واستقم

١ واحد البخت وهي الابل الخراسانية ٢ من اعمال السحر

لك ملكك وسلطانك واستخلفت من بعدهم من أحببت. وإن أنت لم تفعل تخوفنا عليك أن يغصب[١] ملكك أو تهلك. فإن هو أطاعنا فيما نأمره قتلناه شر قتلة.

فلما أجمعوا أمرهم على ما ائتمروا فيه رجعوا إليه في اليوم الثامن وقالوا له أيها الملك إنا نظرنا في كتبنا تفسير ما رأيت وفحصنا عن الرأي فيما بيننا. فليكن لك أيها الملك الطاهر الصالح والكرامة. ولسنا نقدر أن نعلمك بما رأينا إلا أن تخلو بنا وتؤمننا. فأخرج الملك من كان عنده وخلا بهم فحدثوه بالذي ائتمروا فيه. فقال لهم الموت خير لي من الحياة إن أنا قتلت هؤلاء الذين هم عديل[٢] نفسي. وأنا ميت لا محالة والحياة قصيرة ولست كل الدهر ملكاً وإن الموت عندي وفراق الأحباب سواء فضلاً عما أرتكبه من الإثم في قتلهم * قال له البرهميون إن أنت لم تغضب أخبرناك. فأذن لهم فقالوا أيها الملك إنك لم تقل صواباً حين تجعل نفس غيرك أعز عندك من نفسك. فاحتفظ بنفسك وملكك هذا الذي فيه لك الرجاء

١ يؤخذ قهراً ٢ مثل ونظير [illegible]

العظيم على ثقة ويقين وقرّ عيناً بملكك في وجوه أهل مملكتك الذين شرفت وكرمت بهم. ولا تدع الأمر العظيم وتأخذ بالضعيف فتهلك نفسك إيثاراً[١] لمن تحب * واعلم أيها الملك أن الإنسان إنما يحب الحياة محبة لنفسه وأنه لا يحب من أحب من الأحباب إلا ليتمتع به في حياته. وإنما قوام نفسك بعد الله بملكك. وإنك لم تنل ملكك إلا بالمشقة والعناء الكثير في الشهور والسنين وليس ينبغي أن ترفضه ويهون عليك. فاستمع كلامنا وانظر لنفسك مناها[٢] ودع ما سواها فإنه لا خطر له * فلما رأى الملك أن البرهميين قد أغلظوا له في القول واجترأوا عليه في الكلام اشتد غمه وحزنه وقام من بين ظهرانيهم[٣] ودخل إلى حجرته فخر[٤] على وجهه يبكي ويتقلب كما تتقلب السمكة إذا خرجت من الماء. وجعل يقول في نفسه ما أدري أي الأمرين أعظم في نفسي الهلكة أم قتل أحبائي. ولن أنال الفرح ما عشت وليس ملكي بباق علي إلى الأبد ولست بالمصيب سؤلي في ملكي وإني لزاهد في الحياة إذا لم أر إيراخت

١ تفضلاً ٢ ما تتمناه ٣ من وسطهم ٤ سقط

وَجُوِيرَ. وَكَيْفَ أَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ بِمُلْكِي اذا هَلَكَ وَزِيرِي
إِيلَاذُ وَكَيْفَ أَضْبِطُ أَمْرِي إِذا هَلَكَ فِيلِيَ الْأَبْيَضُ وَفَرَسِي
الْجَوَادُ وَكَيْفَ أُدْعَى مَلِكًا وَقَدْ قَتَلْتُ مَنْ أَشَارَ الْبَرَاهِمَةُ بِقَتْلِهِ
وَمَا أَصْنَعُ بِالدُّنْيَا بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ إِنَّ الْحَدِيثَ فَشَا فِي الْأَرْضِ بِحُزْنِ الْمَلِكِ وَهَمِّهِ.
فَلَمَّا رَأَى إِيلَاذُ مَا نَالَ(١) الْمَلِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ فَكَّرَ فِي
حِكْمَتِهِ وَنَظَرَ وَقَالَ مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَسْتَقْبِلَ الْمَلِكَ فَأَسْأَلَهُ
عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ نَالَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْعُوَنِي. ثُمَّ
انْطَلَقَ إِلَى إِيرَاخْتَ فَقَالَ إِنِّي مُنْذُ خَدَمْتُ الْمَلِكَ إِلَى الْآنَ
لَمْ يَعْمَلْ عَمَلًا إِلَّا بِمَشُورَتِي وَرَأْيِي. وَأَرَاهُ يَكْتُمُ عَنِّي أَمْرًا
لَا أَعْلَمُ مَا هُوَ وَلَا أَرَاهُ يُظْهِرُ مِنْهُ شَيْئًا. وَإِنِّي رَأَيْتُهُ خَالِيًا
مَعَ جَمَاعَةِ الْبَرَاهِمِيِّينَ مُنْذُ لَيَالٍ وَقَدِ احْتَجَبَ عَنَّا فِيهَا. وَأَنَا
خَائِفٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَسْرَارِهِ فَلَسْتُ
آمَنُهُمْ أَنْ يُشِيرُوا عَلَيْهِ بِمَا يَضُرُّهُ وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْهُ السُّوءُ.
فَقُومِي وَادْخُلِي عَلَيْهِ فَاسْأَلِيهِ عَنْ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ وَأَخْبِرِينِي بِمَا
هُوَ عَلَيْهِ وَأَعْلِمِينِي فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الدُّخُولِ عَلَيْهِ.

١ اصاب

فَلَعَلَّ الْبَرَاهِمِيِّينَ قَدْ زَيَّنُوا لَهُ أَمْرًا وَحَمَلُوهُ عَلَى خُطَّةٍ(١) قَبِيحَةٍ
وَقَدْ عَلِمْتِ أَنَّ مِنْ خُلُقِ الْمَلِكِ أَنَّهُ إِذَا غَضِبَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا
وَسَوَاءٌ عِنْدَهُ صَغِيرُ الْأُمُورِ وَكَبِيرُهَا * فَقَالَتْ إِيرَاخْتُ إِنَّهُ
كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَلِكِ بَعْضُ الْعِتَابِ فَلَسْتُ بِدَاخِلَةٍ عَلَيْهِ فِي
هَذِهِ الْحَالِ. فَقَالَ لَهَا إِيلَاذُ لَا تَحْمِلِي عَلَيْهِ الْحِقْدَ فِي مِثْلِ هَذَا
وَلَا يَخْطُرَنَّ ذَلِكَ عَلَى بَالِكِ فَلَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى الدُّخُولِ عَلَيْهِ
أَحَدٌ سِوَاكِ. وَقَدْ سَمِعْتُهُ كَثِيرًا يَقُولُ مَا اشْتَدَّ غَمِّي وَدَخَلَتْ
عَلَيَّ إِيرَاخْتُ إِلَّا سُرِّيَ(٢) ذَلِكَ عَنِّي. فَقُومِي إِلَيْهِ وَاصْفَحِي عَنْهُ
وَكَلِّمِيهِ بِمَا تَعْلَمِينَ أَنَّهُ تَطِيبُ بِهِ نَفْسُهُ وَيَذْهَبُ الَّذِي يَجِدُهُ
وَأَعْلِمِينِي بِمَا يَكُونُ جَوَابُهُ فَإِنَّ بِذَلِكَ لَنَا وَلِأَهْلِ الْمَمْلَكَةِ
أَعْظَمَ الرَّاحَةِ.

فَانْطَلَقَتْ إِيرَاخْتُ فَدَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ فَجَلَسَتْ عِنْدَ
رَأْسِهِ فَقَالَتْ مَا الَّذِي بِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَحْمُودُ وَمَا الَّذِي
سَمِعْتَ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ فَإِنِّي أَرَاكَ مَحْزُونًا فَأَعْلِمْنِي مَا بِكَ فَقَدْ
يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحْزَنَ مَعَكَ وَنُوَاسِيَكَ(٣) بِأَنْفُسِنَا. فَقَالَ الْمَلِكُ
أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ لَا تَسْأَلِينِي عَنْ أَمْرِي فَتَزِيدِينِي غَمًّا وَحُزْنًا. فَإِنَّهُ

١ اي امر ٢ أُزِيل ٣ نساويك

أمرٌ لا ينبغي أن تسأليني عنه . قالت أوَقد نزلت عندك منزلةَ
من يستحقّ هذا . إنما أحمد الناسِ عقلاً من إذا نزلت بهِ
النازلاتُ كان لنفسهِ أشدَّ ضبطًا وأكثرهم (١) استماعًا من
أهلِ النصحِ حتى ينجوَ من تلك النازلةِ بالحيلةِ والعقلِ والبحثِ
والمشاورةِ فعظيمُ الذنبِ لا يقنط (٢) من الرحمةِ . ولا تُدخلنَّ
عليك شيئًا من الهمّ والحزنِ فإنهما لا يردّان شيئًا مقضيًا إلّا
أنهما ينحلان الجسمَ ويشفيان العدوّ . والصبرُ عند نزول
المصيبةِ عبادةٌ وسوف تحمدُ أمرك إن أخبرتني . قال لها
الملكُ لا تسأليني عن شيءٍ فقد شققتِ عليّ (٣) . والذي
تسأليني عنه لا خيرَ فيهِ لأنّ عاقبتهُ هلاكي وهلاكك
وهلاكُ كثيرٍ من أهلِ مملكتي ومن هو عديلُ نفسي . وذاك
أنّ البراهمةَ زعموا أنه لا بدّ من قتلكِ وقتلِ جوير وكثيرٍ
من أهلِ مودّتي ولا خيرَ في العيشِ بعدكم وهل أحدٌ يسمعُ
بهذا إلّا اعتراهُ الحزنُ

فلما سمعت ذلك إيراخت جزعت ومنعها عقلها أن
تُظهِرَ للملكِ جزعًا فقالت أيها الملكُ لا تجزع فنحن لك

١ اي اكثر الناس ٢ يقطع الامل ٣ رميتني في المشقة

الفداءُ ولك في سوايَ ومثلي ما تقرّ بهِ عينك . ولكنّي
أطلبُ منك أيها الملكُ حاجةً يحملني على طلبها حبّي لك
وإيثاري إيّاك وهي نصيحتي لك . قال الملكُ وما هي . قالت
أطلبُ منك أن لا تثق بعدها بأحدٍ من البراهمةِ ولا تشاورهم
في أمرٍ حتى تتثبّتَ في أمرِك ثمّ تشاور فيهِ ثقاتك (١)
مرارًا . فإنّ القتلَ أمرٌ عظيمٌ ولست تقدر على أن تحيي من
قتلت . وقد قيل في الحديثِ إذا لقيتَ جوهرًا لا خيرَ فيهِ
فلا تلقهِ من يدك حتى تريَهُ من يعرفه . وأنت أيها الملكُ
لا تعرفُ أعداءك . واعلم أنّ البراهمةَ لا يحبّونك وقد
قتلتَ منهم بالأمسِ اثني عشر ألفًا . ولا تظنَّ أنّ هؤلاء
ليسوا من أولئك . ولعمري ما كنتَ جديرًا أن تخبرهم
برؤياك ولا أن تطلعهم عليها . وإنما قالوا لك ما قالوا لأجل
الحقدِ الذي بينك وبينهم لعلّهم يهلكونك ويهلكون أحبّاءك
ووزيرك فيبلغوا قصدهم منك . وأظنك لو قبلت منهم فقتلت
من أشاروا بقتلهِ ظفروا بك وغلبوك على ملكك فيعود
الملكُ إليهم كما كان . فإنّ الشجرةَ إذا أُريد قلعُها

١ من تثق بهم

عَمَدَ أَوَّلًا إِلَى أُصُولِهَا وَمَا تَثَبَّتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ فَقُطِعَتْ ثُمَّ قُلِعَتْ فَهَانَ قَلْعُهَا . فَانْطَلِقْ إِلَى كِبَارِيُونَ الْحَكِيمِ فَهُوَ فَطِنٌ عَالِمٌ فَأَخْبِرْهُ عَمَّا رَأَيْتَ فِي رُؤْيَاكَ وَاسْأَلْهُ عَنْ وَجْهِهَا وَتَأْوِيلِهَا

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ سُرِّيَ عَنْهُ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ الْغَمِّ . فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأُسْرِجَ فَرَكِبَهُ ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى كِبَارِيُونَ الْحَكِيمِ . فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَسَجَدَ لَهُ وَقَامَ مُطَأْطِئًا[1] الرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ مَا بَالُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَمَالِي أَرَاكَ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ ثَمَانِيَةَ أَحْلَامٍ فَقَصَصْتُهَا عَلَى الْبَرَاهِمَةِ وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ ذَلِكَ عَظِيمُ أَمْرٍ مِمَّا سَمِعْتُ مِنْ تَعْبِيرِهِمْ لِرُؤْيَايَ وَأَخْشَى أَنْ يُغْصَبَ مِنِّي مُلْكِي أَوْ أَنْ أُغْلَبَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ إِنْ شِئْتَ قَصَصْتَ عَلَيَّ أَحْلَامَكَ وَإِنْ شِئْتَ قَصَصْتُهَا عَلَيْكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا رَأَيْتَ جَمِيعِهِ . قَالَ الْمَلِكُ بَلْ مِنْ فِيكَ[2] أَحْسَنُ . قَالَ الْحَكِيمُ لَا يَحْزُنْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ هَذَا الْأَمْرُ وَلَا تَخَفْ مِنْهُ *

---

١ خافضا ٢ فمك

أَمَّا السَّمَكَتَانِ الْحَمْرَاوَانِ اللَّتَانِ رَأَيْتَهُمَا قَائِمَتَيْنِ عَلَى ذَنَبَيْهِمَا فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ رَسُولٌ مِنْ مَلِكِ هَيْمُونَ بِعِقْدَيْنِ مُكَلَّلَيْنِ بِالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ قِيمَتُهُمَا أَرْبَعَةُ آلَافِ رِطْلٍ مِنْ ذَهَبٍ فَيَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ * وَأَمَّا الْوَزَّتَانِ اللَّتَانِ رَأَيْتَهُمَا طَارَتَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ فَوَقَعَتَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ بَلْخَ فَرَسَانِ لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلُهُمَا فَيَقُومَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ * وَأَمَّا الْحَيَّةُ الَّتِي رَأَيْتَهَا تَدِبُّ عَلَى رِجْلِكَ الْيُسْرَى فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ صَنْجِينَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَيْفٍ خَالِصِ الْحَدِيدِ لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ . وَأَمَّا الدَّمُ الَّذِي رَأَيْتَ كَأَنَّهُ خُضِبَ بِهِ جَسَدُكَ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ كَازَرُونَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِلِبَاسٍ مُعْجِبٍ يُسَمَّى حُلَّةَ أُرْجُوَانٍ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ * وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ مِنْ غَسْلِكَ جِسْمَكَ بِالْمَاءِ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ رَهْزِينَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِثِيَابِ كَتَّانٍ مِنْ لِبَاسِ الْمُلُوكِ * وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ مِنْ أَنَّكَ عَلَى جَبَلٍ أَبْيَضَ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ كَيْدُورَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِفِيلٍ أَبْيَضَ لَا تَلْحَقُهُ الْخَيْلُ * وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ عَلَى رَأْسِكَ شَبِيهًا بِالنَّارِ

فإنه يأتيك من ملك الأرزن من يقوم بين يديك بإكليل من ذهب مكلل بالدر والياقوت. وأما الطائر الذي رأيته ضرب رأسك بمنقاره فلست مفسرا ذلك اليوم وليس بضارك فلا توجلن منه ولكن فيه بعض السخط والإعراض عما تحبه. فهذا تفسير رؤياك أيها الملك. وأما هذه البرد[1] والرسل فإنها تأتيك بعد سبعة أيام جميعا فتقوم بين يديك. فلما سمع الملك ذلك سجد لكباريون ورجع إلى منزله

فلما كان بعد سبعة أيام جاءت البشائر بقدوم الرسل فخرج الملك فجلس على السرير وأذن للأشراف وجاءته الهدايا كما أخبره كباريون الحكيم. فلما رأى الملك ذلك اشتد عجبه وفرحه من علم كباريون وقال ما وفقت حين قصصت رؤياي على البراهمة فأمروني بما أمروني به. ولولا أن الله تعالى تداركني لهلكت وأهلكت. وكذلك لا ينبغي لأحد أن يسمع إلا من الأخلاء ذوي العقول. وإن إيراخت أشارت بالخير فقبلته ورأيت به النجاح.

١ جمع بريد بمعنى رسول

فضعوا الهدية بين يديها لتأخذ منها ما اختارت. ثم قال لإيلاذ خذ الإكليل والثياب واحملها واتبعني به. ودعا الملك إيراخت وحورقناه بين يديه فقال لإيلاذ دع الكسوة والإكليل بين يدي إيراخت لتأخذ أيهما شاءت. فوضعت الهدايا بين يدي إيراخت فأخذت منها الإكليل وأخذت حورقناه كسوة من أفخر الثياب وأحسنها. وإن إيراخت صنعت للملك بعد ذلك أرزا بحلاوة فدخلت عليه بالصحفة والإكليل على رأسها واتفق أن حورقناه لبست تلك الكسوة ومرت بين يدي الملك فالتفت الملك إلى إيراخت فقال إنك جاهلة حين أخذت الإكليل وتركت الكسوة التي ليس في خزائننا مثلها. فلما سمعت إيراخت مدح الملك لحورقناه وثناءه عليها وتجهيلها هي وذم رأيها أخذها من ذلك الغيرة والغيظ فضربت بالصحفة رأس الملك فسال الأرز على وجهه وكان ذلك تمام تعبير الرؤيا التي عبرها كباريون. فقام الملك من مكانه ودعا بإيلاذ وقال ألا ترى وأنا ملك العالم كيف حقرتني هذه الجاهلة وفعلت بي ما ترى

فانطلق بها واقتلها ولا ترحمها

فخرج إيلاذ من عند الملك وقال لا أقتلها حتى يسكن عنه الغضب فالمرأة عاقلة سديدة الرأي من الملكات التي ليس لها عديل في النساء. وليس الملك بصابر عنها وقد خلصته من الموت وعملت أعمالاً صالحة ورجاؤنا فيها عظيم. ولست آمنه أن يقول لم لم تؤخر قتلها حتى تراجعني. فلست قاتلها حتى أنظر رأي الملك فيها ثانية. فإن رأيته نادماً حزيناً على ما فعل جئت بها حية وكنت قد عملت عملاً عظيماً وأنجيت إيراخت من القتل وحفظت قلب الملك واتخذت عند عامة الناس بذلك يداً[1]. وإن رأيته فرحاً مستريحاً مصوباً رأيه في الذي فعله فقتلها لا يفوت. ثم انطلق بها إلى منزله ووكل بها خادماً من أمنائه وأمره بخدمتها وحراستها حتى ينظر ما يكون من أمر الملك. ثم خضب سيفه بالدم ودخل على الملك كالكئيب الحزين فقال أيها الملك إني قد أمضيت أمرك في إيراخت. فلم يلبث الملك أن سكن عنه الغضب وذكر جمال إيراخت

١ نعمة

وفضلها واشتد أسفه عليها وجعل يعزي نفسه عنها ويتجلد. وهو مع ذلك يستحي أن يسأل إيلاذ أحقاً أمضى أمره فيها أم لا. ورجا لما عرف من عقل إيلاذ أن لا يكون قد فعل ذلك. ونظر إليه إيلاذ بفضل عقله فعلم الذي به. فقال له لا تهتم ولا تحزن أيها الملك فإنه ليس في الهم والحزن منفعة ولكنهما ينحلان الجسم ويفسدانه. فاصبر أيها الملك على ما لست بقادر عليه أبداً. وإن أحب الملك أن أحدثه بحديث يسليه. قال حدثني

قال إيلاذ زعموا أن حمامتين ذكراً وأنثى ملآ عشهما من الحنطة والشعير. فقال الذكر للأنثى إنا إذا وجدنا في الصحارى[1] ما نعيش به فلسنا نأكل مما ههنا شيئاً. فإذا جاء الشتاء ولم يكن في الصحارى شيء رجعنا إلى ما في عشنا فأكلناه. فرضيت الأنثى بذلك وقالت له نعما رأيت. وكان ذلك الحب ندياً[2] حين وضعاه في عشهما. فانطلق الذكر فغاب. فلما جاء الصيف يبس الحب وتضمر[3] فلما رجع الذكر رأى الحب ناقصاً فقال لها أليس

١ الفلوات ٢ رطباً ٣ صغر جرمه

كُنَّا جَمَعْنَا رَأْيَنَا عَلَى أَنْ لَا نَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا فَلِمَ أَكَلْتِهِ .
فَجَعَلَتْ تَحْلِفُ أَنَّهَا مَا أَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا وَجَعَلَتْ تَتَنَصَّلُ[1]
إِلَيْهِ فَلَمْ يُصَدِّقْهَا وَجَعَلَ يَنْقُرُهَا حَتَّى مَاتَتْ . فَلَمَّا جَاءَتِ
الْأَمْطَارُ وَدَخَلَ الشِّتَاءُ تَنَدَّى الْحَبُّ وَامْتَلَأَ الْعُشُّ كَمَا
كَانَ . فَلَمَّا رَأَى الذَّكَرُ ذٰلِكَ نَدِمَ * ثُمَّ اضْطَجَعَ إِلَى جَانِبِ
حَمَامَتِهِ وَقَالَ . مَا يَنْفَعُنِي الْحَبُّ وَالْعَيْشُ بَعْدَكِ إِذَا طَلَبْتُكِ
فَلَمْ أَجِدْكِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْكِ . وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكِ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى تَدَارُكِ[2] مَا فَاتَ . ثُمَّ
اسْتَمَرَّ عَلَى حُزْنِهِ فَلَمْ يَطْعَمْ[3] طَعَامًا وَلَا شَرَابًا حَتَّى مَاتَ
إِلَى جَانِبِهَا

وَالْعَاقِلُ لَا يَعْجَلُ فِي الْعَذَابِ وَالْعُقُوبَةِ وَلَا سِيَّمَا مَنْ يَخَافُ
النَّدَامَةَ كَمَا نَدِمَ الْحَمَامُ الذَّكَرُ * وَقَدْ سَمِعْتُ أَيْضًا أَنَّ
رَجُلًا دَخَلَ الْجَبَلَ وَعَلَى رَأْسِهِ طَبَقٌ مِنَ الْعَدَسِ فَوَضَعَ الطَّبَقَ
عَلَى الْأَرْضِ لِيَسْتَرِيحَ . فَنَزَلَ قِرْدٌ مِنْ شَجَرَةٍ فَأَخَذَ مِلْءَ كَفِّهِ
مِنَ الْعَدَسِ وَصَعِدَ إِلَى الشَّجَرَةِ . فَسَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ حَبَّةٌ فَنَزَلَ
فِي طَلَبِهَا فَلَمْ يَجِدْهَا وَانْتَثَرَ مَا كَانَ فِي يَدِهِ مِنَ الْعَدَسِ أَجْمَعُ *

١ تتبرّأ ٢ تلافي ٣ يأكل

وَأَنْتَ أَيْضًا أَيُّهَا الْمَلِكُ عِنْدَكَ كَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ تَدَعُهُمْ
وَتَطْلُبُ مَا لَا تَجِدُ * فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذٰلِكَ خَشِيَ أَنْ تَكُونَ
ايرَاخْتُ قَدْ هَلَكَتْ فَقَالَ إِيهًا[1] إِيلَاذُ مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ
فَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ مِنْ سَاعَتِكَ وَتَعَلَّقْتَ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ كَانَ
مِنِّي وَلَمْ تَتَثَبَّتْ فِي الْأَمْرِ . قَالَ إِيلَاذُ إِنَّ الَّذِي قَوْلُهُ وَاحِدٌ لَا
يَخْتَلِفُ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَا اخْتِلَافَ لِقَوْلِهِ *
قَالَ الْمَلِكُ لَقَدْ أَفْسَدْتَ أَمْرِي وَشَدَّدْتَ حُزْنِي بِقَتْلِ إِيرَاخْتَ .
قَالَ إِيلَاذُ اثْنَانِ يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحْزَنَا . الَّذِي يَعْمَلُ الْإِثْمَ فِي
كُلِّ يَوْمٍ وَالَّذِي لَا يَعْمَلُ الْخَيْرَ قَطُّ . لِأَنَّ فَرَحَهُمَا فِي الدُّنْيَا
وَنَعِيمَهُمَا قَلِيلٌ وَنَدَامَتَهُمَا إِذَا يُعَايِنَانِ الْجَزَاءَ طَوِيلَةٌ لَا يُسْتَطَاعُ
إِحْصَاؤُهَا * قَالَ الْمَلِكُ لَئِنْ رَأَيْتُ إِيرَاخْتَ حَيَّةً لَا أَحْزَنُ
عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا . قَالَ إِيلَاذُ اثْنَانِ لَا يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحْزَنَا . الْمُجْتَهِدُ
فِي الْبِرِّ كُلَّ يَوْمٍ وَالَّذِي لَمْ يَأْثَمْ قَطُّ * قَالَ الْمَلِكُ مَا أَنَا
بِنَاظِرٍ إِلَى إِيرَاخْتَ أَكْثَرَ مِمَّا نَظَرْتُ . قَالَ إِيلَاذُ اثْنَانِ لَا
يَنْظُرَانِ . الْأَعْمَى وَالَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ . وَكَمَا أَنَّ الْأَعْمَى لَا
يَنْظُرُ السَّمَاءَ وَنُجُومَهَا وَلَا يَنْظُرُ الْبُعْدَ وَالْقُرْبَ كَذٰلِكَ الَّذِي

١ كلمة استكفاف اي كفّ

لا عقل له لا يعرف الحسن من القبيح ولا المحسن من المسيء * قال الملك لو رأيت إيراخت لاشتد فرحي. قال ايلاذ اثنان هما الفرحان البصير والعالم. فكما أن البصير يبصر أمور العالم وما فيه من الزيادة والنقصان والبعيد والقريب. فكذلك العالم يبصر البر والإثم ويعرف أعمال الآخرة ويتبين له نجاته ويهدى إلى صراط[1] مستقيم * قال الملك إني لم أشتف من النظر إلى إيراخت بعد. قال إيلاذ اثنان لا يشتفيان أبدا. من يكون همه جمع المال وادخاره. ومن يأمل ما لا يقدر عليه ويسأل ما لا يجد. قال الملك ينبغي لنا أن نتباعد منك يا إيلاذ ونأخذ الحذر ونلزم الاتقاء[2]. قال إيلاذ اثنان ينبغي أن يتباعد منهما الذي يقول لا بر ولا إثم ولا عقاب ولا ثواب ولا شيء علي مما أنا فيه. والذي لا يكاد يصرف بصره عما ليس له بحلال ولا أذنه عن استماع السوء ولا نفسه عن خاصة غيره ولا قلبه عما تهم به[3] نفسه من الإثم والحرص * قال الملك صارت يدي من إيراخت صفرا[4]. قال إيلاذ أربعة أشياء أصفار. النهر

١ طريق ٢ التوقي ٣ تريد فعله ٤ فارغة

الذي ليس فيه ماء والأرض التي ليس فيها ملك والمرأة التي ليس لها بعل والجاهل الذي لا يعرف الخير من الشر * قال الملك إنك يا إيلاذ لتلقى الجواب[1]. قال إيلاذ ثلاثة يلقون الجواب. الملك الذي يعطي ويقسم من خزائنه. والمرأة المهداة[2] إلى من تود من ذوي الحسب[3]. والرجل العالم الموفق للخير * قال الملك أهلكت إيراخت يا إيلاذ بغير حق. قال إيلاذ ثلاثة هم الزائغون عن الحق. الذي يلبس الثياب البيض ثم ينفخ بالكير[4] فيسودها بالدخان. والقصار[5] الذي يلبس الجوربين[6] الجديدين ورجلاه أبدا في الماء. والذي يقتني الفرس الكريم للركوب ثم يلتهي عنه فلا يركبه فيبلى * قال الملك ليتني أنظر إلى إيراخت قبل فراق الدنيا. قال إيلاذ الذين يطلبون ما لا يقدرون عليه ثلاثة. من لا ورع[7] له وهو يرتجي ثواب الأبرار. والبخيل الذي يلتمس ببخله أن ينال منزلة السخي. والفاجر الذي يسفك الدماء ويأمل أن روحه من أرواح الشهداء[8] * قال الملك إن الذي حببت[9]

١ تلقنه يريد سرعة جوابه وفصاحته ٢ المزفوفة ٣ [illegible] ٤ [illegible] الذي ينفخ فيه الحداد ٥ الذي يبيض الثياب ٦ الجورب [illegible] يلبس في الرجل قبل النعل ٧ تقى ٨ [illegible] يموتون في سبيل الله ٩ [illegible]

على نفسي وجرت البلاء إليها. قال إيلاذ أولئك في الناس خمسة. الذي يتعرض للقتال وهو أعزل[1]. والبخيل يجمع ماله في منزله ولا أحد معه فيقصده اللصوص فيقتلونه ويأخذون ماله. والكبير يخطب الصغيرة. والقبيح يخطب الجميلة. والمرأة التي تحب ولدها وهو شاطر[2] عارم[3] فهي تستر أموره وتخفيها ثم هو يكون تعبا لها ووبالا[4] عليها * قال الملك قد وضعت الأمر غير موضعه في قتلي إيراخت. قال إيلاذ من يفعل ذلك ثلاثة. وهم الطائر الذي يرفع رجليه نحو السماء خوفا من سقوطها عليه والكركي الذي يقوم على رجل واحدة ولا يضع الثانية على الأرض خوف أن يخسفها. والغني البخيل إذا أكل لا يشبع يخاف على ماله من النفاد. كالخراطين[5] التي طعامها التراب تقصد الإقلال من الأكل منه لئلا ينفد[6] ويفنى. وكالكلب الذي يلغ[7] من النهر بلسانه ولا يعب[8] منه حذار أن يجف. والخفاش الذي يطير بالليل لا يفعل ذلك بالنهار مخافة أن يصطاده

١ بدون سلاح ٢ الشاطر من اعيا اهله خبثا ٣ شرس ٤ سوء عاقبة ٥ الديدان الحمر التي تكون في التراب الندي ٦ يفرغ ٧ الولوغ شرب الكلب ٨ العب شرب الدواب

الناس لحسنه وهو أقبح الطير * قال الملك لم أحزن قط حزني على إيراخت. قال إيلاذ خمسة أشياء إذا كن في المرأة كانت أهلا أن يحزن عليها. إذا كانت عفيفة كريمة الحسب والنسب. عاقلة. جميلة. موافقة لزوجها محبة له * قال الملك ليس تأخذني سنة[1] ولا نوم من حزني على إيراخت. قال إيلاذ اثنان لا يهجعان[2] ولا يستريحان. الكثير المال وليس له خازن ولا أمين. والشديد المرض ولا طبيب له

ثم إن إيلاذ لما رأى الملك قد اشتد به الأمر سكت. فقال له الملك ما بالك يا إيلاذ سكت. قال أيها الملك إني قد تجاسرت عليك فيما امتحنتك به إرادة أن أعلم ما آل[3] إليه أمرك في إيراخت. وأراني قد تجاوزت طوري[4] في ذلك وبان لي من حلمك وعقلك ما أذهلني إذ لم يبد منك مع ما اجترأت به عليك شيء من الغضب ولا تغيرت عن حالك. وها أنا شاكر لعفوك وصفحك وتجاوزك[5] عني وإن لم يكن ذلك مني إلا نصحا للملك واستطلاعا لأمره[6]

١ نعاس ٢ ينامان ٣ رجع ٤ قدري ٥ بمعنى صفحك ٦ طلبا للاطلاع عليه

فاعف عني إن شئت أو فعاقبني بما تراه فان إيراخت بالحياة * فلما سمع الملك ذلك اشتد فرحه وقال يا إيلاذ انما منعني من الغضب ما أعرف من نصيحتك وصدق حديثك وكنت أرجو لمعرفتي بعلمك أن لا تكون قد قتلت ايراخت . فانها وإن تكن أتت عظيماً واغلظت في القول لم تأته عداوة ولا طلب مضرة ولكنها فعلت ذلك للغيرة . وقد كان ينبغي لي أن أعرض عن ذلك واحتمله . ولكنك يا إيلاذ أردت أن تختبرني وتتركني في شك من أمرها . وقد اتخذت عندي أفضل الأيادي [1] وأنا لك شاكر فانطلق فأتني بها . فخرج من عند الملك فأتى ايراخت وأمرها أن تتزين ففعلت ذلك وانطلق بها . فلما دخلت سجدت للملك ثم قامت بين يديه وقالت أحمد الله تعالى ثم أحمد الملك الذي أحسن إلي . قد أذنبت الذنب العظيم الذي لم أكن للبقاء أهلاً بعده فوسعه حلمه وكرم طبعه ورأفته . ثم أحمد إيلاذ الذي أخر أمري وأنجاني من الهلكة لعلمه برأفة الملك وسعة حلمه وجوده وكرم

١ جمع يد بمعنى النعمة

جوهره ووفاء عهده * وقال الملك لإيلاذ ما أعظم يدك عندي وعند إيراخت وعند العامة إذ قد أحييتها بعد ما أمرت بقتلها . فأنت الذي وهبها لي اليوم فإني لم أزل واثقاً بنصيحتك وتدبيرك وقد ازددت اليوم عندي كرامة وتعظيماً . وأنت محكم في ملكي [1] تعمل فيه بما ترى وتحكم عليه بما تريد فقد جعلت ذلك إليك ووثقت بك . قال إيلاذ أدام الله لك أيها الملك الملك والسرور فلست بمحمود على ذلك فإنما أنا عبدك . لكن حاجتي أن لا يعجل الملك في الأمر الجسيم الذي يندم على فعله وتكون عاقبته الغم والحزن ولا سيما في مثل هذه المرأة الناصحة المشفقة التي لا يوجد في الأرض مثلها . فقال الملك بحق قلت يا إيلاذ وقد قبلت قولك ولست عاملاً بعدها عملاً كبيراً ولا صغيراً فضلاً عن مثل هذا الأمر العظيم الذي سلمت منه إلا بعد المؤامرة [2] والنظر والتردد ومشاورة أهل المودة والرأي

ثم أحسن الملك جائزة إيلاذ ومكنه من أولئك

١ اي مملكتي . ٢ المشاورة

البَراهِمَةِ الَّذِينَ أَشارُوا بِقَتْلِ أَحْبابِهِ فَأَطْلَقَ فِيهِمِ السَّيْفَ .
وَقَرَّتْ عَيْنُ المَلِكِ وَعُيُونُ عُظَماءِ اهلِ مَمْلَكَتِهِ وَحَمِدُوا
اللهَ وَأَثْنَوْا على كارِيُونَ لِسَعَةِ عِلْمِهِ وَفَضْلِ حِكْمَتِهِ لِأَنَّ
بِعِلْمِهِ خَلَصَ المَلِكُ وَوَزِيرُهُ الصَّالِحُ وَامْرَأَتُهُ الصَّالِحَةُ

بابُ
النَّاسِكِ وَالضَّيْفِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ المَلِكُ لِبَيْدَبا الفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا
المَثَلَ فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الَّذِي يَدَعُ صَنْعَةَ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ
وَيُشَاكِلُهُ [1] وَيَطْلُبُ غَيْرَهُ فَلا يُدْرِكُهُ وَيَرْجِعُ إِلَى الَّذِي كَانَ
عَلَيْهِ فَلا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيَبْقَى حَيْرَانَ مُتَرَدِّدًا

قَالَ الفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ الكَرْخِ
نَاسِكٌ عَابِدٌ مُجْتَهِدٌ . فَنَزَلَ بِهِ ضَيْفٌ ذَاتَ يَوْمٍ فَدَعَا النَّاسِكُ
لِضَيْفِهِ بِتَمْرٍ لِيُطْرِفَهُ بِهِ [2] فَأَكَلا مِنْهُ جَمِيعًا . ثُمَّ قَالَ

١ يكون من شكله اي يلائمه و يصلح له ٢ يتحفه و يطعمه

الضَّيْفُ مَا أَحْلَى هٰذَا التَّمْرَ وَأَطْيَبَهُ فَلَيْسَ هُوَ فِي بِلادِي
الَّتِي أَسْكُنُهَا وَلَيْتَهُ كَانَ فِيهَا . ثُمَّ قَالَ أَرَى أَنْ تُسَاعِدَنِي
عَلَى أَنْ آخُذَ مِنْهُ مَا أَغْرِسُهُ فِي أَرْضِنَا فَإِنِّي لَسْتُ عَارِفًا بِثِمَارِ
أَرْضِكُمْ هٰذِهِ وَلا بِمَوَاضِعِهَا . قَالَ لَهُ النَّاسِكُ لَيْسَ لَكَ فِي
ذٰلِكَ رَاحَةٌ فَإِنَّهُ يَثْقُلُ عَلَيْكَ وَلَعَلَّ ذٰلِكَ لا يُوَافِقُ أَرْضَكُمْ
مَعَ أَنَّ بِلادَكُمْ كَثِيرَةُ الأَثْمَارِ فَمَا حَاجَةٌ مَعَ كَثْرَةِ ثِمَارِهَا
الَى التَّمْرِ مَعَ وَخَامَتِهِ [1] وَقِلَّةِ مُنَاسَبَتِهِ لِلْجَسَدِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ
النَّاسِكُ إِنَّهُ لا يُعَدُّ سَعِيدًا مَنْ طَلَبَ مَا لا يَجِدُ . وَإِنَّكَ سَعِيدُ
الجَدِّ [2] اذا قَنِعْتَ بِالَّذِي تَجِدُ وَتَزْهَدُ فِيمَا لا تَجِدُ * وَكَانَ هٰذَا
النَّاسِكُ يُحْسِنُ العِبْرَانِيَّةَ فَسَمِعَهُ الضَّيْفُ يَتَكَلَّمُ بِهَا مَرَّةً
فَاسْتَحْسَنَ كَلامَهُ وَأَعْجَبَهُ فَتَكَلَّفَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ وَعَالَجَ فِي ذٰلِكَ
نَفْسَهُ أَيَّامًا . فَقَالَ النَّاسِكُ لَهُ مَا أَخْلَقَكَ أَنْ تَقَعَ مِمَّا تَرَكْتَ
مِنْ كَلامِكَ وَتَكَلَّفْتَ مِنْ كَلامِ العِبْرَانِيَّةِ فِي مِثْلِ مَا وَقَعَ
فِيهِ الغُرَابُ . قَالَ الضَّيْفُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ النَّاسِكُ زَعَمُوا أَنَّ غُرَابًا رَأَى حَجَلَةً تَدْرُجُ وَتَمْشِي
فَأَعْجَبَتْهُ مِشْيَتُهَا وَطَمِعَ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا فَرَاضَ [3] عَلَى ذٰلِكَ نَفْسَهُ

١ عدم موافقته ٢ الحظ ٣ اي مرن

فلم يقدر على إحكامها وأيس[1] منها وأراد أن يعود إلى مشيته التي كان عليها فإذا هو قد اختلط مشيه وتخلع فيه وصار أقبح الطير مشيا

وإنما ضربت لك هذا المثل لما رأيت من أنك تركت لسانك الذي طبعت عليه وأقبلت على لسان العبرانية وهو لا يشاكلك[2] . وأخاف أن لا تدركه وتنسى لسانك وترجع إلى أهلك وأنت شرهم لسانا . فإنه قد قيل إنه يعد جاهلا من تكلف من الامور ما لا يشاكله وليس من عمله ولم يؤدبه عليه آباؤه وأجداده من قبل ولم يعرف به أحد من أهله وذوي قرابته فإن العاقل لا يتعدى طوره[3]

والولاة أيها الملك وأرباب[4] الأمر أولى بالانتباه إلى هذا الشأن ومنع حدوثه بين الناس لأن فيه مضرة لهم بما يجرئ الأنفس على منازعتهم في منازلهم ويغريها[5] بمقاومتهم في أحكامهم لما فيه من إطماع السفلة[6] في مراتب أهل الطبقة العالية ومزاحمة اللئيم للكريم والجاهل

---

١ قطع الامل ٢ يشابهك ويناسبك ٣ قدره ٤ اصحاب
٥ يهيجها ويرغبها ٦ الادنياء

للعالم والخامل[1] للنبيه والدنيء للشريف إلى غير ذلك مما يفضي إلى تشوش العالم وفساد الأمور واختلاط الطبقات وضياع المراتب والأقدار . والأمور في ذلك كله تجري على مثال واحد ينتهي إلى الأمر الخطير الجسيم[2] من مزاحمة الملك على ملكه ومضادته فيه

باب
السائح والصائغ

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل . فاضرب لي مثل الذي يضع المعروف في غير موضعه ويرجو الشكر عليه

قال الفيلسوف أيها الملك ليس أضيع من جميل يصنع مع غير شاكر ولا أخسر من صانعه . كما أنه لا بذر أنمى من بذر الجميل في قلوب الشاكرين ولا تجارة أربح من تجارته . ومع ذلك فإن المرء جدير أن يصنع المعروف إلى كل أحد فإنه إن ضاع المعروف عند الناس لا يضيع عند الله .

---

١ الغير المشهور ٢ كلاهما بمعنى العظيم

وَلَا سِيَّمَا إِلَى ذَوِي ٱلشُّكْرِ وَٱلْوَفَاءِ كَيْفَ كَانَتْ مَنْزِلَتُهُمْ فَلَعَلَّهُ ٱحْتَاجَ إِلَيْهِمْ يَوْمًا مِنَ ٱلدَّهْرِ فَيُكَافِئُوهُ عَلَيْهِ * غَيْرَ أَنَّ ٱلْمُلُوكَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ ذَوِي ٱلْعُقُولِ إِذَا تَعَمَّدُوا بِمَعْرُوفِهِمْ أَحَدًا يَخْتَصُّونَهُ بِهِ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَضَعُوهُ مَوْضِعَهُ وَلَا يُضَيِّعُوهُ عِنْدَ مَنْ لَا يَحْتَمِلُهُ (١) وَلَا يَقُومُ بِشُكْرِهِ . فَيَنْبَغِي لِلْمُلُوكِ أَنْ لَا يَصْطَفُوا (٢) أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ ٱلْخِبْرَةِ بِطَرَائِقِهِ وَٱلْمَعْرِفَةِ بِوَفَائِهِ وَمَوَدَّتِهِ وَشُكْرِهِ . فَإِنَّ مَنْ أَقْدَمَ (٣) عَلَى ٱلْمَشْهُورِ بِٱلِٱسْتِقَامَةِ وَٱلْعِفَّةِ وَٱسْتَرْسَلَ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ ٱخْتِبَارٍ وَلَا تَجْرِبَةٍ كَانَ مُخَاطِرًا فِي ذَلِكَ مُشْرِفًا مِنْهُ عَلَى هَلَاكٍ وَفَسَادٍ . أَلَا تَرَى أَنَّ ٱلطَّبِيبَ ٱلرَّفِيقَ ٱلْعَاقِلَ لَا يَكْتَفِي فِي مُدَاوَاةِ ٱلْمَرِيضِ بِٱلْمُعَايَنَةِ فَقَطْ . لَكِنَّهُ لَا يُقْدِمُ عَلَى عِلَاجِهِ إِلَّا بَعْدَ تَعَرُّفِ أَحْوَالِهِ وَٱلْجَسِّ لِعُرُوقِهِ وَمَعْرِفَةِ طَبِيعَتِهِ وَسَبَبِ عِلَّتِهِ فَإِذَا عَرَفَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَقْدَمَ عَلَى مُعَالَجَتِهِ . وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَصُّوا بِذَلِكَ قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ وَلَا أَحَدًا مِنْ خَاصَّتِهِمْ لِشَرَفِهِ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُحْتَمِلٍ لِلصَّنِيعَةِ (٤) فَإِنَّهُ إِنَّمَا شَرُفَ بِتَشْرِيفِهِمْ إِيَّاهُ . وَلَا أَنْ يَمْنَعُوا مَعْرُوفَهُمْ وَجَمِيلَهُمْ عَنْ بَعِيدٍ لِبُعْدِهِ أَوْ خَامِلٍ لِخُمُولِهِ إِذَا كَانَ

١ يتقلده ويشكره ٢ يختاروا ٣ جرؤ وجسر ٤ المعروف

عَارِفًا بِحَقِّ مَا يُصْطَنَعُ إِلَيْهِ مُؤَدِّيًا لِشُكْرِ مَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ . وَقَدْ قِيلَ لَا يَنْبَغِي لِذِي ٱلْعَقْلِ أَنْ يَحْتَقِرَ أَحَدًا مِنَ ٱلنَّاسِ حَتَّى ٱلْبَهَائِمِ وَلَكِنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَبْلُوَهُمْ (١) وَيَخْتَبِرَهُمْ وَيَكُونَ مَا يَصْنَعُ إِلَيْهِمْ عَلَى قَدْرِ مَا يَرَى مِنْهُمْ فَقَدْ يَكُونُ ٱلْخَيْرُ عِنْدَ مَنْ يُظَنُّ بِهِ ٱلشَّرُّ وَٱلشَّرُّ عِنْدَ مَنْ يُظَنُّ بِهِ ٱلْخَيْرُ

وَإِنَّ طَبَائِعَ ٱلْخَلْقِ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ مُخْتَلِفَةٌ وَلَيْسَ مِمَّا خَلَقَهُ ٱللهُ مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ أَوْ عَلَى رِجْلَيْنِ أَوْ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ أَوْ يَسْبَحُ فِي ٱلْمَاءِ شَيْءٌ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَرُبَّمَا تَحَذَّرَ ٱلْعَاقِلُ مِنَ ٱلنَّاسِ فَلَمْ يَأْمَنْ أَحَدًا مِنْهُمْ وَأَخَذَ ٱبْنَ عِرْسٍ فَأَدْخَلَهُ فِي كُمِّهِ وَأَخْرَجَهُ مِنَ ٱلْآخَرِ وَأَخَذَ ٱلطَّيْرَ ٱلْجَارِحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَإِذَا صَادَ شَيْئًا أَبْقَى لَهُ مِنْهُ نَصِيبًا . وَمِنَ ٱلنَّاسِ ٱلْبَرُّ (٢) وَٱلْفَاجِرُ (٣) وَمِنْ هَؤُلَاءِ كُلُّ كَفُورٍ كَنُودٍ (٤) حَتَّى لَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلسِّبَاعِ وَٱلطَّيْرِ مَا هُوَ أَوْفَى مِنْهُ ذِمَّةً وَأَشَدُّ مُحَامَاةً عَنْ حُرْمَةٍ (٥) وَأَشْكَرُ لِلْمَعْرُوفِ وَأَقْوَمُ بِهِ . وَقَدْ مَضَى فِي ذَلِكَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ . قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

١ يعني يختبرهم ٢ المحسن الطيب ٣ العاصي الشرير ٤ يعني كفور ٥ عهد

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً ٱحْتَفَرُوا رَكِيَّةً[1] فَوَقَعَ فِيهَا رَجُلٌ صَائِغٌ وَحَيَّةٌ وَقِرْدٌ وَبَبْرٌ . وَمَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ سَائِحٌ فَأَشْرَفَ عَلَى ٱلرَّكِيَّةِ فَبَصُرَ بِٱلرَّجُلِ وَٱلْحَيَّةِ وَٱلْقِرْدِ وَٱلْبَبْرِ . فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ لَسْتُ أَعْمَلُ لِآخِرَتِي عَمَلًا أَفْضَلَ مِنْ أَنْ أُخَلِّصَ هٰذَا ٱلرَّجُلَ مِنْ بَيْنِ هٰؤُلَاءِ ٱلْأَعْدَاءِ . فَقَدْ قِيلَ لَمْ يُؤْجَرْ مَأْجُورٌ بِأَعْظَمَ مِنْ أَجْرِ مَنِ ٱسْتَحْيَا نَفْسًا هَالِكَةً وَلَا عُوقِبَ مُعَاقَبٌ بِأَشَدَّ مِنْ عِقَابِ مَنْ كَفَّ عَنْ ذٰلِكَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَوْ بِمَشَقَّةٍ مِمَّا خَلَا ذَهَابَ نَفْسِهِ * فَأَخَذَ حَبْلًا وَأَدْلَاهُ إِلَى ٱلْبِئْرِ فَتَعَلَّقَ بِهِ ٱلْقِرْدُ لِخِفَّتِهِ فَخَرَجَ ثُمَّ أَدْلَاهُ ثَانِيَةً فَٱلْتَفَّتْ بِهِ ٱلْحَيَّةُ فَخَرَجَتْ ثُمَّ أَدْلَاهُ ثَالِثَةً فَتَعَلَّقَ بِهِ ٱلْبَبْرُ فَأَخْرَجَهُ . فَشَكَرْنَ لَهُ صَنِيعَهُ وَقُلْنَ لَهُ لَا تُخْرِجْ هٰذَا ٱلرَّجُلَ مِنَ ٱلرَّكِيَّةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَقَلَّ مِنْ شُكْرِ ٱلْإِنْسَانِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ ٱلْقِرْدُ إِنَّ مَنْزِلِي فِي جَبَلٍ قَرِيبٍ مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نُوَادَرَخْتُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْبَبْرُ أَنَا أَيْضًا فِي أَجَمَةٍ[2] إِلَى جَانِبِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ . قَالَتِ ٱلْحَيَّةُ وَأَنَا فِي سُورِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِنَا يَوْمًا مِنَ ٱلدَّهْرِ وَٱحْتَجْتَ إِلَيْنَا فَصَوِّتْ عَلَيْنَا حَتَّى

١ بئرًا ٢ غابة

نَأْتِيَكَ فَنَجْزِيَكَ بِمَا أَسْدَيْتَ[1] إِلَيْنَا مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ . فَلَمْ يَلْتَفِتِ ٱلسَّائِحُ إِلَى مَا ذَكَرُوا لَهُ مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ ٱلْإِنْسَانِ وَأَدْلَى ٱلْحَبْلَ فَأَخْرَجَ ٱلصَّائِغَ فَسَجَدَ لَهُ وَقَالَ لَقَدْ أَوْلَيْتَنِي[2] مَعْرُوفًا فَإِنْ مَرَرْتَ يَوْمًا مِنَ ٱلدَّهْرِ بِمَدِينَةِ نُوَادَرَخْتَ فَٱسْأَلْ عَنْ مَنْزِلِي فَأَنَا رَجُلٌ صَائِغٌ وَٱسْمِي فُلَانٌ لَعَلِّي أُكَافِئُكَ بِمَا صَنَعْتَ إِلَيَّ مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ . فَٱنْطَلَقَ ٱلصَّائِغُ إِلَى مَدِينَتِهِ وَٱنْطَلَقَ ٱلسَّائِحُ إِلَى وِجْهَتِهِ[3] * فَعَرَضَ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنَّ ٱلسَّائِحَ ٱتَّفَقَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ فَٱنْطَلَقَ فَٱسْتَقْبَلَهُ ٱلْقِرْدُ فَسَجَدَ لَهُ وَقَبَّلَ رِجْلَيْهِ وَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ إِنَّ ٱلْقُرُودَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلٰكِنِ ٱقْعُدْ حَتَّى آتِيَكَ وَٱنْطَلَقَ ٱلْقِرْدُ وَأَتَاهُ بِفَاكِهَةٍ طَيِّبَةٍ فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَكَلَ مِنْهَا حَاجَتَهُ

ثُمَّ إِنَّ ٱلسَّائِحَ ٱنْطَلَقَ حَتَّى دَنَا مِنْ بَابِ ٱلْمَدِينَةِ فَٱسْتَقْبَلَهُ ٱلْبَبْرُ فَخَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَقَالَ لَهُ إِنَّكَ قَدْ أَوْلَيْتَنِي مَعْرُوفًا فَٱطْمَئِنَّ سَاعَةً حَتَّى آتِيَكَ . فَٱنْطَلَقَ ٱلْبَبْرُ فَدَخَلَ فِي بَعْضِ ٱلْحِيطَانِ إِلَى بِنْتِ ٱلْمَلِكِ فَقَتَلَهَا وَأَخَذَ حُلِيَّهَا[4] فَأَتَاهُ بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ ٱلسَّائِحُ مِنْ أَيْنَ هُوَ * فَقَالَ فِي نَفْسِهِ هٰذِهِ

١ احسنت ٢ اي قلدتني والمتني ٣ الجهة التي يقصدها ٤ ما تزدان به من مصنوعات

البهائم قد أولتني هذا الجزاء فكيف لو أتيت إلى الصائغ فإنه إن كان معسرا لا يملك شيئا فسيبيع هذا الحلي فيستوفي ثمنه فيعطيني بعضه ويأخذ بعضه وهو أعرف بثمنه. فانطلق السائح فأتى إلى الصائغ فلما رآه رحب به وأدخله إلى بيته. فلما بصر بالحلي[1] معه عرفه وكان هو الذي صاغه لابنة الملك. فقال الصائغ اطمئن[2] حتى آتيك بطعام فلست أرضى لك ما في البيت ثم خرج وهو يقول قد أصبت فرصتي أريد أن أنطلق إلى الملك وأدله على ذلك فتحسن منزلتي عنده. فانطلق إلى باب الملك فأرسل إليه أن الذي قتل ابنتك وأخذ حليها عندي فأرسل الملك وأتى بالسائح. فلما نظر الحلي معه لم يمهله وأمر به أن يعذب ويطاف به في المدينة ويصلب * فلما فعلوا به ذلك جعل السائح يبكي ويقول بأعلى صوته لو أني أطعت القرد والحية والببر فيما أمرتني به وأخبرتني من قلة شكر الإنسان لم يصر أمري إلى هذا البلاء وجعل يكرر هذا القول. فسمعت مقالته تلك الحية فخرجت من جحرها فعرفته فاشتد عليها

١ لمحه ٢ اي استرح

أمره فجعلت تحتال في خلاصه. فانطلقت حتى لدغت ابن الملك فدعا الملك أهل العلم فرقوه[1] ليشفوه فلم يغنوا عنه شيئا

ثم مضت الحية إلى أخت[2] لها من الجن فأخبرتها بما صنع السائح إليها من المعروف وما وقع فيه فرقت له وانطلقت إلى ابن الملك وتراءت[3] له وقالت إنك لا تبرأ حتى يرقيك هذا الرجل الذي قد عاقبتموه ظلما. وانطلقت الحية إلى السائح فدخلت إليه السجن وقالت له هذا الذي كنت نهيتك عنه من اصطناع المعروف إلى هذا الإنسان ولم تطعني وأتته بورق ينفع من سمها وقالت له إذا جاؤوا بك لترقي ابن الملك فاسقه من ماء هذا الورق فإنه يبرأ وإذا سألك الملك عن حالك فاصدقه فإنك تنجو إن شاء الله تعالى * وإن ابن الملك أخبر أباه أنه سمع قائلا يقول إنك لن تبرأ حتى يرقيك السائح الذي حبس ظلما. فدعا الملك بالسائح وأمره أن يرقي ولده فقال لا أحسن الرقى ولكن أسقيه من ماء هذه الشجرة فيبرأ بإذن الله تعالى فسقاه

١ عالجوه بعلاج الشرع ٢ صديقة ٣ تظاهرت

فبرئ الغلام . ففرح الملك بذلك وسأله عن قصته فأخبره
فشكره الملك وأعطاه عطية حسنة وأمر بالصائغ أن
يصلب فصلبوه لكذبه وانحرافه عن الشكر ومجازاته الفعل
الجميل بالقبيح

ثم قال الفيلسوف للملك في صنيع الصائغ بالسائح
وكفره (١) له بعد استنقاذه إياه وشكر البهائم له وتخليص
بعضها إياه عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن افتكر وأدب
في وضع المعروف والإحسان عند أهل الوفاء والكرم
قربوا أو بعدوا لما في ذلك من صواب الرأي وجلب الخير
وصرف (٢) المكروه

باب
ابن الملك وأصحابه

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا
المثل . فإن كان الرجل لا يصيب الخير إلا بعقله ورأيه وتثبته

١ انكاره ٢ اي ابعاد

في الأمور كما يزعمون فما بال الرجل الجاهل يصيب الرفعة
والخير والرجل الحكيم العاقل قد يصيب البلاء والضر . قال
بيدبا كما أن الأعمى لا يبصر إلا بقلبه ولا يمشي إلا بحسه
مع المهلة والتأني . كذلك ينبغي للإنسان أن يسلك في
الأمور بعين العقل والبصيرة والعلم وبالتثبت والأناة فقل
أن يعثر على هذا . غير أن القضاء والقدر قد يغلبان على ذلك
كما قد يعثر البصير ويسلم الضرير . ومثل ذلك مثل ابن
الملك وأصحابه . قال الملك وكيف كان ذلك

قال الفيلسوف زعموا أن أربعة نفر (١) اصطحبوا في
طريق واحدة أحدهم ابن ملك والثاني ابن تاجر والثالث
ابن شريف ذو جمال والرابع ابن أكار (٢) . وكانوا جميعا
محتاجين وقد أصابهم ضرر وجهد شديد في موضع غربة لا
يملكون إلا ما عليهم من الثياب . فبينما هم يمشون إذ
فكروا في أمرهم وكان كل إنسان منهم راجعا إلى طباعه
وما كان يأتيه منه الخير . فقال ابن الملك إن أمر الدنيا
كله بالقضاء والقدر . والذي قدر على الإنسان يأتيه على

١ النفر ما بين الثلاثة الى العشرة ٢ حرّاث

كل حال والصبر للقضاء والقدر وانتظارهما افضل الامور * وقال ابن التاجر العقل افضل من كل شيء * وقال ابن الشريف الجمال افضل مما ذكر * ثم قال الاكار ليس في الدنيا افضل من الاجتهاد في العمل * فلما قربوا من مدينة يقال لها مطرون جلسوا في ناحية منها يتشاورون . فقالوا لابن الاكار انطلق فاكتسب لنا باجتهادك طعاما ليومنا هذا . فانطلق ابن الاكار وسأل عن عمل اذا عمله الانسان يكتسب فيه طعام اربعة نفر . فعرفوه ان ليس في تلك المدينة شيء اعز[1] من الحطب وكان الحطب منها على فرسخ[2] . فانطلق ابن الاكار فاحتطب[3] طنا[4] من الحطب واتى به المدينة فباعه بدرهم واشترى به طعاما وكتب على باب المدينة عمل يوم واحد اذا جهد به الرجل بدنه قيمته درهم . ثم انطلق الى اصحابه بالطعام فاكلوا

فلما كان من الغد قالوا ينبغي للذي قال انه ليس شيء اعز[5] من الجمال ان تكون نوبته[6] * فانطلق ابن الشريف ليأتي

١ اي اقل ٢ ثلاثة اميال ٣ جمع حطبا ٤ حزمة ٥ اي اشرف وافضل ٦ اي وقته

المدينة ففكر في نفسه وقال انا لست احسن عملا فما يدخلني المدينة . ثم استحى ان يرجع الى اصحابه بغير طعام وهم بمفارقتهم فانطلق حتى اسند ظهره الى شجرة عظيمة فغلبه النوم فنام . فمر به رجل مصور وبصر به واعجبه حسنه ان يصوره ويكتسب من صورته اذا عمل منه صورا وباعها فايقظه وذهب به الى منزله ليصوره . فلما كان المساء اجازه بمئة درهم . فخرج وكتب على باب المدينة جمال يوم واحد يساوي مئة درهم . واتى بالدراهم الى اصحابه * فلما اصبحوا في اليوم الثالث قالوا لابن التاجر انطلق انت فاطلب لنا بعقلك وتجارتك ليومنا هذا شيئا . فانطلق ابن التاجر فلم يزل حتى بصر بسفينة من سفن البحر كثيرة المتاع قد قدمت الى الساحل فخرج اليها جماعة من التجار يريدون ان يبتاعوا مما فيها من المتاع . فجلسوا يتشاورون في ناحية من المركب وقال بعضهم لبعض ارجعوا يومنا هذا لا نشتري منهم شيئا حتى يكسد المتاع عليهم فيرخصوه علينا مع انا محتاجون اليه وسيرخص .

فخالف ابن التاجر الطريق وجاء إلى أصحاب المركب فابتاع منهم ما فيه بمئة ألف درهم نسيئة[1] وأظهر أنه يريد أن ينقل متاعه إلى مدينة أخرى. فلما سمع التجار ذلك خافوا أن يذهب ذلك المتاع من أيديهم فأربحوه على ما اشتراه ألف درهم وأحال عليهم أصحاب المركب بالباقي وحمل ربحه إلى أصحابه وكتب على باب المدينة عقل يوم واحد ثمنه ألف درهم * فلما كان اليوم الرابع قالوا لابن الملك انطلق أنت واكتسب لنا بقضائك وقدرك فانطلق ابن الملك حتى أتى إلى باب المدينة فجلس على دكة[2] في باب المدينة

واتفق بالقدر أن مات ملك تلك الناحية ولم يخلف ولدا ولا أحدا ذا قرابة. فمروا عليه بجنازة الملك ولم يحزنه وكلهم يحزنون ولم يلتفت إليهم ولم يكترث لما هم فيه. فأنكروا حاله وشتمه البواب وقال له من أنت يا لئيم وما يجلسك على باب المدينة ولا نراك تحزن لموت الملك ولا تهتم وطرده البواب عن الباب. فلما ذهبوا

١ الى اجل ٢ مسطبة

عاد الغلام فجلس مكانه. فلما دفنوا الملك ورجعوا بصر به البواب فغضب وقال له ألم أنهك عن الجلوس في هذا الموضع وأخذه فحبسه. فلما كان من الغد وقد اجتمع أهل تلك المدينة يتشاورون في من يملكونه عليهم ويختلفون بينهم إذ دخل البواب فقال لهم إني رأيت أمس غلاما جالسا على الباب ولم أره يحزن لحزننا كأن الأمر ليس عنده بعظيم وتلوح عليه لوائح العزة والشرف. فكلمته فلم يجبني فطردته عن الباب فلما عدت رأيته جالسا فأدخلته السجن مخافة أن يكون عينا[1] * فبعث أشراف المدينة إلى الغلام فجاءوا به وسألوه عن حاله وما أقدمه إلى مدينتهم. فقال أنا ابن ملك فويران. وإنه لما مات والدي غلبني أخي على الملك وقد كان أبي عهد إلي[2] به فغصبني إياه فهربت من يده حذرا على نفسي حتى انتهيت إلى هذه الغاية. فلما ذكر الغلام ما ذكر من أمره عرفه بعض من كان يغشى[3] بلاد أبيه منهم وأثنوا على أبيه خيرا * ثم إن الأشراف اختاروا الغلام أن يملكوه عليهم ورضوا

١ جاسوسا ٢ اوصى لي ٣ اي يزور

بِهِ . وَكَانَ لِأَهْلِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ سُنَّةٌ إِذَا مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا
حَمَلُوهُ عَلَى فِيلٍ أَبْيَضَ وَطَافُوا بِهِ حَوَالَيِ ٱلْمَدِينَةِ . فَلَمَّا
فَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ مَرَّ بِبَابِ ٱلْمَدِينَةِ فَرَأَى ٱلْكِتَابَةَ عَلَى ٱلْبَابِ
فَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ إِنَّ ٱلِٱجْتِهَادَ وَٱلْجَمَالَ وَٱلْعَقْلَ وَمَا أَصَابَ
ٱلْإِنْسَانَ فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِنَّمَا هُوَ بِقَضَاءٍ
وَقَدَرٍ مِنَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَقَدِ ٱعْتَبَرَ ذَلِكَ بِمَا سَاقَ ٱللهُ إِلَيْهِ
مِنَ ٱلْكَرَامَةِ وَٱلْخَيْرِ . ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسِهِ فَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ
مُلْكِهِ وَأَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِهِ ٱلَّذِينَ كَانَ مَعَهُمْ فَأَحْضَرَهُمْ فَأَشْرَكَ
صَاحِبَ ٱلْعَقْلِ مَعَ ٱلْوُزَرَاءِ وَضَمَّ صَاحِبَ ٱلِٱجْتِهَادِ إِلَى أَصْحَابِ
ٱلزَّرْعِ وَوَلَّى صَاحِبَ ٱلْجَمَالِ إِحْدَى مَصَالِحِهِ

ثُمَّ جَمَعَ عُلَمَاءَ أَرْضِهِ وَذَوِي ٱلرَّأْيِ مِنْهُمْ وَقَالَ لَهُمْ
أَمَّا أَصْحَابِي فَقَدْ تَيَقَّنُوا أَنَّ ٱلَّذِي رَزَقَهُمُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
مِنَ ٱلْخَيْرِ إِنَّمَا هُوَ بِقَضَاءِ ٱللهِ وَقَدَرِهِ . وَإِنَّمَا أُحِبُّ أَنْ تَعْلَمُوا
ذَلِكَ وَتَسْتَيْقِنُوهُ فَإِنَّ ٱلَّذِي مَنَحَنِي ٱللهُ وَهَيَّأَهُ لِي إِنَّمَا كَانَ
بِقَدَرٍ وَلَمْ يَكُنْ بِجَمَالٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا ٱجْتِهَادٍ . وَمَا كُنْتُ أَرْجُو
إِذْ طَرَدَنِي أَخِي أَنْ يُصِيبَنِي مَا يُعَيِّشُنِي مِنَ ٱلْقُوتِ فَضْلًا

عَنْ أَنْ أُصِيبَ هَذِهِ ٱلْمَنْزِلَةَ . وَمَا كُنْتُ أُؤَمِّلُ أَنْ أَكُونَ
بِهَا لِأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي هَذِهِ ٱلْأَرْضِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي حُسْنًا
وَجَمَالًا وَأَشَدُّ ٱجْتِهَادًا وَأَحْزَمُ رَأْيًا فَسَاقَنِي ٱلْقَضَاءُ إِلَى أَنِ
ٱعْتَزَزْتُ بِقَدَرٍ مِنَ ٱللهِ * وَكَانَ فِي ذَلِكَ ٱلْجَمْعِ شَيْخٌ
فَنَهَضَ حَتَّى ٱسْتَوَى قَائِمًا وَقَالَ إِنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلَامِ
عَقْلٍ وَحِكْمَةٍ . وَلَكِنَّ ٱلَّذِي بَلَغَ بِكَ ذَلِكَ وُفُورُ عَقْلِكَ
وَحُسْنُ ظَنِّكَ . وَقَدْ حَقَّقْتَ ظَنَّنَا فِيكَ وَرَجَاءَنَا . وَقَدْ عَرَفْنَا
مَا ذَكَرْتَ وَصَدَّقْنَاكَ فِيمَا وَصَفْتَ . وَٱلَّذِي سَاقَ ٱللهُ إِلَيْكَ
مِنَ ٱلْمُلْكِ وَٱلْكَرَامَةِ كُنْتَ أَهْلًا لَهُ لِمَا قَسَمَ ٱللهُ تَعَالَى لَكَ
مِنَ ٱلْعَقْلِ وَٱلرَّأْيِ . وَإِنَّ أَسْعَدَ ٱلنَّاسِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ
مَنْ رَزَقَهُ ٱللهُ رَأْيًا وَعَقْلًا . وَإِنَّمَا أَحْسَنَ ٱللهُ إِلَيْنَا بِقَضَائِهِ
إِذْ وَفَّقَكَ لَنَا عِنْدَ مَوْتِ مَلِكِنَا وَكَرَّمَنَا بِكَ * ثُمَّ قَامَ شَيْخٌ
آخَرُ فَحَمِدَ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ إِنَّ شَأْنَ ٱلْقَضَاءِ
وَٱلْقَدَرِ لَكَمَا ذَكَرْتَ . وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ أَحَدَ ٱلسُّيَّاحِ حَدَّثَ
عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ

إِنِّي كُنْتُ أَخْدُمُ وَأَنَا غُلَامٌ قَبْلَ أَنْ أَكُونَ سَائِحًا رَجُلًا

من أشراف الناس . فلما بدا لي رفض الدنيا فارقت ذلك
الرجل وقد كان أعطاني من أجرتي دينارين . فأردت أن
أتصدق بأحدهما وأستبقي الآخر فأتيت السوق فوجدت
مع رجل من الصيادين زوجي هدهد فساومته فيهما لأطلقهما
وأبى الصياد أن يبيعهما إلا بدينارين فاجتهدت أن يبيعنيهما
بدينار واحد فأبى . فقلت في نفسي أشتري أحدهما وأترك
الآخر . ثم قلت لعلهما يكونان زوجين ذكرا وأنثى
فأفرق بينهما . فأدركتني لهما رحمة فتوكلت على الله
وابتعتهما بدينارين . وأشفقت [١] إن أرسلتهما في أرض عامرة
أن يصادا ولا يستطيعا أن يطيرا مما لقيا من الجوع والهزال [٢]
ولم آمن عليهما من الآفات [٣] فانطلقت بهما إلى مكان كثير
المرعى والأشجار بعيد عن الناس والعمران فأرسلتهما فطارا
ووقعا على شجرة مثمرة . فلما صارا في أعلاها شكرا لي
وسمعت أحدهما يقول للآخر لقد خلصنا هذا السائح من
البلاء الذي كنا فيه واستنقذنا ونجانا من الهلكة وإنا
لخليقان [٤] أن نكافئه بفعله . وإن في أصل هذه الشجرة

١ خفت ٢ رقة الجسم ٣ اي الحوادث الرديئة ٤ اهلان

جرة مملوءة دنانير أفلا ندله عليها فيأخذها . فقلت لهما كيف
تدلاني على كنز لم تره العيون وأنتما لم تبصرا الشبكة .
فقالا إن القضاء والقدر الذي يتسلط على القمر والشمس
فيكسفهما وعلى الحوت في قعر البحر فيصطاده إذا نزل صرف
العيون عن موضع الشيء وغشى على البصر . وإنما صرف القضاء
أعيننا عن الشرك ولم يصرفها عن هذا الكنز لتنتفع أنت
به . فاحتفرت واستخرجت البرنية وهي مملوءة دنانير فدعوت
لهما بالعافية وقلت لهما الحمد لله الذي علمكما مما رأى
وأنتما تطيران في السماء وأخبرتماني بما تحت الأرض . فقالا
لي أيها العاقل أما تعلم أن القدر غالب على كل شيء لا
يستطيع أحد أن يتجاوزه

فليعرف أهل النظر في الأمور أن جميع الأشياء
بقدر الله وقضائه وأن الإنسان لا يجلب إلى نفسه محبوبا
ولا يدفع عنها مكروها إلا بإذن الله تعالى . فلتثق نفوس
أهل الفكر بذلك وتطمئن إليه فإن في ذلك راحة للمبتلى
وداعيا لمن توانيه المقادير إلى شكر رب العالمين

باب
الحمامة والثعلب ومالك الحزين (١)
وهو آخر الكتاب

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا
المثل . فاضرب لي مثلاً في شأن الرجل الذي يرى الرأي
لغيره ولا يراه لنفسه . قال الفيلسوف إن مثل ذلك مثل
الحمامة والثعلب ومالك الحزين . قال الملك وما مثلهن

قال الفيلسوف زعموا أن حمامة كانت تفرخ في
رأس نخلة طويلة ذاهبة في السماء . فكانت الحمامة تشرع
في نقل العش إلى رأس تلك النخلة فلا يمكنها ما تنقل من
العش وتجعله تحت البيض إلا بعد شدة وتعب ومشقة لطول
النخلة وسحقها (٢) . وكانت إذا فرغت من النقل باضت ثم
حضنت بيضها فإذا انقض (٣) وأدرك فراخها جاءها ثعلب
قد تعهد (٤) ذلك منها لوقت قد علمه ريثما (٥) ينهض فراخها
فوقف بأصل النخلة فصاح بها وتوعدها (٦) أن يرقى إليها
أو تلقي إليه فراخها فتلقيها إليه . فبينما هي ذات

١ طائر من طيور الماء ٢ علوها ٣ خرج منه الفرخ ٤ تفقد وعرف
٥ مهلة ما ٦ تهددها

يوم وقد أدرك لها فرخان إذ أقبل مالك الحزين فوقع على
النخلة . فلما رأى الحمامة كئيبة حزينة شديدة الهم قال لها
يا حمامة ما لي أراك كاسفة البال (١) سيئة الحال . فقالت له
يا مالك الحزين إن ثعلباً دهيت به كلما كان لي فرخان
جاءني يتهددني ويصيح في أصل النخلة فأفرق (٢) منه فأطرح إليه
فرخي . قال لها مالك الحزين إذا أتاك ليفعل ما تقولين فقولي
له لا ألقي إليك فرخي فارق (٣) إلي وغرر بنفسك (٤) فإذا
فعلت ذلك وأكلت فرخي طرت عنك ونجوت بنفسي *
فلما علمها مالك الحزين هذه الحيلة طار فوقع على شاطئ
نهر . وأقبل الثعلب في الوقت الذي عرف فوقف تحت النخلة
ثم صاح كما كان يفعل فأجابته الحمامة بما علمها مالك
الحزين . فقال لها أخبريني من علمك هذا . قالت علمني مالك
الحزين * فتوجه الثعلب حتى أتى مالكاً الحزين على شاطئ
النهر فوجده واقفاً . فقال له الثعلب يا مالك الحزين إذا
أتتك الريح عن يمينك فأين تجعل رأسك قال عن شمالي .
قال فإذا أتتك عن شمالك أين تجعل رأسك قال أجعله

١ كئيبة النفس ٢ أخاف ٣ اصعد ٤ عرضها للهلكة

عن يميني أو خلفي . قال فإذا أتتك الريح من كل مكان
وكل ناحية أين تجعله . قال أجعله تحت جناحي . قال
وكيف تستطيع أن تجعله تحت جناحك . ما أراه[1] يتهيأ[2]
لك . قال بلى قال فأرني كيف تصنع فلعمري يا معشر الطير
لقد فضلكم الله علينا إنكن تدرين في ساعة واحدة مثل
ما ندري في سنة . وتبلغن ما لا نبلغ وتدخلن رؤوسكن تحت
أجنحتكن من البرد والريح . فهنيئا لكن فأرني كيف تصنع .
فأدخل الطائر رأسه تحت جناحيه فوثب عليه الثعلب مكانه
فأخذه فهمزه[3] همزة دق[4] عنقه . ثم قال يا عدو نفسه ترى
الرأي للحمامة وتعلمها الحيلة لنفسها وتعجز عن ذلك لنفسك
حتى يتمكن منك عدوك . ثم قتله وأكله * ألهمنا الله أن
نكون من المؤتمرين[5] لما يأمرون والمنتصحين بما ينصحون

فلما انتهى المنطق بالفيلسوف إلى هذا الموضع سكت
الملك . فقال له الفيلسوف أيها الملك عشت ألف سنة
وملكت الأقاليم السبعة وأعطيت من كل شيء حظا
وبلغت ما أملته من خير الدنيا والآخرة في سرور منك

١ أظنه ٢ أي يتيسر ٣ ضغطه ٤ كسر ٥ الممتثلين

وقرة عين من رعيتك بك ومساعدة القضاء والقدر لك .
فإنه قد كمل فيك الحلم والعلم وحسن منك العقل والنية
وتم فيك البأس والجود واتفق منك القول والعمل . فلا يوجد
في رأيك نقص ولا في قولك سقط ولا عيب . وقد جمعت
النجدة[1] واللين فلا توجد جبانا عند اللقاء ولا ضيق الصدر
عند ما ينوبك[2] من الأشياء

وقد جمعت لك في هذا الكتاب شمل بيان الأمور
وشرحت لك جواب ما سألتني عنه منها زلفا[3] إلى رضاك
وابتغاء لطاعتك فأبلغتك في ذلك غاية نصحي واجتهدت
فيه برأيي ونظري ومبلغ فطنتي * والله تعالى يقضي حقي
بحسن النية منك في إعمال فكرك وعقلك فيما وضعت
لك من النصيحة والموعظة . مع أنه ليس المنصوح بأولى
بالنصيحة من الناصح ولا الآمر بالخير بأسعد من المطيع
له فيه * فافهم ذلك أيها الملك ولا حول[4] ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم

انتهى

١ البأس والشدة ٢ يصيبك ٣ تقربا ٤ قدرة